البلاغة العربية

(البيـــان والبـــديع)

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

السنة: الأولى

الاختصاص: لغة عربية

Damascus University

منشورات جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

البلاغة العربية

(البيان والبديع)

الدكتور

محمد هيثم غرة

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية

الدكتورة

منيرة محمد فاعور

أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية

جامعة دمشق

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
الباب الأول: علم البيان	١١
مقدمة	١٣
تعريف البيان لغةً واصطلاحاً	١٥
موضوعات علم البيان	١٧
المبحث الأول: التشبيه	٢١
أركان التشبيه	٢٣
أقسام التشبيه بالنظر إلى أداته	٢٩
أقسام التشبيه بالنظر إلى وجه الشبه	٣٣
أنواع التشبيه	٣٧
أغراض التشبيه	٤٣
من محاسن التشبيه	٤٦
من عيوب التشبيه	٤٧
تدريبات في التشبيه	٤٩
المبحث الثاني: الحقيقة والمجاز	٥٣
الحقيقة	٥٣
المجاز	٦٣
أولاً- المجاز العقلي	٦٣
ثانياً- المجاز اللغوي	٦٦

تدريبات ٧١

الاستعارة ٧٥

أنواع الاستعارة وأقسامها ٨٢

خصائص الاستعارة ٩٦

تطبيقات على موضوع الاستعارة ٩٩

المبحث الثالث: الكناية ١٤٥

تعريفها ١٤٥

الفرق بين الكناية والمجاز ١٤٧

ركنا الكناية ١٤٩

أقسام الكناية ١٥٠

بلاغة الكناية وجمالياتها ١٦٦

تدريبات ١٧٣

الباب الثاني: علم البديع ١٧٩

المبحث الأول: البديع ١٨١

البديعيات ١٨٢

البديع المعنوي: ١- الطباق ١٨٧

الملحقات بالطباق ١٨٩

٢- المقابلة ١٩١

٣- حسن التعليل ١٩٥

٤- التورية ١٩٧

٥-المذهب الكلامي ٢٠١

٦- المزاوجة ٢٠٣

Damascus University

٧- المشاكلة	٢٠٥
٨- مراعاة النظير	٢٠٧
٩- الإرصاد	٢٠٩
١٠-حسن الإبتداء	٢١١
١١- حسن الانتهاء	٢١٣
١٢- حسن التخلص	٢١٥
١٣- المبالغة	٢٢٧
١٤- اللف والنشر	٢٢١
١٥- تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه	٢٢٣
١٦- تجاهل العارف	٢٢٥
من البديع اللفظي: **١- الجناس**	٢٢٧
أولاً- الجناس التام	٢٢٧
ثانياً- الجناس غير التام	٢٣١
ملحقات الجناس	٢٣٥
بلاغة الجناس وجمالياته	٢٣٧
٢- رد العجز على الصدر	٢٤٧
٣- السجع	٢٥٧
٤- الموازنة	٢٦٩
٥- المماثلة	٢٧٠
٦- التسميط	٢٧٣
٧- لزوم ما لا يلزم	٢٧٣

٨- الموازنة ٢٧٩
٩- الاقتباس ٢٨٣
١٠- التضمين ٢٩١
نصان من التراث ٢٩٧
الأول: الفرق بين التشبيه والاستعارة ٢٩٩
الثاني: سرقات الشعراء ٣١٣
المراجع والمصادر ٣٣١

Damascus University

تقديم:

هذه محاضرات في علمي البيان والبديع ألقيت على طلاب السنة الأولى من قسم اللغة العربية في جامعة دمشق وفرعها في درعا منذ سنوات، اشتملت على أبرز ما يحتاجه الطالب المتخصص في هذا الباب، لكنها لم تتضمن حديثاً عن تاريخ البلاغة قبل التأليف أو عن الفرق بين الفصاحة والبلاغة كما هي عادة المؤلفين في كتبهم، وذلك لأنّ هذه القضايا معروضة بالتفصيل في مقدّمة كتاب (محاضرات في علم المعاني) المقرّر على الطلاب أنفسهم في السنة الثانية وهو أيضاً من إعدادنا وتأليفنا.

وقد روعي في هذا الكتاب ما روعي في الكتاب الثاني من جوانب:

- تطبيق الخطة الدرسية الموضوعة من قبل جامعة دمشق من خلال مفردات المادّة العلمية وما يتعلّق بها.

- تقريب مسائل علمَي البيان والبديع من الطلاب المتخصصين في هذه المرحلة لمساعدتهم بعد ذلك على فهم النصّ الأدبي من الناحية البلاغيّة والفنيّة.

- الاهتمام بدراسة أصول علمَي البيان والبديع وشرحها بأسلوب ميسّر ومقبول.

- تذييل كل مبحث بلاغي بنوعين من التدريبات وقد قمنا بالإشارة إلى الجواب والحلّ في أحدهما، وتركنا الأمر في الثاني لاختبار تفكير الطالب واجتهاده.

– الإكثار من الشواهد والأمثلة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ومن الشعر الذي صحّ على ألسنة الشعراء المعتدّ بهم حتّى يعوّد الطالب لسانه على تذوّقها.

– ولمّا كانت الاستعارة غادةَ البيان العربي كما سمّاها العلماء، احتيج في عرضها إلى أمثلة أكثر وتدريبات أكثر، فأفردنا فيها للتطبيق أكثر من ثلاثين بيتاً، اخترناها من شعر المتنبّي المعروف باستعاراته الفنيّة العالية، وذلك بعد ما لمسنا ضعف الطالب في تحرّي الاستعارات وفهمها والوقوف على قيمتها ووظيفتها.

– تذييل الكتاب بمبحثين من التراث؛ أحدهما بعنوان (الفرق بين التشبيه والاستعارة)، وهو من كتاب (أسرار البلاغة)، والثاني: (سرقات الشعراء)، وهو من كتاب (الإشارات والتنبيهات). وذلك لتعميق الصلة بين الطالب وتراثه.

والله من وراء القصد........

دمشق ٢٠١٠

المؤلفان

الباب الأول

علم البيان

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التشبيه

المبحث الثاني: المجاز

المبحث الثالث: الكناية

Damascus University

Damascus University

مقدمة :

قد نستعذب بيتاً من شعر العرب أو عبارة من نثرهم فنقول: عن صاحبه إنه ذو خيال واسع، فيفهم أن لدى هذا الشاعر أو ذاك الناثر قدرة على سبك المعاني وصوغها في شكل بديع، كما تشعر وأنت تقرأ:

ترى الثيابَ من الكتّان يلمحُها   نورٌ من البدر أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها   والبدرُ في كل وقت طالعٌ فيها

إذ ترى قائله قد تصرّف في المعاني وانتزع هذه الصورة البديعة صورة القمر الذي ضمّته تلك الثياب (المعاجر) فأصابها بالبلى.

وعندما تقرأ لامرئ القيس في قصيدته التي أولها:

ألا عِمْ صباحاً أيّها الطّلل البالي   وهل يعمن من كان في العصر الخالي

إذ يقول:

يغطّ غطيط البكر شدّ خناقه   ليقتلني والمرء ليس بقتالِ
أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي   ومسنونة زرق كأنياب أغوالِ

أقول عندما تقرأ البيت الأخير تجد أن الشاعر قد تخيّل الأغوال وأنياب الأغوال وليس له معرفة بها، إذ لا أثر للغول ولا لشيء من ذلك فيما يحيط بالإنسان، والغول وأنياب الغول صورة وهمية أخذها الخيال وركّبها من الحيوانات التي قد يبدو شكلها مخيفاً ومنظرها فظيعاً، فصنع منها شيئاً رائعاً هو الصورة التي تتبادر إلى الذهن عندما يذكر لفظ الغول وأنياب الغول.

لقد عمد الشاعر إلى المسنونة الزرق (النصال الحادة) فأعمل خياله فيها، وشبّهها بأنياب الأغوال لتذهب في النفس منها كلّ مذهب.

الشعور ذاته ينتابك عندما تقرأ للأخطل التغلبيّ:

سبتْك بمرتجّ الروادف ناعم وأبيض عذب الريق معتدل الثغرِ
ومتّسق كالنور من كلّ صبغة يضيء الدجى فوق الترائب والنحرِ
مهاةٌ من اللائي إذا هي زيّنتْ تضيء دجى الظلماء كالقمر البدرِ
مثقّلة الأرداف ليست بمرضع ولا من نساء اللحلحانية الحمرِ
إذا ما مشتْ مالت روادفها بها جميعاً كما مال المهيضُ من الكسرِ

أرأيت كيف أخذك الشعراء الثلاثة بأخيلتهم إلى البعيد؟ ألمست قدرتهم على التصوير الفني لأنواع الكلام، هل لفت نظرك في خيالاتهم تلك، امتطاؤهم صهوة البيان العالية المشرفة على ربا الجمال وسهول الألق، الاستعارة في البدر الذي أبلى المعاجر، ثم التشبيه الوهمي بأنياب الأغوال وأخيراً الكناية بالأبيض عذب الريق وبما يضيء الدجى فوق الترائب والنحر.

إن الاستعارة والكناية والتشبيه موضوعات بلاغية تشكّل منها علم البيان، فما البيان في اللغة وما البيان في الاصطلاح وما علم البيان؟

تعريف البيان لغةً واصطلاحاً:

البيان لغةً:

الكشف والإيضاح، يقال: زيد أبينُ من عمرو أي أوضح منه كلاماً، والعرب تقول: بان الصبح لذي عينين، وفي القرآن الكريم ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، بمعنى أنّ القرآن يكشف ويبيّن الطرق السليمة التي ينبغي أن يسلكها المرء، ويوضّح معالمها.

وفي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إنّ من البيان لسحراً))، تأخذ كلمة (البيان) معنى إظهار المقصود بأبلغ لفظ والكشف عنه بما يُقنع المخاطَب، لما فيها من معنى الإفحام وقوّة الحجّة وإثارة الإعجاب وشدّة وقع الكلام في النفس، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن.

وعندما صار البيان علماً قائماً بذاته على أيدي المتأخرين من البلاغيين عرّفوه فقالوا: ((هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة)) (١).

ومعنى هذا التعريف أنّ في العربيّة غير طريقة للتعبير. فهناك التعبير المباشر، وهناك التعبير البلاغي الفنّي وهو مادّة علم البيان من تشبيه ومجاز وكناية، بل هو موضوعات هذا العلم، يقول الدكتور علي الجندي: ((إنّك لواجد فنوناً من القول وضروباً من الكلام، فمن تشبيه إلى استعارة إلى كناية إلى لون آخر من ألوانها، وكلٌّ منها يتشقّق إلى شعب كثيرة تختلف في الزّي

١- تلخيص المفتاح: ٢٣٥- ٢٣٦.

وتنسب إلى أصل واحد، ثمّ هي تتنافس في الحسْن وتتبارى في الجمال وتتبرّج في معارض متباينة من الوضوح))[1].

نعود إلى معنى التعريف، هَبْ أنّه طُلب منّي ومنك ومنه ومنها أن نعبّر عن معنى من المعاني، وليكن الكرم وهو (المعنى الواحد) المشار إليه في التعريف، فسلكت أنا طريقة التعبير المباشر وقلتُ: زيدٌ كريمٌ جداً، وسلكتَ أنتَ طريقة التشبيه في التعبير عن المعنى ذاته فتمثّلت قول الشاعر:

هو البحر من أيّ النواحي أتيتَهُ فلجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهُ

وسلك هو طريقة الاستعارة في التعبير عن هذا المعنى، فتمثّل قول المتنبيّ:

تعرّض لي السحابُ وقد قفلنا فقلتُ إليك إنّ معي السحابا

وسلكتْ هي طريقة الكناية فتمثّلتْ قول المتنبيّ:

لم أعرف الجود إلا مذ عرفتُ فتىً لم يولد الجودُ إلاّ عند مولده

وكلّ هذه الأمثلة تدور حول (المعنى الواحد) الذي اخترناه هنا وهو معنى الكرم، إلاّ أنّك في الأوّل أمام تعبير مباشر، وهذا التعبير يقدر عليه وعلى أمثاله كثيرٌ من الناس على تفاوت ثقافاتهم ومعارفهم.

وفي الثاني والثالث والرابع أنت أمام تعبير غير مباشر، أمام تعبير فنّي بلاغي، التشبيه في (هو البحر) والاستعارة في (إنّ معي السحابا) والكناية في (لم يولد الجود إلاّ عند مولده)، ومثل هذا لا يقدر عليه إلاّ الموهوبون من الناس كالشعراء والأدباء والخطباء وجهابذة الكلام الذين ملكوا ناصيته وعرفوا أبعاده وبلغوا فيه مرادهم فعرضوه بهذا اللبوس الجميل من الصور البيانيّة.

١- فنّ التشبيه: ص ١٤.

هذا معنى أنّ علم البيان علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد (وهو معنى الكرم في أمثلتنا المختارة) بطرق مختلفة في الدلالة أي التشبيه أو الاستعارة أو الكناية.

ولا يفوتنّك بعدئذ الفرق بين هذه الأساليب الفنيّة، فإنّ التشبيه مثلاً يتفاوت قوّة وضعفاً، ويتفاوت وضوحاً وخفاءً، وكذلك الاستعارة والكناية فهي ليست جميعاً على درجة واحدة من البيان والبهاء والحسن والجمال.

موضوعات علم البيان

يدرس علم البيان موضوعات التشبيه والمجاز – ومنه الاستعارة – والكناية وما يتفرع عنها، ويجعل هذا العلمُ التشبيه أوّل الموضوعات لبناء الاستعارة _ وهي مجاز _ عليه، ثم يجعل المجازَ ثانيها، ثمّ يثلّثُ بالكناية، ونحن سنتّبع الترتيب ذاته.

لكنّ، لابد قبل ذلك من لفت النظر إلى اختلاط المباحث البلاغيّة بعضها ببعض منذ الحديث عنها في كتب الأوّلين من علماء العربيّة، فكان كثير منهم يطلق مصطلح (البيان) على موضوعات البلاغة كلّها، وبعضهم يشير به إلى موضوعات البيان والبديع من غير موضوعات علم المعاني، وغيرهم يسمّي الجميع علم البديع حتّى استقرّ ذلك عند المتأخرين من علماء البلاغة في القرن الهجري السابع وما بعده، وقد اتّبعنا طريقتهم في ذلك.

يقول عبد القاهر الجرجاني: ((ثمّ إنّك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً وأبسق فرعاً وأحلى جنى وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علم البيان الذي لولاه لم ترَ لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدرّ وينفث

السحر...))[1]. فقوله: يحوك الوشي يجعل منه الجناس والمقابلة ومراعاة النظير وغيرها.

وقد نشأت في العصر الجاهلي مجموعة من الملاحظات البيانيّة، تطوّرت بعد ظهور الإسلام، ونمّاها استقرار العرب في الأمصار المفتوحة وتحضّرهم ونهضتهم العقلية ثمّ الجدل الشديد الذي احتدم بين الفرق الإسلامية المختلفة كالمعتزلة والأشاعرة والمرجئة.

وعندما نصل إلى العصر العباسي نجد أنّ هذه الملاحظات أخذت تدوّن، وبدأ العرب بتسجيلها وشرحها وتفصيلها ووضع الكتب فيها.

وكان من أبرز هذه الكتب كتب اللغويّين وكتب علماء الكلام.

فمن النمط الأول كتاب سيبويه الذي تحدّث فيه عن التقديم والتأخير والتعريف والتنكير، وكتاب (معاني القرآن) للفرّاء الذي عُني بتصوير خصائص التراكيب والإشارة إلى بعض الصور البيانية في القرآن الكريم.

ومن النمط الثاني صحيفة بشر بن المعتمر (المعتزلي) وقد ذكرها الجاحظ في (البيان والتبيين)، وكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ الذي جمع فيه جلّ ما انتهى إلى عصره من الملاحظات البلاغية، وأضاف حديثاً بديعاً عن التشبيه والاستعارة والمجاز، ومنه أيضاً كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة تحدّث فيه عن الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه.

ويلفت النظر إلى جانب ما ذُكر:

كتاب (النكت في إعجاز القرآن) للرماني ت ٣٨٦ هـ تحدّث فيه عن أبواب البلاغة العشرة.

١- دلائل الإعجاز: ٥-٦.

وكتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني ت ٣٦٦هـ وهو كتاب عُني بالحديث عن الاستعارة والتشبيه.

وكتاب (العمدة) لابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ هـ.

وكتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ.

وكتاب (أسرار البلاغة) وكتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٠ هـ.

وكتاب (المثل السائر في أدب الناثر والشاعر) لابن الأثير ت ٦٣٧ هـ.

وكتاب (الطراز) ليحيى بن حمزة العلوي ت ٧٤٩ هـ.

وكتاب (تلخيص المفتاح) للقزويني ت ٧٣٩ هـ وما جاء بعده من شروحات وإيضاحات ومختصرات ومنظومات.

ويعدّ كتابا عبد القاهر الجرجاني المذكوران النموذج الأروع في تقديم البلاغة العربية بلبوسها اللائق كما فهمها الرجل صاحبُ العقل الناقد النافذ إلى مواطن الإعجاز وبواطن الأدب، لهذا سنقف عند بعض المصطلحات البلاغية التي أوردها وتحدّث عنها.

الاستعارة:

تحدّث عبد القاهر عن حدّ الاستعارة فقال: ((هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتُظهره، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبّه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوّة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً))[1] .

وتحدّث عن الاستعارة المفيدة والاستعارة القريبة من الحقيقة، وعن وجه الشبه العقليّ فيها، وعن المبالغة في التشبيه، وبيّن أنّ الاستعارة ليست

---

[1] دلائل الإعجاز: ٦٧.

من التخييل، وردّ على من جعل الاستعارة من البديع – لعلّه أراد ابن المعتزّ– قائلاً: ((إنّ ذكرها في أقسام البديع يقتضي أنّ كلّ موصوف بأنّه مجاز فهو بديع عندهم حتّى يكون إجراء اليد على النعمة بديعاً وتسمية البعير حقضاً والناقة ناباً والربيئة عيناً والشاة عقيقة بديعاً كلّه، وذلك بيّن الفساد))[١].

التشبيه والتمثيل:

تحدّث الجرجاني عن أقسام التشبيه ووجوه الشبه المنتزعة من شيء أو أشياء، وتحدّث عن التشبيه في الهيئة التي تقع في الحركات، والجمع بين الشكل وهيئة الحركة في التشبيه، وعن قلب التشبيه، وفرّق بين التشبيه والتمثيل[٢]، فقال: التشبيه عام والتمثيل أخصّ منه، فكلّ تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً.

الحقيقة والمجاز:

عرّف عبد القاهر الحقيقة والمجاز وفرّق بين نوعيه العقليّ واللغويّ[٣].

وتعرّض لمكان الاستعارة من المجاز، ووقف عند الكناية وبيّن السبب في قبحها، وذكر أنّها أبلغ من الإفصاح، والتعريض أفصح من التصريح، كما أنّ للاستعارة مزيّة وفضلاً وأنّ المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة[٤].

١- أسرار البلاغة: ٣٤٧.

٢- أسرار البلاغة: ٨٦.

٣- أسرار البلاغة: ٣٢٠.

٤- دلائل الإعجاز: ص ٧٠.

٢٠

المبحث الأول

التشبيه

التشبيه في اللغة المماثلة. وهو مصدر الرباعي (شبّه) تقول: شبّهتُ الأمر بالأمر تشبيهاً أي مثّلتُهُ به

وفي اصطلاح البلاغيين ورد له تعريفات كثيرة، فهو عند الرمّاني: العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل[1]، وعند ابن رشيق: صفةُ الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنّه لو ناسبه مناسبة تامّة لكان إيّاه[2]. وعند القزويني: هو الدلالةُ على مشاركة أمر لآخر في معنى[3].

وإذا تابعت قراءة التعريفات التي خصّ بها البلاغيّون التشبيه فإنّك تجد معانيها كلّها تصبّ في عبارة واحدة وهي أنّ التشبيه مشاركةُ شيء لشيء بصفة أو أكثر.

والتشبيه أساس من أسس البلاغة عُني به علماؤنا وخصّوه بالحديث المفصّل كما فعل المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) عندما بيّن أنّ التشبيه كثير في كلام العرب حتّى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد[4].

١- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٨٠.

٢- العمدة: ٢٥٦/٤.

٣- التلخيص: ٢٣٨.

٤- الكامل: ٩٣/٣.

وربّما دفع التشبيه بعض العلماء إلى التأليف في البلاغة وكان سبباً له، فإنّ أبا عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠ هـ) يذكر في مقدمة كتابه (مجاز القرآن). أنّ سبب وضع هذا الكتاب سؤال وجّهه إليه معترض من الجهلة الملحدين عن التشبيه الوارد في قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]. زاعماً أنّه تشبيه غير عربيّ ليصل إلى أنّ القرآن غير عربيّ، محتجاً على ذلك بأنّ المشبّه به عند العرب ينبغي أن يكون أمراً معروفاً، ورؤوس الشياطين في الآية شيء غير معروف، فردّ عليه أبو عبيدة بالبيّنة والعقل مما دفعه – كما ذكرنا قبل قليل– إلى تأليف كتاب في هذا العلم وهو كتاب (مجاز القرآن).

وربّما دفع التشبيه – أيضاً الشعراء والأدباء إلى المنافسة في براعة القول، يروى أنّ بشار بن برد قال: ما زلت أروي بيت امرئ القيس (إذ شبّه فيه شيئين بشيئين):

كأنّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّابُ والحشفُ البالي

حتّى قلت:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

وتشبيهات العرب كثيرة، وهم يشبّهون المرأة بالشمس والقمر والغزال والبقرة الوحشيّة والدرّة والبيضة، ويشبّهون عين المرأة بعين الظبي أو البقرة الوحشيّة، ويشبّهون الأنف بحدّ السيف، والرجل الكريم بالغيث والبحر والسحاب، والرجل القويّ بالأسد والسيف، قال كعب بن مالك الأنصاري:

كان رسول ﷺ إذا سُرّ تبلّج وجهه فصار كأنّه البدر.

وقال الشاعر مشبّهاً عيني المرأة بعيني البقرة الوحشيّة:

فعيناك عيناها وجيدُك جيدُها ولكنّ عظم الساق منك دقيقُ

وقال آخر مشبّهاً بالغيث والسيف:

وإنك غيثٌ ينعشُ الناسَ سيبُهُ   وسيفٌ أعيرتْهُ المنيّةُ قاطعُ

قال ابن طباطبا: ((وقد فاز قوم بخلال شُهروا بها من الخير والشرّ صاروا أعلاماً فيها، فربّما شُبِّه بهم فيكونون في المعاني التي احتووا عليها وذكروا بشهرتها نجوماً يُقتدى بهم وأعلاماً يُشار إليهم كالسموأل في الوفاء وحاتم في السخاء والأحنف في الحلم وسحبان في البلاغة وقسّ في الخطابة ولقمان في الحكمة، فهم في التشبيه يجرون مجرى البحر والحيا والشمس والقمر والسيف ويكون التشبيه بهم مدحاً كالتشبيه بها، وكذلك أضداد هؤلاء قوم يُذمّون فيما شُهروا به يُشبّه بهم في حال الذم كباقل في العيّ وهبنّقة في الحمق والكسعي في الندامة)).[1]

أركان التشبيه

للتشبيه أربعة أركان هي: المشبّه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويسمّى المشبّه والمشبّه به طرفي التشبيه الأساسيّين لأنّه لا يجوز حذفهما أو حذف أحدهما من أسلوب التشبيه، أمّا الأداة والوجه فمن الممكن حذفهما أو حذف أحدهما وذكرهما أو ذكر أحدهما، وهذا رهن بمراد المتكلّم.

فنحن نقول مثلاً: زيد كالأسد في الشجاعة، ألا تلاحظ أن (زيد) و(الأسد) هما الركنان الأساسيان؟ إذ لا يُفهم التشبيه إلاّ بذكرهما في العبارة،

١- عيار الشعر: ص ٣٢.

لكنْ ربّما حذفتَ الأداة وقلت: زيدٌ أسدٌ في الشجاعة، وربّما حذفتَ الوجه وقلت: زيدٌ كالأسد، وربّما حذفتَهما معاً وقلت: زيدٌ أسدٌ.

الطرفان:

المراد المشبّه والمشبّه به كما عرفتَ قبل قليل، وهما إمّا حسيّان أي يدركان بالحواسّ، وإمّا عقليّان أي يدركان بالعقل، وإمّا مختلفان أي يدرك أحدهما بالحواسّ وثانيهما بالعقل.

الحسيّان:

كأن يُشبّه الرجل عالي المنزلة ورفيع المكانة بالنجم، قال الشاعر:

أنتَ نجمٌ في رفعةٍ وضياءٍ تجتليكَ العيونُ شرقاً وغربا

فالمشبّه والمشبّه به (أنت نجم) حسيّان، أو يُشبّه الشعر الأسود بالليل، قال الشاعر:

فرعاءُ تسحبُ من قيامٍ شعرها وتغيبُ فيه وهو ليلٌ أسحمُ
فكأنّها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنّه ليلٌ عليها مظلمُ

أو يُشبّه القدّ بالغصن أو بالألف، قال الشاعر:

غزالٌ فوق مـــا أصفُ كأنّ قوامـــــــه ألفُ

العقليان:

كأن يُشبّه العلم بالحياة والجهل بالموت، جاء في قصيدة أحمد شوقي مادحاً النبي عليه الصلاة والسلام:

أخوك عيسى دعا ميّتاً فقام له وأنت أحييتَ أجيالاً من الرمم
والجهلُ موتٌ فإن أوتيتَ معجزةً فابعث من الجهل أو فابعث من الرّجم

فشبه في البيت الثاني الجهل بالموت وكلاهما عقليّان.

المختلفان:

كأن شبّه الغضب (وهو عقلي) بالنار (وهو حسّي)، أو تُشبّه الحجّة بالشمس، والليل بالصدود في قول الشاعر:

ربَّ ليلٍ قطعتُهُ كصدودٍ وفراقٍ ما كانَ فيهِ وداعُ

والظلام بيوم النوى في قول الشاعر:

ولقد ذكرتك والظلام كأنّه يومُ النوى وفؤادُ مَنْ لم يعشقِ

ومنه قوله تعالى: (مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) [يوسف: ٣١].

أداة التشبيه:

وهي الرابط بين المشبّه والمشبّه به، ولابدّ منها في أسلوب التشبيه مذكورة أو مقدّرة أو مراداً معناها، يدخل تحت هذا الرابط كلّ ما أفاد تشبيهاً من الحروف والأسماء والأفعال.

فالحروف (الكاف وكأنّ)، ومن الأسماء (مثل- مثيل- شبيه- نظير- صنو)، ومن الأفعال (يشبه- يماثل- يحاكي- يضاهي- يشابه....) وغير ذلك.

فالأمثلة من الحروف: قوله تعالى: (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) [الفيل: ٥]، وقوله تعالى: (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) [الرحمن: ٥٨].

والأمثلة من الأفعال: قول الشاعر:

يكاد يحكيك صوبُ الغيث منسكباً لو كان طلقُ المحيّا يُمطر الذهبا

وقول الشاعر:

حكاني بهارُ الروض حين ألفتُهُ وكلُّ مشوقٍ للبهارِ مصاحبُ

والأمثلة من الأسماء قول الشاعر:

عزماتُه مثلُ النجوم ثواقباً لو لم يكنْ للثاقباتِ أفولُ

وقول الشاعر:

يا شبيه البدر حسناً وضيــــاءً ومنـــالا
وشبيه الغصن ليناً وقوامــــاً واعتــــدالا
أنت مثل الورد لوناً ونســـيماً ومـــلالا
زارنا حتّى إذا ما ســـرّنا بالقرب زالا

بين الكاف وكأن:

بين هذين الحرفين فروق يحتاج المرء إلى التعمّق فيها حتّى تسلم له معرفتها، منها:

* أنّ الكاف يليها المشبّه به مباشرة، قال الشاعر:

أنت كالشمس في الضياء وإن جا وزتَ كيوانَ في علوّ المــــكان

الشمس مشبّه به، وقالت الشاعرة:

كنّا كأنجم ليلٍ بيننا قمرٌ يجلو الدجى فهوى من بيننا القمرُ

وقال المتنبيّ مادحاً:

هذا الذي أبصرتَ منه حاضراً مثل الذي أبصرت منه غائبا
كالبدر من حيث التفتَ رأيتَهُ يُهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

أمّا (كأنّ) فيليها المشبّه، قال التهامي في رثاء ابنه:
وكأنّ قلبي قبره وكأنّه في طيّه سرٌّ من الأسرار

فـ (قلبي) مشبّه، وقال غيره:
وليلة مشتاق كأنّ نجومها قد اغتصبت عين الكرى وهي نوّمُ
كأنّ عيون الساهرين لطولها إذا شخصت للأنجم الزهر أنجمُ

* أنّ الكاف دائماً تدلّ على التشبيه، أمّا (كأنّ) فلا تدلّ على التشبيه إلاّ إذا كان خبرها جامداً ، كقولك: كأنّ زيداً بحرٌ، فإذا كان مشتقاً لم يُعطِ معنى التشبيه وإنّما قد يعطي معنى ظننت أو توهّمت كقولك: كأنّ زيداً قائمٌ.

* أنّ الكاف أخفّ تشبيهاً من (كأنّ)، يقول حازم القرطاجنّي:
تستعمل كأنّ حيث يقوى الشبه حتّى يكاد الرائي يشكّ في أنّ المشبّه هو المشبّه به أو غيره، لذلك قالت بلقيس[1]: (كَأَنَّهُ هُوَ)، يشير القرطاجنّي إلى العرش الذي أُتي به سليمان عليه السلام من اليمن كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ [النمل: ٤٢].

وقريب من هذا الشكّ الذي يُفهمه التشبيه بـ (كأنّ) ما جاء في قول الشاعر:
لما تبدّتْ من الأستار قلتُ لها سبحان سبحان ربّي خالق الصور

١- منهاج البلغاء: ٣٠١.

ما كنتُ أحسبُ شمساً غيرَ واحدةٍ		حتى رأيتُ لها أختاً من البشرِ
كأنّها هي إلاّ أنّ يَفضلُها		حسنُ الدلالِ وطرفٌ فاترُ النظر

* أنّ الكاف بسيطة وكأنّ مركّبة من إنّ وكاف التشبيه التي دخلت عليها ففتحت همزتها، وقيل إنّ (كأنّ) بسيطة أيضاً، قال السبكي: إذا كانت (كأنّ) بسيطة فإنّ كثرة الحروف تدلّ غالباً على المبالغة في المعنى، لذلك قالت بلقيس ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ ولم تقل: هكذا هو[1].

هذا وثمّة أفعال أخرى تفيد معنى التشبيه مثل خلت وحسبت وعلمت، قال الشاعر:

قومٌ إذا لبسوا الدروع حسبتَها		سُحُباً مزرّدة على أقمارِ

وقال آخر:

ولقد علمتُك في الكريهة ضيغماً		أظفارُهُ بيضُ السلاح وسُمْرُهُ

قال ابن طباطبا: ((فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه: كأنّه أو قلت ككذا، وما قارب الصدق قلت فيه: تراه أو تخاله أو يكاد))[2].

٢- عروس الأفراح: ٣/ ٣٩٤.

١- عيار الشعر: ٣٢-٣٣.

أقسام التشبيه بالنظر إلى أداته

التشبيه بالنظر إلى الأداة قسمان: مرسل ومؤكّد.

المرْسَل:

الذي ذُكرت فيه الأداة، كما في قوله تعالى:﴿الزجاجةُ كأنّها كوكبٌ دريّ﴾ [النور: ٣٥]، وكما في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: المؤمن للمؤمن كالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً.

المؤكّد:

الذي حُذفت منه الأداة، حذفت من الذكر لكنّها مقدّرة في نفس المتكلّم، وذلك كما في قول الشاعر:

هم البحور عطاءً حين تسألُهُمْ وفي اللقاء إذا تلقاهُمُ بُهمُ[1]

وقول الآخر:

فأنت غمامٌ والزمانُ خميلةٌ وأنت سنانٌ والزمان قناةُ

وكون هذا التشبيه مؤكداً حاصل من ادّعاء أنّ المشبّه عين المشبّه به، انظر كيف عبّرت الآية الكريمة عندما شبهت مرور الجبال بمرّ السحاب في قوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحاب﴾ [النمل: ٨٨].

والتشبيه الموكّد أبلغ من المرسل وأوجز، أبلغ لجعل المشبّه مشبّهاً به من غير واسطة، وأوجز لحذف أداة التشبيه منه.

١- بهم جمع بهمة وهو الشجاع.

ويعدُّ منه ما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه كما في قول الشريف الرضي:

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت حوامل المزن في أجداثكم تضعُ

وهو يريد السحب المشبهة بالحوامل من الحيوان بجامع ما في كلٍّ من المنفعة، وكما في قول غيره:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيلِ على لجين الماء

وهو يريد الأصيل المشبّه بالذهب والماء المشبّه باللجين يعني الفضّة.

وجه الشبه:

وجه الشبه هو المعنى المشترك بين طرفي التشبيه الأساسيين المشبّه والمشبّه به، أو هو الوصف الخاصّ الذي يشتركان فيه تحقيقاً أو تخييلاً.

ومعنى (تحقيقاً) أن يتقرّر المعنى المشترك في كلّ من المشبّه والمشبّه به على وجه التحقيق، مثل تشبيه الرجل بالأسد، فالشجاعة هي المعنى المشترك بين الرجل والأسد، وهي على حقيقتها موجودة في الرجل، وإنّما يقع الفرق بينه وبين الأسد الذي شُبه به من جهة قوة الشجاعة وضعفها وزيادتها ونقصانها.

ومثل تشبيه الشّعر بالليل ووجه الشّبه هنا هو السواد وهو مأخوذ من صفة موجودة في المشبّه وموجودة في المشبّه به وجوداً حقيقياً.

ومعنى (تخييلاً) ألا يكون المعنى المشترك في أحد الطرفين أو كليهما إلاّ على ضرب من التأويل، فتقوم المخيّلة بجعل ما ليس محقّقاً محقّقاً، نحو تشبيه السيرة بالمسك والأخلاق بالعنبر، فقد شاع وصف كلّ من السيرة

والأخلاق بالطيب توسّعاً حتّى تُخُيِّلَ أنّهما من الأجناسِ ذاتِ الرائحة الطيّبة فشبّهوهما بكلٍّ من المسك والعنبر في الطيب.

اقرأ معي شاهد البلاغيّين على هذا الكلام، وهو قول القاضي التنوخي:

وكأنَّ النجومَ بين دجاهُ سُنَنٌ لاحَ بينهنَّ ابتداعُ

ترَ أنَّ وجه الشبه هو الهيئة الناتجة عن حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، وهي غير موجودة في المشبّه به إلاّ على طريقة التخييل، وذلك أنّه لّما كانت البدع والضلالات تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي إلى الطريق الذي تقع به النجاة شُبهّتْ بالظلمة، وشاع ذلك حتّى قيل: شاهدتُ سواد الكفر من جبين فلان لتخييل أنَّ البدعة نوع له زيادة اختصاص بسواد اللون، لأجل ذلك صار تشبيه النجوم بين الدياجي بالسنن بين الابتداع واضحاً جليّاً كما تُشبّه النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب.

وإذا أردت المزيد من التوضيح اقرأ قول الشاعر:

ولقد ذكرتك والظلامُ كأنّهِ يومُ النوى وفؤادُ من لم يعشقِ

فإنّه لمّا كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسّعاً فيقال: أظلمتْ عليّ الدنيا واسودّ النهار في عيني، ولمّا كان المحبّ يفترض القسوة فيمن لم يعشق، وكان القلب القاسي يوصف بالسواد توسّعاً، تخيّل الشاعر العاشق يومَ النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد، وجعلهما أعرفَ به وأشهر من الظلام فشبّهه بهما، وأنت ترى أنّ وجه الشبه (السواد) موجود في الظلام

حقيقة، لكنّه ليس موجوداً في يوم النوى وفي الفؤاد الذي لم يحشق إلاّ على سبيل التخييل، فيوم لقاء الأحبّة يوم أبيض ويوم فراقهم يوم أسود.

وجه الشبه المفرد والمتعدد:

قد يكون وجه الشبه واحداً كالجرأة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد، والحمرةِ في تشبيه الخدّ بالورد، والكرم في تشبيه زيدٍ بحاتم الطائي، قال الشاعر:

وسهيل كوجنة الحِبِّ في اللو ... نِ وقلب المحبّ في الخفقانِ

وقال آخر:

والعمرُ مثلُ الكأس يرسبُ في أواخرها القذى

وقد يكون وجه الشبه متعدّداً أي أنّه يأتي في أسلوب التشبيه عدد من أوجه الشبه اثنان أو ثلاثةٌ أو أربعةٌ، نقول - مثلاً- زيدٌ مثل أبيه شجاعةً وحنكةً وخلقاً وأدباً، قال الشاعر:

مثل الغراب بدا يباري صحبَهُ ... بسوادِ صبغتِهِ وحُسْنِ قَوامِهِ

وجه الشبه في البيت أكثر من واحد: سواد صبغته وحسنُ قوامه.

أقسام التشبيه بالنظر إلى وجه الشبه

التشبيه بالنظر إلى وجه الشبه ثلاثة أقسام: مفصَّلٌ (إذا ذكر الوجه) ومجملٌ (إذا لم يذكر الوجه) وتمثيلٌ (إذا كان الوجه منتزعاً من متعدّد).

المفصّل:

كما في قول المتنبي:

فتىً كالسحاب الجون يُخشى ويُرتجى   يُرجّى الحيا منها وتُخشى الصواعق

يريد أنّ الممدوح مثل السحاب رجاء للنفع وخشية من الضرر، وهذا هو وجه الشبه.

وكما في قول ابن الرومي:

يا شبيه البدر في الحسـ   ـن وفي بُعد المنالِ

جُدْ فقد تنفجرُ الصخـ   ـرةُ بالماء الزلالِ

فالحسن وبُعد المنال هما وجه الشبه، ومن هذا قول الشاعر:

أنت بدرٌ حسناً وشمسٌ علوّاً   وحسامٌ حزماً وبحرٌ نوالا

المجمل:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١]، أي في الخفة وسرعة الحركة، وفي قول المتنبي:

وزيارةٍ عن غيرِ موعدٍ　　　كالغمضِ في الجفنِ المسهَّدْ

يقول: اتفقت لنا هذه الزيارة وكانت لطيبها (وهو وجه الشبه المحذوف) كالنوم في جفن الساهد، وفي قول الآخر:

وكأنَّ إيماضَ السيوفِ بوارقٌ　　　وعجاجَ خيلِهمُ سحابٌ مظلمْ

حيث ترى تشبيهين: تشبيه إيماض السيوف بالبرق في الظهور وسرعة الخفاء (وهذا هو وجه الشبه المحذوف)، وتشبيه عجاج الخيل بالسحاب المظلم في سواده وانعقاده في الجوّ (وهذا هو الوجه المحذوف).

التمثيل:

فرّق البلاغيون بين التشبيه والتمثيل، فقد عقد عبد القاهر الجرجاني فصلاً طويلاً تحدث فيه عن التشبيه والتمثيل والفرق بينهما من خلال عبارته ((كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً))[1]، والتشبيه على ذلك ضربان:

أ- تشبيه غير تمثيلي وهو ما كان وجه الشبه فيه أمراً بيّناً بنفسه لا يحتاج إلى تأوّل لأنّ الطرفين فيه يشتركان بصفة ظاهرة مثل تشبيه القدّ اللطيف بالغصن في لطافته ومرونته، والرجل القوي بالأسد والمرأة الجميلة بالشمس...

ب- تشبيه تمثيلي وهو ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من متعدّد، اقرأ قوله تعالى:

١- انظر أسرار البلاغة ص ٨٣ وما بعدها.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، تجد أنّ المشبّه حال من ينفق قليلاً في سبيل الله ثم يلقى عليه جزاء جزيلاً، وأنّ المشبّه به حال من بذر حبّة فأنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مئة حبّة، وأنّ وجه الشبه هو صورة من يعمل قليلاً فيجني من ثمار عمله كثيراً.

ولعلك لاحظت أنّ وجه الشبه الذي قدّرناه ليس لفظاً مفرداً بيّناً محسوساً أو معقولاً، وإنّما هو صورة منتزعة من كل المشبّه ثمّ من كلّ المشبّه به، بمعنى أنّه لم يؤخذ من ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ وحسب، بل من ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ كلّها، وهو في الطرف الثاني لم يؤخذ من ﴿ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ وحسب بل من ﴿ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ كلّها، وللتوضيح أيضاً لم يؤخذ وجه الشبه من لفظ وإنّما أُخذ من مجمل صورة الطرف الأول ومجمل صورة الطرف الثاني، لذلك عرّف بعض البلاغيّين تشبيه التمثيل بأنه تشبيه صورة بصورة. ومن هذا النوع ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

ثم أمعن النظر في قول كثيّر عزّة:

لقد أطمعتني بالوصال تبسّماً	وبعد رجائي أعرضتْ وتولّتِ
كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةٌ	فلمّا رجوْها أقشعت وتجلّتِ

Damascus University

تجده يشكو وقد أطمعتْه حبيبتُه بالوصال لما رأى من تبسّمها وبشاشة وجهها، ولكنّه حينما منّى نفسه بالرجاء تركتْه وأعرضتْ عنه، صورتُه وهو كذلك تشبه صورة قوم عطاش رأوا غمامة في السماء فأيقنوا بالمطر الذي سيُذهب ظمأهم، ولكنّها سرعان ما انقشعت، فما زادهم ذلك إلاّ تألّماً وحسرة.

ووجه الشبه في البيتين صورة من أيقن بالوصول إلى الهدف بعد أن بدتْ أسبابُه ومقدّماته ولم يبق بينه وبين ما يريد إلاّ قيد أنملة فتبدّدت آماله وضاعت أمانيه، ولمّا كان التشبيه بين صورتين ووجه الشبه منتزعاً من متعدّد ظهر أنه تشبيه تمثيلي.

ومن التشبيه التمثيلي قول ابن المعتز:

كأنّ سماءنا لمّا تجلّتْ خلال نجومها عند الصباح

رياضُ بنفسج خضل نداهُ تفتّح بينهُ نورُ الأقاحي

وجه الشبه فيه الصورة الحاصلة من شيء أزرق انتشرت في أثنائه صور صغيرة بيضاء.

اقرأ التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ [الكهف: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثمّ قول الرسول عليه السلام: مثل الذي يتعلّم العلم ثمّ لا يتحدّث به كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه.

أنواع التشبيه

التشبيه البليغ:

هو التشبيه الذي حذفت منه الأداة والوجه، فبدلاً من أن تقول: زيد كالأسد في الشجاعة أو: زيد كالأسد، أو: زيد أسد في الشجاعة؛ تقول: زيدٌ أسدٌ.

وهو أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوّة المبالغة لِما فيه من ادّعاء أنّ المشبّه هو عين المشبّه به فلا يفصل بينهما فاصل ولا يُذكر الوجه حتّى لا يكون ثمّة تقييد، ثمّ لِما فيه من الإيجاز الناشئ عن حذف الركنين (الأداة والوجه) معاً، هذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كلّ مذهب.

من شواهد هذا النوع عند عبد القاهر الجرجاني قول الشاعر[1]:

يزور الأعادي في سماء عجاجةٍ ... أسنّتُهُ في جانبيها الكواكبُ

الشاهد: أسنته الكواكب، ذكر الطرفين الأساسيّين المشبّه والمشبّه به وحذف الأداة والوجه.

ومنه قول الشاعر:

فالأرضُ ياقوتةٌ والجوّ لؤلؤةٌ ... والنبتُ فيروزجٌ والماءُ بلّورُ

التشبيه الضمني:

هو التشبيه الذي لا يُذكر فيه الطرفان الأساسيان صريحين وإنّما يُلمحان من التركيب ويُفهمان من السياق لذلك سمّي ضمنياً، وهذا النوع من

---

[1]- أسرار البلاغة: ص ١٥١.

التشبيه يأتي في أعقاب الكلام من أجل إقناع المخاطَب أو القارئ بفكرة المتكلم أو الكاتب، فعندما تقرأ – مثلاً– قول المتنبيّ:

مَنْ يهن يسهلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

لا ترى مشبّهاً صريحاً ولا مشبّهاً به صريحاً وإنّما تفهم من السياق أنّ هاهنا تشبيهاً، بمعنى أنّ من يقبل الذل أو الإهانة مرة يقبلها كلّ مرّة، ومن أجل أن يقنعنا الشاعر بفكرته هذه ذكرنا بأنّ الميت لا يؤلمه ضرب ولا يؤذيه جرح عاقداً بين من قبل الذلّ وهذا الميت تشبيهاً يفهمه القارئ من السياق، وجاءت عبارته (ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ) كما ترى في أعقاب الكلام لتزيدنا إقناعاً.

وقد استشهد عبد القاهر الجرجاني على هذا النوع من التشبيه بقول المتنبيّ أيضاً:

فإنْ تفق الأنامَ وأنتَ منهمْ فإنّ المسك بعضُ دم الغزالِ

وعلّق عليه بقوله: ((أراد أنّه فاق الأنام وفاتهم إلى حدّ بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة، بل صار كأنّه أصل بنفسه وجنس برأسه، وهذا أمر غريب وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصّة به إلى أن يصير كأنّه ليس من ذلك الجنس، وبالمدّعى له حاجة إلى أن يصحّح دعواه في جواز وجوده على الجملة إلى أن يجيء إلى وجوده في الممدوح، فإذا قال: (فإن المسك بعض دم الغزال)) فقد احتجّ لدعواه وأبان أنّ لما ادّعاه أصلاً في الوجود، وبرّأ نفسه من صفة الكذب وباعدها من سفه المقدم على غير بصيرة والمتوسّع في الدعوى من غير البيّنة، وذلك أنّ

المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتّى لا يُعدّ في جنسه إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصّة بوجه من الوجوه لا ما قلّ ولا ما كثر، ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دماً البتّة))[1].

خذ مثالاً آخر من شعر أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهمُ ... وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ

تر المراد أنّ قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم ويطلبونه فلا يجدونه، ولا عجب في ذلك لأنّ البدر يُفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام، وهذا الكلام يُوحي بأنّه تضمّن تشبيهاً غير مصرّح به، فالشاعر يشبّه ضمناً حاله وقد ذكره قومه وطلبوه فلم يجدوه عندما ألمّت بهم الخطوب بحال البدر في حلكة الليل، والشاهد في البيت – كما رأيت– هو الشطر الثاني الذي جاء في أعقاب الكلام للإقناع وشدّة التأثير.

ومن أمثلة هذا النوع من التشبيه قول ابن الرومي:

قد يشيبُ الفتى وليس عجيباً ... أن يُرى النَّورُ في القضيب الرطيب

والمعنى: قد يعتري الفتى الشيب في ريعان شبابه، وليس ذلك بالأمر العجيب لأنّ الغصن قد يظهر فيه الزهر الأبيض قبل أوانه.

وقول أبي تمّام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حربٌ للمكان العالي

---

[1] – أسرار البلاغة: ص ١٠٣–١٠٤.

التشبيه المقلوب:

يظهر من اسم هذا النوع أنّ قلباً جرى في أسلوب التشبيه فجعل المشبّه مشبّهاً به والمشبّه به مشبّهاً، فبدلاً من أن نقول: هند كالقمر، نقول: القمر يشبه هنداً، وبدلاً من: زيدٌ كالبحر، نقول: البحر يحاكي زيداً، وهكذا.

والمراد من هذا التشبيه المبالغة وادّعاء أنّ وجه الشبه في المشبّه أقوى وأظهر لذلك قلبه، لأنّ من عادة العرب أن تكون الصفة في المشبّه به أظهر منها في المشبّه، وهنا صار المشبّه مشبّهاً به.

والعرب أصحاب البيان أرادوا أن يعبّروا عمّا في دواخلهم ويسلكوا السبيل التي تشبع رغبتهم في التعبير وهي سبيل المبالغة، فلربّما وجدتَ أديباً أو شاعراً لم يُرضِ التشبيه نزعته إلى الإغراق، يقول المتنبيّ مادحاً:

يجلّ عن التشبيه لا الكفّ لجّةٌ ... ولا هو ضرغامٌ ولا الرأي مخذَمُ

أتنقصه من حظّه وهو زائدٌ ... وتبخسه والبخس شيء محرّمُ

فقد رأى الشاعر أنّ ممدوحه فوق كلّ تشبيه، فلم يُرضه أن يشبّه كفّه باللجّة أو يشبّه ممدوحه بالضرغام ولا رأيه بالسيف القاطع، فممدوحه فوق كلّ هذا.

وفي جنّة من جنان الأرض يقول المتنبيّ:

خضراءُ حمراءُ الترا ... بِ كأنّها في خدّ أغيدْ

أحببتُ تشبيهاً لها ... فوجدتهُ ما ليس يوجدْ

ما السبيل إذاً من أجل تحقيق هذه المعاني؟ السبيل هي قلب التشبيه، يقول عبد القاهر الجرجاني[1]: وعُرفة عندهم – أي عند العرب– تشبيه ثدي الكواعب بالرّمان ثمّ قلبوا فشبّهوا الرّمان بالثدي كقول القائل:

ورمّانة شبّهتُها إذ رأيتُها بثدي كعابٍ أو بحقّة مرمرِ
منمنة صفراءُ نُضّد حولها يواقيتُ حمرٌ في ملاء مُعَصْفرِ

ويقول في موضع آخر[2]: من شأن الدموع أن تشبّه إذا قطرتْ على خدود النساء بالطلّ والقطر على ما يشبه الخدود من الرياحين كقول الناشي:

بكت للحبيب وقد راعَها بكاءُ الحبيب لبعد الديار
كأنّ الدموع على خدّها بقيّةُ طلٍّ على جلّنار

ثمّ يعكس كقول البحتري:

شقائق يحملن الندى فكأنّه دموعُ التصابي في خدود الخرائد

انتهى كلام عبد القاهر.

وشاهد البلاغيين على هذا النوع – أي: التشبيه المقلوب– قول محمد ابن وهيب الحميري مادحاً:

وبدا الصباحُ كأنّ غرّتهُ وجهُ الخليفة حين يُمتدحُ

فالمشبه هنا هو ضوء الصباح في أول تباشيره، والمشبّه به هو وجه الخليفة عند سماعه المديح، والتشبيه كما ترى مقلوب، والأصل فيه هو العكس.

---

[1]– أسرار البلاغة: ص ١٨٣– ١٨٤.

[2]– أسرار البلاغة: ص ٢٨٨.

ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر:

أحنُّ لهمْ ودونَهمُ فلاةٌ كأنّ فسيحها صدرُ الحليم

وذهب بعض الشعراء إلى ما هو أبعد من قلب التشبيه، فلم يقبلوا به لأنّه – في رأيهم– أقلّ ممّا يريدون، يقول العباس بن الأحنف:

قالتْ ظلومٌ وما جارتْ وما ظلمتْ إنّ الذي قاسني بالبدرِ قد ظلما

البدرُ ليسَ لهُ عينٌ مكحّلةٌ ولا محاسنُ لحظٍ يبعثُ السقما

ويقول ابن عبد ربّه:

أدعو عليك فلا دعاءٌ يُسمعُ يا مَنْ يضرُّ بناظريهِ وينفعُ

للوردِ حينٌ ليسَ يطلعُ دونهُ والوردُ عندك كلَّ حينٍ يطلعُ

ومن البديع في هذا الباب قول أبي نواس في مدح الأمين:

تتيهُ الشمسُ والقمرُ المنيرُ إذا قلنا كأنّهما الأميرُ

فإنْ يك أشبها منه قليلاً فقد أخطاهُما شَبَهٌ كثيرُ

لأنّ الشمسَ تغربُ حين تُمسي وأنّ البدرَ ينقصُهُ المسيرُ

ونورُ محمّدٍ أبداً تمامٌ على وَضَحِ الطريقةِ لا يجورُ

أغراض التشبيه

الغرض الأساسي من التشبيه هو الإيضاح والبيان والإيجاز، يضاف إليها:

- بيان إمكانيّة وجود المشبّه، ويكون المشبّه هنا أمراً مستغرباً لا يمكن فهمه وتصوّره إلا بذكر شبيه له، كما في قول البحتري:

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ مجداً ... فشأناك انحدار وارتفاعُ

كذاك الشمسُ تبعدُ أن تسامى ... ويدنو الضوء منها والشعاعُ

فقد أثبت الشاعر للممدوح صفتين متناقضتين هما القرب والبعد، ولمّا كان ذلك غيرَ ممكن ضرب له المثل بالشمس ليبيّن إمكان ما قال.

وكما في قوله أيضاً:

دان إلى أيدي العفاة وشاسعٌ ... عن كلّ ندّ في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلوّ وضوؤه ... للعصبة السارين جدّ قريب

- بيان حال المشبّه، ويكون المشبّه هنا مجهول الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف كما في قول ابن الرومي:

حبرُ أبي حفصٍ لعــابُ الليلِ ... يسيلُ للإخـــوان أيّ سيل

فالمشبّه هو حبر أبي حفص أو مداده، والمشبّه به لعاب الليل أي سواده والمشبّه (الحبر) مجهول الصفة لأنّ له أكثر من لون، لذلك التمس الشاعر له مشبّهاً به لعاب الليل الأسود حتّى يبيّن حاله.

ومن هذا الغرض قول النابغة الذبياني مادحاً النعمان بن المنذر:

كأنّك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

فالمراد هنا عظم حال النعمان وصغر حال الملوك الآخرين إذا قيسوا به، وقدشبّهه الشاعر بالشمس والملوك بالكواكب، لأنّ الشمس تُخفي الكواكب، ولا ظهور للملوك أمام النعمان.

- بيان مقدار حال المشبّه، ويكون المشبّه هنا غير معروف المقدار في القوّة والضعف والزيادة والنقصان كما في قول عنترة:

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً　　　سوداً كخافية الغراب الأسحم

يخبرنا بأنّ حمولة أهل حبيبته تتألّف من اثنتين وأربعين ناقة تحلب، ثم وصف هذه النوق بأنّها سود، والنوق السود من أنفس الإبل وأعزّها عند العرب، ولبيان مقدار سواد هذه النوق شبّهها بخافية الغراب الأسحم.

وهذا هو الغرض المراد في قول الأعشى:

كأنّ مشيتها من بيت جارتها　　　مرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

- تقرير حال المشبّه حتّى تتوضّح صورته في النفس ويثبت في القلب ثبوتاً يوصله إلى اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٤].

فالآية تتحدّث عن المشركين الذين يتخذون آلهة غير الله، وتصفهم بأنهم إذا دعوا آلهتهم لا تستجيب لهم ولا يعود عليهم دعاؤهم إيّاها بفائدة، وقد أراد الله تعالى أن يقرّر هذه الحال ويثبتها في الأذهان فشبّه هؤلاء بمن بسط كفّيه إلى الماء ليشرب فلا يصل إلى فمه لأنّه يتسرب من أصابعه ما دامت كفّاه مبسوطتين.

ومن إرادة هذا الغرض في التشبيه قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [العنكبوت: ٤١]، ثم قول الشاعر:

وأصبحتُ منْ لَيْلى الغداة كقابضٍ على الماء خانتْهُ فُروجُ الأصابعِ

– تحسين المشبّه وتزيينه والترغيب فيه بمشبّه به حسن الصورة، كما في قول أبي الحسن الأنباري يرثي الوزير ابن بقيّة بعد ما قُتل وصُلب:

كأنّك قائمٌ فيهم خطيباً وكلّهمُ قيامٌ للصلاةِ

مددتَ يديك نحوهُم احتفاءً كمدّهما إليهم بالهباتِ

وكما في قول البهاء زهير يصف سمراء طويلةً:

وسمراء تحكي الرمح لوناً وقامةً لها مهجتي مبذولة وقيادي

لقد عابها الواشي فقال: طويلةٌ مقالُ حسودٍ مظهر لعنادِ

فقلتُ له بشّرت بالخير إنّها حياتي وإن طالَت فذاك مرادي

وماعابها القدّ الطويلُ وإنّه لأوّلُ حسنٍ للمليحة بادِ

رأيتُ الحصونَ الشمَّ تحرسُ أهلَها فأعددتُها حصناً لحفظ ودادي

– تقبيح المشبّه وتشويهه، بحيث يشبّه بأقبح منه ممّا يدعو النفس إلى كرهه والنفور منه واستهجانه، يقول المتنبيّ هاجياً:

وإذا أشار محدّثاً فكأنّه قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطِمُ

فهو يشبّه مهجوّه عندما يتحدّث بالقرد الذي يقهقه والعجوز التي تلطم.

وهذا هو عرض مَنْ قال:

إذا مال الفتى للسود يوماً فلا رأيٌ لديه ولا رشادُ

أتهوى خنفساءَ كأنّ زفتاً كسا جلداً لها وكُو السوادُ

وما السوداء إلا قدر فرن وكانون وفحم أو مدادُ

من محاسن التشبيه

– أن يُمثّل الغائب الذي لا يُعتاد بالظاهر المعتاد ممّا يؤدي إلى إيضاح المعنى وبيان المراد، ففي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، كشفٌ وإيضاح لحال أولئك الكفّار التي يظنّون بها الإصابة وهي لاجدوى لها عن طريق هذا التشبيه بالرماد الذي تتسلّط عليه الرياح فتبدّده ولا تذر منه شيئاً.

– أن يمثّل الشيء بما هو أعظم منه في الاتصاف بالصفة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، فشبّه السفن الجارية على ظهر البحر بالجبال في كبرها وعظمتها.

ولا يكون التشبيه داخلاً في سلك البلاغة إلاّ إذا كان المشبّه به حاملاً أعظم الصفة أو المعنى المراد؛ لذلك ليس من البلاغة تشبيه الرجل الشجاع بالنمر، لأن الأسد أقوى منه، وليس منها تشبيه الرجل الكريم بالجدول أو الساقية لأنّ البحر أكثر عطاءً، وهكذا.

– أن يؤدي الإيجاز الشديد والاختصار العجيب، وهذا مقصد عظيم من مقاصد البلاغة التي كثيراً ما قال العلماء فيها إنّها لمحة دالّة، فبدلاً من أن تقول –مثلاً– زيد قوي القلب شديد البطش قادر على الهجوم لايخامره الخوف ولا ينتابه الذعر، بدلاً من هذا كلّه تقول: زيد كالأسد، وتكون بذلك قد جمعت كلّ المعاني التي أردتها بهذا التشبيه الموجز.

يظهر هذا الإيجاز المعجز في التشبيه الوارد في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ

الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥]، فقد اشتملت هذه الآية على أنواع من تشبيهات أشياء بأشياء في معانٍ وأوصاف لو فصلت لا حتاجت إلى شرح كبير.

كما يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: ٤٩-٥٠]، ثمّ قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ* تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ٣-٥].

من عيوب التشبيه

التشبيه ضرب من التصوير لا تتأتّى الإجادة أو الإبداع فيه إلاّ لمن توفرت له أدواته من لفظ ومعنى وصياغة، ومن رهافة حسّ وسموّ خيال وبراعة في تشكيل صور التشبيه على نحو يمنحها الجمال والتأثير ويبثّ فيها الحركة.

من أجل ذلك يقال إنّ التشبيه – من بين ألوان البلاغة الأخرى– ممعن في الترف كثير الأناقة، رقيق المزاج، أيّ تهاون في أدائه يعيبه ويخرجه من الحسن إلى القبح.

وللقبح جهات منها ما يرجع إلى اللفظ ومنها ما يرجع إلى المعنى ومنها ما يرجع إلى الصياغة أو الخيال.

فمن الأصول البلاغيّة أن يشبّه الشيء بما هو أكبر وأقوى منه، فيشبّه البيّن بما هو أبين والواضح بما هو أوضح والحسن بالأحسن والقبيح بالأقبح، وإلاّ كان التشبيه ناقصاً.

ومنها أن يثبت للمشبّه حكم من أحكام المشبّه به، فإذا لم يكن بهذه الصفة أو كان بين المشبّه والمشبّه به بُعد فإنّ ذلك مما يعيب التشبيه ويضع من قيمته البلاغيّة.

اقرأ قول الشاعر:

وخالٍ على خدّيك يبدو كأنّه ... سنا البدر في دعجاء بادٍ دجونها

(الدعجاء: الليلة الدعجاء شديدة السواد، والدجون السواد).

تجد أنّ التشبيه فيه بعيد كلّ البعد، إذ المتعارف عليه أنّ الخدود بيض والخال أسود، ولكنّ الشاعر على الرغم من ذلك شبّه الخال بضوء البدر والخدّين بالليلة المظلمة فهو تشبيه رديء.

واقرأ قول الشاعر يصف روضاً:

كأنّ شقائقَ النعمان فيه ... ثيابٌ قد روين من الدماء

تجد أنّ تشبيه شقائق النعمان بالثياب المرتوية بالدماء – ولو كان مصيباً – إلاّ أنّ فيه بشاعة بذكر الدماء، ولو شبّهها بأي أحمر غير ذلك لكان أوقع في النفس وأقرب إلى الأنس.

ثم اقرأ وتبيّن قول الشاعر:

يدبّ هواها في عظامي وحبّها ... كما دبّ في الملسوع سمّ العقارب

وقول غيره في وصف مغنّية:

وترفع الصوت أحياناً وتخفضه ... كما يطنّ ذباب الروضة الغرِدُ

تدريبان محلولان في بحث التشبيه

الأول: بيّن أركان التشبيه فيما يلي:

أ- قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله).

ب- وما الموتُ إلا سارقٌ دقَّ شخصُهُ
يصولُ بلا كفٍّ ويسعى بلا رِجْلِ

ج- ووجهٍ كأنّ الشمس ألقت رداءها
عليه نقيِّ اللّونِ لم يتخدَّدِ

د- أرى عهدكم كالوردِ ليس بدائمٍ
ولا خيرَ في مَنْ لا يدومُ له عهدُ

الجواب:

أ- المشبّه: هو الساعي على الأرملة والمسكين، المشبّه به: المجاهد، الأداة: الكاف، وجه الشبه: محذوف تقديره (الأجر والمثوبة).

ب- المشبّه: الموت، المشبّه به: سارق، الأداة: محذوفة، وجه الشبه: محذوف تقديره (الخفاء).

ج- المشبّه: وجه، المشبّه به: الشمس، الأداة: كأنّ، وجه الشبه: الصفاء والإشراق.

د- المشبّه: عهدكم، المشبّه به: الورد، الأداة: الكاف، وجه الشبه: عدم الدوام.

الثاني: بيّن نوع التشبيه في الأمثلة التالية:

أ- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

ب- كم مريضٍ قد عاش مِن بعد يأسٍ

بعدَ موتِ الطبيبِ والعُوّادِ

قد يُصادُ القَطا فينجو سليماً

ويَحُلُّ القضاءُ بالصيّادِ

ج- ولاحَ ضوءُ قُميرٍ كادَ يفضحنا

مثل القُلامةِ قد قُدّت من الظفرِ

د- فاقضوا مآربكم عجالاً إنّما

أعمارُكُم سَفَرٌ من الأسفارِ

هـ- لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبُهُ

فربّما صحّت الأجسامُ بالعللِ

و- والشيبُ ينهضُ في الشباب كأنّه

ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

الجواب:

أ- تمثيلي، فقد شبّه حال الدنيا في سرعة تقضّيها وزوال نعيمها بعد الإقبال بحال النبات الذي زيّن الأرض بخضرته ثم صار حطاماً، ووجه الشبه: صورة شيء مبهج يبعث الأمل في النفس ثم لا يلبث أن يزول ويختفي.

ب- ضمني، فُهم منه تشبيه حال المريض الذي عاش من بعد يأس، وموت الطبيب والعوّاد بحال طائر القطا ينجو من الاصطياد ويهلك صائده.

ج- مقلوب. د- بليغ لعدم ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه.

هـ- ضمني، فُهم منه تشبيه حال العتاب الذي تكون عواقبه محمودة بحال العلل التي تؤدي إلى صحّة الأجسام.

و- تمثيلي، فقد شبّهت حال بياض الشيب وهو يمحو سواد الشعر في سرعة مخيفة بحال بياض النهار وهو يمحو سواد الليل حتى يزيله كلّه، ووجه الشبه هو صورة شيء أبيض يُسرع في محو شيء أسود ويحتلّ مكانه.

تدريبات يُطلب حلها في بحث التشبيه

الأول: بيّن أركان التشبيه في الأمثلة التالية:

أ- ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧].

ب- فخضرتُها كالجوِّ في حسنِ لونِهِ
وأنوارُها تحكي لعينيك أنجما

ج- جاءت بوجه كأنَّه قمرٌ
على قوام كأنَّه غصنُ

د- إنّ الحقائق كالصباح جميلةٌ
للناظرين وكالنجوم عوارِ

هـ- إنّ الرسولَ لنورٌ يستضاءُ بِهِ
مُهنّدٌ من سيوفِ الله مسلولُ

الثاني: بيّن نوع التشبيه في الأمثلة التالية:

أ- فإنّك شمسٌ والملوك كواكبٌ
إذا طلعت لم يبدُ مِنْهُنّ كوكبُ

ب- إن القلوب إذا تنافر وِدُّها
مثلُ الزجاجة كسرها لا يُجْبرُ

ج- يهزّ الجيشُ حولك جانِبَيه
كما نفضت جناحيها العقابُ

د- قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ
وليس ينفع بعد الكبرةِ الأدبُ

إنّ الغصـــون إذا قوّمتهـــا اعتدلتْ

ولا تليـــــن إذا قوّمتـــها الخشـــبُ

هـــ عـــلا فما يستقرّ المـــالُ في يده

وكيف تُمسكُ ماءً قنّـــةُ الجبـــــل

و- ليَ مـــــوليً لا أسمِّيـــــــــــهِ

كـــلُ شـــيءٍ حـــسن فيـــــه

تصف الأغصـــــان قامتَــــه

بتـــــــثنٍ كتثنِّيـــــــــــــــه

ويكـــاد البـــدر يـــــشبهه

وتكـــاد الـــشمس تحكيــــــه

ز-قال الصنوبري واصفاً الربا في فصل الربيع:

وردٌ بدا يحكي الخدود ونرجس ... يحكي العيون إذا رأت أحبابها

وشقائقٌ مثل المطارف قد بدت ... حمراً وقد جعل السواد كتابها

والسرو تحسبه العيون غوانياً ... قد شمّرت عن سوقها أثوابها

وكأنّ إحداهنّ من نفح الصَّبا ... خود تُلاعب موهناً أترابها

المبحث الثاني

الحقيقة والمجـــاز

الحقيقة:

يقال: حقّ الأمر يحقّ بمعنى صار حقاً وثبت، قال تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] أي صار حقاً.

والحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة على بعض الأقوال، وهي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة، قال الجاحظ عندما تعرّض لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾: ويذكرون ناراً أخرى وهي على طريق المثل لا على طريق الحقيقة(١).

ويذكر ابن جنّي أن الحقيقة هي ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة(٢).

وإنّما تم تقسيم الكلام عند العرب إلى حقيقة ومجاز في القرن الثالث الهجري وما بعده.

يقول عبدُ القاهر الجرجاني: كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع، وإن شئت قلت في مواضعة وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة(٣).

١- الحيوان ٥/١٣٣.

٢- الخصائص ٢/٤٤٢.

٣- أسرار البلاغة : ٣٠٣.

أما صاحب التلخيص فالحقيقة عنده هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب[1].

والحقيقة عندهم ثلاثة أنواع: الحقيقة الشرعية والحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية، والمهمّ هنا النوع الأخير أي الحقيقة اللغوية، وهي التي وضعها واضع اللغة ودلّت على معان مصطلح عليها في تلك المواضعة مثل: الجبل والرجل والقلم والشمس، فإذا استعملت في معناها الأصلي فهي حقيقة (لغوية) وإذا استعملت في غيره فهي مجاز كما سترى.

وعلى ذلك فكل كلمة في لغتنا العربية السمحة ذات معنى موضوع لها، وضعه- أو اتفق عليه- أصحابها ليدلّ به على شيء محدد، فإذا استخدمت هذه الكلمة وكان المراد معناها الدالّ عليها في الوضع اللغوي كان استخدامها حقيقياً.

يقول عبد القاهر الجرجاني: ((الحقيقة في المفرد هي كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعاً لا يستند فيه إلى غيره))[2].

ويقول ابن الأثير: ((إنّ الحقيقة هي اللفظ الدالّ على موضوعه الأصلي، والحقيقة اللغويّة هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني))[3].

نقول: وهذا هو الأصل في الاستخدام، اقرأ أبياتاً لابن الوردي ينصح فيها ابنه قائلاً:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هزل

١- التلخيص : ٢٩٣.

٢- أسرار البلاغة: ص ٣٠٣.

٣- المثل السائر: ١/١٠٥-١٠٦.

واهجرِ الخمرة إن كنت فتىً ... كيف يسعى في جنونٍ مَنْ عقلْ
واتّقِ الله فتقوى الله ما ... جاورتْ قلبَ امرئٍ إلاّ وصلْ
واطلبِ العلم ولا تكسلْ فما ... أبعد الخير على أهل الكسلْ
لا تقلْ قد ذهبتْ أربابُهُ ... كلّ مَنْ سار على الدرب وصلْ
لا تقل أصلي وفصلي أبداً ... إنّما أصلُ الفتى ما قد حصلْ

تجد أنّ ألفاظها وكذلك تراكيبها استخدمت لمعانيها الأصلية الموضوعة بها في اللغة فهو استخدام حقيقي، وهذه هي الحقيقة.

لكنْ قد يلجأ المتكلّم إلى استخدام الكلمة في معنى غير المعنى الذي وضع لها، أي يجوز بها معناها الحقيقي إلى معنى آخر، وهذا يسمّى المجاز.

خذ مثلاً كلمة (البحر) التي تدل في أصلها على معنى مكان الماء الواسع الكثير، واستخدمْها في جملة مثل (سافرت عن طريق البحر) تجد أن الناس جميعاً فهموا أن المراد بـ (البحر) هو المعنى الحقيقي.

ثمّ خذ الكلمة ذاتها وأطلقْها على رجل كريم تريد مدحه واستخدمْها في جملة مثل (زارني البحر) تجد أن الكلمة هنا لم تدلّ على معنى الماء الواسع الكثير وهو الموضوع لها، وإنّما جاوزته إلى معنى آخر وهو كرم هذا الممدوح، لعلاقة بين معناها الحقيقي (الكثرة الدالّة على معنى العطاء) ومعناها المجازي (كرم الرجل) الذي يحمل أيضاً معنى العطاء، فهاهنا علاقة مشابهة بين المعنيين، الأول حقيقي والثاني مجازي، بمعنى أنك استخدمت لفظ البحر في (زارني البحر) استخداماً مجازياً، وهناك قرينة دلّت على مجازيّة الاستخدام وهي كلمة (زارني) لأنّ البحر الحقيقي – أو بمعناه الحقيقي – لا يزور أحداً.

واقرأ قول المتنبي يصف سيف الدولة الحمداني وقد نزل المطر عليه وكان متقلداً حساماً:

لعيني كلّ يوم منك حظّ   تحيّر منه في أمر عُجابِ

جمالةُ ذا الحسام على حسامٍ   وموقعُ ذا السحابِ على سحابِ

وتأمّل البيت الثاني تجد أنّ كلّ شطر منه اشتمل على كلمتين متشابهتين في لفظهما، ففي الشطر الأول تلحظ كلمتي (الحسام) و (حسام)، وفي الشطر الثاني كلمتي (السحاب) و (سحاب)، وتجد أن كلمة الحسام معناها السيف، ولأنّ هذا المعنى يوافق معناها في اللغة، فإنّ استعمال الكلمة هنا استعمال حقيقي.

أمّا (حسام) الثانية فإنّ الشاعر لا يريد بها السيف وإنما يقصد بها الأمير ذاته، ولأنّ هذا الاستعمال لا يتفق مع معناها في اللغة وإنما تجاوز به الشاعر وأطلقه على ممدوحه لتشابهما في القوّة والمضاء، فإنّ استعمال الكلمة هنا استعمال مجازي.

ومثل ذلك قل في كلمتي (السحاب) و (سحاب)، فالأولى استعملها الشاعر في معناها المعروف في اللغة لذلك هو استعمال حقيقي، والثانية قصد بها الشاعر الأمير سيف الدولة وهذا ليس من معاني السحاب في اللغة، ولكنّ الشاعر يرى علاقة بين السحاب الذي يكون سبباً في الخصب والربيع وبين الأمير الممدوح الذي يغيث سائليه ويغمرهم بكرمه كما يغمر ماء السحاب الأرضَ، لهذا نقول إنّ استعمال (سحاب) استعمال مجازي.

يقول عبد القاهر الجرجاني: ((المجاز مفعَل من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، وإذا عُدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة وُصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً))[1].

ويقول في موضع آخر: أما المجاز فكلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما توضع له)).[2]

والمعنى المراد كما ترى أنّ المجاز هو الكلمة المستخدمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة.

ونشأة المجاز بصفته علماً له أسس وأصول وقواعد نشأة مبكرة عند العرب، وقد عُرف منه حقيقته وموضوعه دون اسمه، فالمجاز قائم على صرف اللفظ أو المركب اللغوي عن المعنى الوصفي الأصلي المتبادر إلى فهم السامع إلى معنى آخر تدل عليه الأحوال والقرائن.

ذُكر المجاز في كتاب سيبويه في (باب جرى مجرى الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى وذلك في قولك:

يا سارق الليلةِ أهلَ الدار

وتقول على هذا الحدّ: سرقتُ الليلةَ أهلَ الدار فتُجري الليلة على الفعل في سَعة الكلام)[3] فمصطلح سعة الكلام هو ما صار عند اللاحقين مجازاً.

١- أسرار البلاغة: ص ٣٤٢.

٢- أسرار البلاغة: ص ٣٠٤.

٣- الكتاب ١/١٧٥ – ١٧٦.

وفي (باب استعمال الفعل في اللفظ الأخير لاتّساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار).

يقول سيبويه: (وممّا جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جلّ جلاله: ﴿واسأل القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾ إنّما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا.

ومثله: ﴿بل مكر الليل والنار﴾ وإنّما المعنى: بل مكركم في الليل والنهار ...)[1]

وذُكر عند الفرّاء وذلك كخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي فقد قال تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ قال على وجه التعجب والتوبيخ لا على الاستفهام المحض أي ويْحكم كيف تكفرون[2].

وقد سمّى أبو عبيدة معمر بن المثنّى كتاباً في (مجاز القرآن) أشار فيه إلى المجاز المرسل والمجاز العقلي والاستعارة والمشاكلة ومجاز الحذف، قال مثلاً في قوله تعالى ﴿وأرسلنا السماء عليكم مدرارا﴾: مجاز السماء هاهنا المطر يقال: ما زلنا في سماء أي مطر أي أثر المطر وأنّى أخذتكم هذه السماء؟ وما زلنا نطأ السماء، ومجاز أرسلنا أنزلنا وأمطرنا[3].

١- الكتاب ١/ ٢١١ – ٢١٢.

٢- معاني القرآن للفراء ١/ ٢٣.

٣ – مجاز القرآن ١/ ١٨٦.

و أراد بالمجاز معنى أوسع وأشمل ممّا عرفناه عند البلاغيين بعده، أراد في مواضع كثيرة معنى التفسير، وقف عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، فقال: مجازه لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوها، وقالوا في المثل: تحسبها حمقاء وهي باخسة أي ظالمة[١].

وورد على لسان الجاحظ ت ٢٥٥ هـ في مواضع كثيرة، فعندما وقف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ [النساء: ١٠]، وقوله تعالى ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، قال: ((حيثُ يُقال لهؤلاء ذلك -يريد يأكلون وأكّالون – وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل وركبوا الدوابّ ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل، وقد قال الله عز وجلّ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ ، وهذا أيضاً مجاز آخر))[٢] ويسوق في كتابه كثيراً من الشواهد القرآنية والشعرية ثم يعلّق عليها بقوله: وهو كلّه مجاز.

واهتمّ بهذا اللفظ أي بالمجاز ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ في كتابه (تأويل مشكل القرآن) فهو يرى أنّ أكثر لغة العرب مجاز.

وعقد ابن جنّي في كتابه باباً سماه (باب الفرق بين الحقيقة والمجاز) قال: الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضدّ ذلك[٣].

١- مجاز القرآن ١/ ٢١٩، وأسرار البلاغة: ٣٠٤.

٢- الحيوان: ٥/ ١٠.

٣- الخصائص: ٢/ ٤٤٢.

وللشريف الرضي كتاب (تلخيص البيان في مجازات القرآن) وكتاب (المجازات النبوية).

كما أنّ ابن رشيق تكلم على المجاز وردّ فيه علىّ المنكرين، وهو الذي يقول: (العرب كثيراً ما تستعمل المجاز وتعدّه من مفاخر كلامها لأنه دليل الفصاحة ورأس البلاغة وبه بانت لغتها عن سائر اللغات)[1].

ثمّ كان أن درسه شيخ البلاغيين وإمامهم عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٠ هـ دراسة مستوفية في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) وهو الذي جعل المجاز نوعين أحدهما المجاز الحكمي. (وهو المجاز العقلي) والثاني المجاز اللغوي.

وستجد أن دراسات العلماء بعده عالة على دراساته في بيان معنى المجاز وأقسامه وأنواعه وعلاقاته وقرائنه.

وقبل الحديث عن أنواع المجاز أحبّ أن أثبت كلمة لابن قتيبة حول هذا الموضوع: يقول: (أما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنّهم زعموا أنه كذب لأن الجدار لا يريد ﴿جداراً يريد أن ينقضّ ﴾ والقرية لا تُسأل ﴿واسألِ القرية﴾.

وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلّها على سوء نظرهم وقلّة أفهامهم، ولو كان المجاز كذباً، وكلّ فعل إلى غير الحيوان باطلاً كان أكثر كلامنا باطلاً، لأنّا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وينعت الثمرة، وأقام الجبل، وتقول: (كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا) والفعل لم يكن وإنما كُوّن، وتقول: (كان الله) وكان بمعنى حدث والله عز وجل قبل كل شيء بلا غاية لم يحدث

---

[1] – العمدة: ١٨٤ تح مفيد قميحة.

فيكون بعد أن لم يكن، والله تعالى يقول: ﴿فإذا عزم الأمر﴾، والأمر لا يعزم وإنّما يُعزم عليه، ويقول الله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ والتجارة لا تربح وإنّما يُربح فيها، ويقول: ﴿وجاؤوا على قميصه بدم كذب﴾، والدم لا يكذب وإنّما كُذب به.

ولو قلنا للمنكر لقوله ﴿جداراً يريد أن ينقضّ﴾ كيف أنت قائل في جدار رأيته على شفا انهيار، رأيت جداراً ماذا؟ لم يجد بدّاً من أن يقول: جداراً يهمّ أن ينقضّ أو يكاد أن ينقضّ أو يقارب أن ينقضّ، وأيّاً ما قال فقد جعله فاعلاً، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من لغات إلاّ بمثل هذه الألفاظ.

وأنشدني السجستاني عن أبي عبيدة في مثل قول الله تعالى ﴿يريد أن ينقضّ﴾:

يريد الرمح صدرَ أبي براءٍ ويرغب عن دماء بني عقيلِ

وأنشد الفرّاء:

إنّ دهراً يلفّ شملي بجُمْلٍ لزمانٌ يهمّ بالإحسانِ

والعرب تقول: بأرض فلان شجرٌ قد صاح، أي طال، لمّا تبيّن الشجر للناظر بطوله ودلّ على نفسه جعله كأنّه صائح، لأنّ الصائح يدلّ على نفسه بصوته...)(1).

1- انظر تأويل مشكل القرآن ص ١٣٢- ١٣٣.

المجاز

عرفت أنّ المجاز نوعان: عقلي ولغوي.

أولاً– المجاز العقلي:

وهو واقع في الإسناد، إسناد الفعل إلى غير فاعله أو إسناد الخبر إلى غير مبتدئه، لذلك قالوا في تعريفه: هو مجاز يقوم على إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما حقّه أن يُسند إليه، ويسمى المجاز الإسنادي، وأحياناً المجاز الحكمي كما سمّاه عبد القاهر الجرجاني.

تأمل قوله تعالى: ﴿إنّ فرعونَ علا في الأرضِ وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يُذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ [القصص:٤]، تجد الفعلين في قوله ﴿يُذبّح أبناءَهُمْ ويستحيي نساءَهُمْ﴾ قد استخدما استخداماً حقيقياً، أي أن كلاً من التذبيح والاستحياء جاء على معناه الذي وضعه له أهل اللغة.

لكن إسناد كل منهما إلى فرعون ليس إسناداً حقيقياً، لأن فرعون ليس هو الذي ذبح الأبناء وليس هو الذي استحيى النساء، إنما فعل ذلك جنودُهُ، وفرعون كان السبب والآمر بذلك، فالعلاقة سببية، لذلك قلنا إنّ هاهنا مجازاً عقلياً أو إسناداً مجازياً لأنّ المجاز هنا وقع في الإسناد وليس في الكلمة، فالكلمات حقيقية لكنّ إسناد الأفعال فيها إلى غير الفاعل الحقيقي هو المجاز.

علاقات المجاز العقلي:

العلاقة هي المناسبة التي تربط بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه، فلمّا فهمنا من المثال السابق أنّ فرعون كان سبب التذبيح

والاستحياء قلنا إن ذلك مجاز عقلي علاقته السببيّة، وهي ذاتها واقعة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ [غافر: ٣٦- ٣٧]، ففي إسناد بناء الصرح إلى هامان مجاز عقلي علاقته السببيّة، لأن فرعون لا يريد من هامان أن يبني الصرح بنفسه، وإنما يبنيه العمّال، وهامان سبب في البناء أسند إليه الفعل مجازاً.

ومن شواهد عبد القاهر الجرجاني على هذه العلاقة في المجاز قول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبيـــــــر كرُّ الغداة ومرُّ العـــشيّ

قال: ((المجاز واقع في إثبات الشيب فعلاً للأيّام ولكرّ الليالي، وهو الذي أُزيل عن موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه، لأنّ من حقّ هذا الإثبات أعني إثبات الشيب فعلاً ألاّ يكون إلا مع أسماء الله تعالى، فليس يصحّ وجود الشيب فعلاً لغير القديم سبحانه))[1].

ومنه قول المتنبّي:

والهمّ يخترم الجسيم نحافةً ويُشيب ناصية الصبيّ ويُهرِمُ

فالفعل (يخترم) أسند إلى (الهمّ)؛ أي إلى غير فاعله الحقيقي، لأن الهمّ لا يُهلك الجسم، وإنما الذي يهلكه هو المرض الذي سبّبه الهمّ، وكذلك الفعل (يشيب) أسند إلى ضمير الهمّ أي إلى غير فاعله الحقيقي، لأنّ الهمّ لا يشيب الرأس، وإنّما الذي يُشيبه هو الضعف في جذور الشعر الناشئ عن الهمّ، لذلك نقول: إنّ هاهنا إسناداً مجازياً أو مجازاً عقلياً علاقته السببيّة.

١- أسرار البلاغة: ٣٢٠.

وهذه العلاقة (السببيّة) هي أكثر علاقات هذا النوع من المجاز شيوعاً واستخداماً وروداً في كلام العرب، وهناك علاقات أخرى:

الزمانية: في مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا﴾ [المزمل:١٧].

إذ أسند شيب الولدان إلى (اليوم)، واليوم لا يُشيب الولدان، لكنّه الظرف أو الزمان الذي يتمّ فيه ذلك، فالعلاقة زمانية.

المكانية: في مثل قول الشاعر:

ملكنا فكان العفوُ منّا سجيّة   فلمّا ملكتم سال بالدم أبطحُ

قوله (سال بالدم أبطحُ) إسناد مجازي لأن الأبطح (وهو الوادي) مكان سيلان الدم والذي يسيل حقيقة هو الدم، فالعلاقة مكانيّة.

المفعوليّة: في مثل قول الشاعر:

فبتُّ كأنّي ساورتني ضئيلةٌ   من الرقش في أنيابها السمّ ناقعُ

المجاز في (السمّ ناقع)، فالسمّ لا يكون ناقعاً وإنّما يكون منقوعاً في ماء أو نحوه، فالمجاز العقلي في (ناقع) علاقته المفعولية، لأنّه ذكر اسم الفاعل (ناقع) وأراد اسم المفعول (منقوع).

الفاعلية: في مثل قوله تعالى: ﴿إنه كان وعده مأتيا﴾ [مريم:٦١]، جعل الوعد مأتيّاً والمعروف أنّ الوعد آتٍ لا مأتيّ، والمجاز العقلي في (مأتياً) علاقته الفاعلية، لأنّه ذكر اسم المفعول (مأتيّ) وأراد اسم الفاعل (آتٍ).

المصدرية: في مثل قول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدّهمْ   وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدر

أسند الشاعر فعل (جدَّ) إلى مصدره (الجدّ)، وهو إسناد غير حقيقي، لأنَّ الحقيقة تقتضي إسناد الفعل إلى فاعله، فيقال مثلاً: جدَّ الجادُّ جدّاً، لذلك قلنا إنّه مجاز عقلي علاقته المصدريّة.

ثانياً- المجاز اللغوي:

المجاز اللغوي هو النوع الثاني من نوعي المجاز، وهذا المجاز واقع في المفردة نفسها (وربّما في التركيب كما سترى في الاستعارة التمثيليّة)، وليس في الإسناد كما هي الحال في المجاز العقلي، لذلك قالوا في تعريفه: هو استخدام الكلمة أو التركيب في غير ما وضع له في الحقيقة لعلاقة مع قرينة، فإذا كانت العلاقة علاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المنقول إليه فالمجاز استعارة، وإذا كانت العلاقة قائمة على غير المشابهة فهو مرسل، وسنتحدث عنه أولاً.

أ-المجاز المرسل:

وهو استخدام الكلمة في غير ما وضعت له في الحقيقة لعلاقة غير علاقة المشابهة، ولمّا كانت علاقاته كثيرة سُمّي المجاز المرسل.

علاقات المجاز المرسل:

١- العلاقة السببية:

وهي أن يُذكر السبب ويراد المسبّب، فنحن نقول مثلاً: لفلان عليّ يدٌ لن أنساها ما حييتُ، ثم نلاحظ أن كلمة (يد) في العبارة لم تستخدم على حقيقتها اللغوية بمعنى أنها طرف من أطراف الجسد، وإنّما استخدمت استخداماً مجازياً بمعنى الفضل والمنّة، وقد سوغ استخدامها بمعنى الفضل والمنّة أنها هي السبب فيهما، فهي سبب العطاء وسبب الفضل، ونحن في

مثالنا ذكرنا السبب (اليد) وأردنا المسبّب عنها وهو الفضل، وذلك مجاز مرسل علاقته السببية.

قال الشاعر:

له أيادٍ علي سابغةٌ   أعدُّ منها ولا أعـــــدّدها

في كلمة (أيادٍ) مجاز مرسل علاقته السببيّة، وأيادٍ جمع يد، ذكر الشاعر السبب وأراد المسبّب عنه وهو الفضل.

ومن هذا قول الشاعر أيضاً:

بعضُ الذي نالنا يا دهرُ يكفينا   فامنُنْ ببيضاءَ أودعْها يداً فينا

في (يداً) مجاز مرسل علاقته السببية، وإنما المراد المسبّب أي المعروف أو الفضل.

٢-العلاقة المسبَّبية:

وهي أن يذكر المسبّب ويراد السبب، اقرأ قوله تعالى: ﴿ وينزّلُ لكم من السماءِ رزقاً﴾ [غافر:١٣]، تجد أن المجاز في (رزقاً) لأن ما ينزل من السماء هو المطر الذي يسبب الرزق، فقد ذُكر هنا المسبّب وأريد السبب فالعلاقة مُسبَّبية.

مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [آل عمران:١٣٣]، فالمراد ما تستحقون به المغفرة كالتوبة والاستغفار والإنابة، لأن هذا ما سبّبَ المغفرة، فقد ذُكر المسبّب وأُريد السبب.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ [غافر: ٤١]، أي إلى الكفر الذي تتسبّب عنه النار.

Damascus University

٣-علاقة اعتبار ما كان:

وهو أن يذكر الشيء باسم ما كان عليه في الماضي، لذلك قد تُسمَّى هذه العلاقة العلاقة الماضوية، قال تعالى: ﴿ إنه من يأتِ ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ [طه : ٧٤]، فالمجاز في (مجرماً)، ومعلوم أنه كان مجرماً في حياته الدنيا، لأن الإجرام والإفساد والكفر والتقى والإيمان والتوحيد كلّ هذه الأعمال يزرعها المرء في دنياه ليحصدها في آخرته، إذ الدنيا هي المزرعة، والآخرة دار الثواب أو العقاب، فذكر (مجرماً) باعتبار ما كان عليه في الماضي (في الدنيا).

٤- علاقة اعتبار ما سيكون:

وهو أن يذكر الشيء باسم ما يصير إليه مستقبلاً، لذلك قد تسمى هذه العلاقةُ العلاقة المستقبليّة، قال تعالى: ﴿وقال نوحٌ ربِّ لا تذرْ على الأرضِ من الكافرين ديّاراً * إنك إن تذرْهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

المجاز في (فاجراً) وفي (كفّاراً) لأن المولود حينما يولد لا يكون فاجراً ولا كفّاراً، ولكنّه قد يصير كذلك عندما يكبر في هذه البيئة بيئة الكافرين، أي أنّ هذين اللفظين ذُكرا باعتبار ما سيكون عليه المولود من هؤلاء مستقبلاً.

٥- العلاقة الجزئية:

وهي أن يذكر الجزء ويراد الكّل، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢]، المجاز في (رقبة) والمراد تحرير إنسان (عبد) مؤمن، والرقبة جزء من الإنسان، فذكر الجزء وأريد الكل، وإنّما

ذُكرت الرقبة من بين الأجزاء أو الأعضاء الأخرى لأنّها محلّ الفك والتحرير.

قال الشاعر:

أعلّمه الرماية كلّ يومٍ   فلمّا اشتدّ ساعدُهُ رماني

وكم علّمتُهُ نظم القوافي   فلمّا قال قافيةً هجاني

المجاز في (قافية)، والقافية في القصيدة جزء منها، فذكر الجزء وأراد القصيدة كلّها والعلاقة جزئيّة.

٦- العلاقة الكليّة:

وهي أن يذكر الكلّ ويراد الجزء، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح : ٧]، المجاز في (أصابعهم) ذُكر الكلّ وأريد الجزء أي الأنامل أو رؤوس الأصابع، إذ لا يمكن أن يضع هؤلاء أصابعهم كلّها في آذانهم، والمراد هنا المبالغة وأنّهم لا يريدون أن يسمعوا البتّة.

ونحن في كلامنا العادي قد نقول: شربتُ ماءَ دمشق وتنسمتُ هواءها، فذكرنا الماء والهواء وإنّما المراد جزءٌ من ذلك.

٧- العلاقة الآليّة:

وهي أن تذكر آلة الشيء ويراد أثرها، قال تعالى: ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١]، أي على مرأى منهم، والأعين آلة الرؤية، فالمجاز فيها ذو علاقة آلية إذ ذكرت الآلة وأريد أثرها.

٨- العلاقة الحاليّة:

وهي أن يذكر الحالُ ويراد المحلّ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧]، تلاحظ في الآية الكريمة أنّ المجاز في (رحمة)، وهي أمرٌ حالٌّ في الجنّة، والمراد الجنّة ذاتها، فإطلاق الرحمة وهي الحالّ وإرادة الجنّة وهي المحلّ (محلّ الرحمة) مجاز مرسل علاقته الحاليّة.

وقل الكلام ذاته في (نعيم) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطفّفين: ٢٢].

٩- العلاقة المحليّة:

وهي أن يذكر المحلّ ويراد الحالّ به، قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧-١٨]، فالمجاز في (ناديه) لأنّ النادي محلّ الاجتماع، والمراد عشيرة الرجل المتحدَّث عنه وهو هنا أبو جهل وأنصاره، ذكر المحلّ (ناديه) وأراد الحالّ به (العشيرة والأنصار).

وقال الشاعر:

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزةٌ   وأهلي وإنْ ضنّوا عليَّ كرامُ

يدّعي الشاعر هنا أنّ بلاده تجور عليه، والحقيقة أنّ البلاد لا تجور وإنّما الذي يجور أهلها، فالشاعر أطلق المحلّ وهو (بلادي) وأراد الحالّ به وهو الأهل، وهذا كما ترى مجاز مرسل علاقته المحلّيّة.

١٠- علاقة المجاورة:

وهي أن يذكر الشيء ويراد ما يجاوره، قال الشاعر:

فشككتُ بالرمح الأصمّ ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرّم

فالمجاز في (ثيابه) والمراد جسمه، عبّر بالثياب لمجاورتها القلب أو الجسم.

تدريب محلول

س-دلّ على المجاز المرسل فيما يلي واذكر نوع علاقته:

أ-﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [طه: ٤٠].

ب-ألمّا على معن وقولا لقبره   سقتك الغوادي مربعاً بعد مربع

ج- ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

د- إنّي نزلتُ بكذّابين ضيفُهُمُ   عن القِرى وعن الترحال محدودُ

هـ-أصدق كلمة قالها شاعرٌ كلمةُ لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل

و- كم من يدٍ بيضاءَ قد أسديتها   تثْني إليك عِنانَ كلّ وداد

الإجابات:

أ- المجاز المرسل في (عينها) وعلاقته جزئية إذ العين جزء من الإنسان.

ب- المجاز المرسل في (معن) وعلاقته حالّية، ذكر الحالّ وأراد المحلّ وهو القبر.

والمجاز المرسل في (قبره) علاقته محلّية، ذكر المحلّ وأراد الحالّ به وهو معن.

ج- المجاز المرسل في (بأفواههم) علاقته محلّية، ذكر المحلّ وأراد الحالّ به وهو اللسان.

د- المجاز المرسل في (كذّابين) علاقته حالّية، ذكر الحالّ وأراد المحل أي الديار.

هـ- المجاز المرسل في (كلمة) علاقته جزئية، ذكر الجزء وأراد الكلّ أي الكلام.

و- المجاز المرسل في (يد) علاقته سببية، ذكر السبب وأراد المسبّب وهو الفضل.

Damascus University

تدريب يُطلب حلّه

س-دلّ على المجاز المرسل فيما يلي واذكر علاقته:

أ- ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [البقرة:١٩].

ب- ولكم بعثنا الجيش جـــــــــراراً وأرســـــلنا العيونـــــا

ج- وإذا النساءُ نشأن في أميّةٍ رضع الرجالُ جهالة وخمولا

د-وليست أيادي الناس عندي غنيمةً وربَّ يدٍ عندي أشدُّ من الأسرِ

هـ-إنّ العدوّ وإن تقادم عهده فالحقدُ باقٍ في الصدور مغيّبُ

و-﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾ [يوسف: ٣٦].

ز- نُبِّئْتُ أنّ النارَ بعدك أوقدتْ واستبَّ بعدكَ يا كُلَيْبُ المَجْلس

ح- فامض لا تمنن عليّ يداً منْك المعروفَ من كدرهْ

ط-ولم تلهني دار ولارسمُ منزلٍ ولم يتطرّبْني بنانٌ مخضّبُ

ي-أحسنْ إلى الناس تستعبدْ قلوبهمُ إذ طالما استعبد الإحسانُ إنسانا

ك- ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

ل- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾ [النساء: ١٠]

م- وكنتَ إذا كفٌ أتتك عديمةً ترجّي نوالاً من سحابك بُلّتِ

ن- ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

Damascus University

ب- الاستعارة:

عرفت أنّ المجاز الذي تكون فيه العلاقة بين المعنى المنقول منه والمعنى المنقول إليه علاقة مشابهة يسمّى استعارة، لذلك قيل في تعريفها: إنها مجاز يقوم على علاقة المشابهة بين المستعار منه والمستعار له، فعندما تقول (الثقيت بحراً يعطي الفقير والمحتاج) أفهمتَ أنّك عقدت مشابهة بين الرجل الكريم والبحر، ثمّ كأنّك استغنيت عن ذكر المشبه وهو (الرجل الكريم) وذكرت المشبّه به (البحر)، فالمشبّه به المذكور هو اللفظ المستعار، استعرته من معناه المعروف في اللغة وهو (مجمع المياه الكثيرة المالحة) للجواد الكريم، فهذا مجاز لأنّك لم تستخدم (البحر) بمعناه الحقيقي، هذا شيء، والشيء الآخرَ أنّ المشابهة التي أضمرتَها في نفسك بين الرجل الكريم والبحر هي التي حكمت علاقة هذا المجاز، فالمجاز استعارة، وفي عبارتك السابقة (التقيتُ بحراً يعطي الفقير والمحتاج) ذكرتَ (يعطي الفقير والمحتاج) وهي الكلمة التي منعت من إرادة المعنى الأصلي لكلمة (البحر) لأن البحر الحقيقي لا يعطي، وقولك (يعطي الفقير والمحتاج) يسمّى قرينة.

زيادة في توضيح معنى القرينة أسوق إليك ما قاله عبد القاهر الجرجاني:

((إذا قلت رأيت أسداً صلح هذا الكلام لأن تريد به أنّك رأيت واحداً من جنس السبع المعلوم، وجاز أن تريد أنّك رأيت شجاعاً باسلاً شديد الجرأة، وإنّما يفصل لك أحد الغرضين من الآخر شاهد الحال وما يتصل به من الكلام من قبل وبعد))[1] .

١- أسرار البلاغة: ص ٢٠٩.

والقرينة نوعان:

لفظيّة: وهي التي يُدلّ عليها بلفظ يذكر في الكلام ليصرفه عن معناه الحقيقي ويوجّهه إلى معناه المجازي المراد.

وحالية: وهي التي يُدلّ عليها بأمر خارج عن اللفظ يُفهم فهماً، وسوف نحدثك بعد قليل عن القرينة والفرق بينها وبين العلاقة.

واعلم أنّ الاستعارة في اللغة مأخوذة من العاريّة[1] التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، قال الجرجاني: ((إنّ من شرط المستعار أن يحصل للمستعير منافعه على الحدّ الذي يحصل للمالك. فإن كان ثوباً لبسه كما لبسه، وإن كان أداة استعملها في الشيء تصلح له، حتّى إنّ الرائي إذا رآه معه لم تنفصل حاله عنده من حال ما هو ملك يد ليس بعارية، وإنّما يفضله المالك في أنّ له أن يتلف الشيء جملة أو يدخل التلف على بعض أجزائه قصداً، وليس للمستعير ذلك[2])).

وقال ابن الأثير: ((ولا يقع ذلك –يقصد الاستعارة– إلاّ من شخصين بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما شيئاً من الآخر إن لم يعرفه، وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر))[3] .

هذا وقد مرّ مصطلح (الاستعارة) بمراحل حتّى صار على المعنى الذي نعرفه اليوم.

١- انظر لسان العرب: عير، والعاريّة: المنيحة سُمّيت كذلك لأنها عار على صاحبها.

٢- أسرار البلاغة: ص ٢٨٢.

٣- المثل السائر : ٧٢/٢.

فكان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) من أول مَنْ ذكر الاستعارة في كتابه (البيان و التبيين) وذلك حين عرض لقول الشاعر:

يا دارُ قد غيّرها بلاها ... كأنّما بقلمٍ محاها
أخربها عمرانُ مَنْ بناها ... وكرُّ ممساها على مغناها
وطفقت سحابة تغشاها ... تبكي على عراصها عيناها

فقال: ((عيناها ها هنا للسحاب وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه))[١].

وجاء بعده ابنُ المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ثم قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ثم الرماني (ت ٣٨٦ هـ) وأدلى كلّ منهم بدلوه في الحديث عنها والتمثيل لها.

ثمّ كان لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) حديث عنها في كتابه (أسرار البلاغة) وقد جعلها من البديع فقال: ((وأمّا التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أنّ الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلاّ من جهة المعاني خاصّة من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب... وأمّا الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول وتُستفتى فيه الأفهام والأذهان لاالأسماع والآذان))[٢].

وعرّف الاستعارة فقال: ((إعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدلّ الشواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل، وينقل إليه نقلاً

---

١ – البيان والتبيين: ١/١٥٢-١٥٣.

٢ – أسرار البلاغة: ص ١٤-١٥.

غير لازم فيكون هناك كالعارية))[1]، وهو الذي جعلها من المجاز اللغوي[2]، وعندما فصّل الحديث عنها جعلها قسمين: مفيدة وغير مفيدة، وقسم المفيدة إلى تصريحيّة ومكنيّة[3] .

ولابدّ من أن تفيد الاستعارة عنده المبالغة في إخراج المشبّه عن معناه وإلحاقه بمعنى المشبّه به حتّى يصير كأنّه من جنسه أو من نوعه، فإن الاستعارة من شأنها أن تسقط ذكر المشبّه وتطرحه وتدّعي له الاسم الموضوع للمشبّه به[4] .

وقد خطا مصطلح (الاستعارة) على يد عبد القاهر الجرجاني خطوات واسعة، ومرّ بمراحل حتّى آتى أُكُلَهُ عند المتأخّرين كالسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) وابن مالك (ت ٦٨٦ هـ) والقزويني (ت ٧٣٩ هـ)، الذين جعلوها من علم البيان، فعرّفها القزويني بأنّها مجاز علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وكثيراً ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه فيسمّى المشبّه به مستعاراً منه والمشبّه مستعاراً له واللفظ مستعاراً[5] .

ومعظم التعريفات التي ذكرها علماء البلاغة للاستعارة على مرّ العصور تؤكّد أمرين الأوّل أنّها مجاز لغويّ علاقته المشابهة، والثاني أنّها – في حقيقتها– تشبيه بليغ حذف منه أحد الطرفين.

---

١ – أسرار البلاغة: ص ٢٢.

٢ – نفسه: ص ٣٣٠.

٣ – أسرار البلاغة: ص ٣٤-٣٥.

٤ – نفسه: ص ٣٥.

٥ – الإيضاح: ١٥٨.

العلاقة:

مرّ معك قبل قليل أنّ الاستعارة مجاز لغوي وكذلك المجاز المرسل، وعرفت قبلئذٍ الفرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي، والفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل الذي يكاد ينحصر في العلاقة، فما العلاقة؟

العلاقة في الاستعارة هي ما يسوّغ لنا نقل المعنى من لفظ إلى لفظ آخر، فثمّة علاقة بين اللفظ المستعار له واللفظ المستعار منه حتّى تصحّ الاستعارة، وهذه العلاقة كما أخبرناك هي علاقة المشابهة.

جاء في المثل السائر: ((وإنمّا سُمّي هذا القسم من الكلام استعارة لأنّ الأصل في الاستعارة المجازيّة مأخوذ من العاريّة الحقيقيّة التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعضٍ شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلاّ من شخصين بينهما تناسب ومعرفة مّا يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً، وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر[1])).

فتلك العلاقة التي تُبيح لنا التجوّز على سبيل الاستعارة هي المشابهة بين المنقول منه والمنقول إليه أي المستعار له، اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦].

١ - انظر المثل السائر: ٢/٧٧.

تجد أن كلمة (واد) مستعملة في غير معناها الحقيقي، فالمراد بها هنا الأغراض والمعاني والموضوعات التي يطرقها الشعراء، والسؤال هنا مالعلاقة بين الأودية الحقيقيّة وبين الأغراض الشعريّة؟

نقول هي علاقة مشابهة تتمثل في الاتّساع والعمق وبذل المجهود في قطعها، وخُصّت الأودية بالاستعارة ولم يستعر الطرق أو المسالك أو ما جرى مجراها لأنّ معاني الشعر تُستخرج بالفكرة والرويّة، والفكرة والروية فيهما خفاء وغموض، فكان استعارة الأودية لها أشبه وأليق[1].

هذا معنى أن الاستعارة قائمة على التشبيه إلا أنّها أشدّ مبالغة منه لاعتمادها على أحد طرفيه الأساسيين لا غير، المشبّه أو المشبّه به، وهي أكثر بلاغة من التشبيه البليغ مع بلاغته لاعتمادها على تناسي التشبيه، ممّا يجعلها أدق افتناناً وألطف بياناً وأبهى حلّة، تلمّسها في قول الشاعر:

فرعاءُ إن نهضت لحاجتها ... عجل القضيبُ وأبطأ الدعصُ

إذ شبّه قدّها بالقضيب بجامع الاعتدال، وشبّه ردفها بالدعص بجامع الكبر والضخامة، وحذف المشبّهين وذكر المشبّهين بهما متناسياً التشبيه.

ثمّ تبيّنها في قول الوأواء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقتْ ... ورداً وعضّتْ على العنّاب بالبردِ

القرينة:

عرفت أنّ المجاز – ومنه الاستعارة – هو استخدام الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة، فما القرينة؟.

---

١ – بتصرف عن كتاب المثل السائر: ٩٧/٢.

القرينة: هي الدليل الذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي إذ يستعان بها على تحديد المعنى المجازي.

اقرأ قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، تجد أن فيها استعارتين إحداهما في (ميْتاً) والثانية في (أحييناه)، وأنهما استعيرتا للضلال والهدى، ودلّنا على مجازيّتهما السياقُ أو حال الكلام لذلك أطلقنا على هذه القرينة اسم القرينة الحالية.

ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

تجد أن السكوت مستعار لانتهاء الغضب بجامع الهدوء المترتّب على كلٍّ منهما، ودلّنا على مجازيّة ذلك دليل، وهو دليل لفظي كلمة (الغضب) التي جاءت فاعلاً لفعل (سكت)، وإسناده إليها دلّ على أنّ السكوت غير حقيقي، لذلك أطلقنا على هذه القرينة اسم القرينة اللفظية، وكذلك في البيت الذي قرأته قبل قليل:

فرعاء إن نهضت لحاجتها ... عجل القضيبُ وأبطأ الدعصُ

قرينته لفظية وهي كلمة (فرعاء).

أنواع الاستعارة وأقسامها

عرفت قبل قليل أنّ الاستعارة مجاز قائم على علاقة التشبيه، بل إنّ التشبيه كالغرض فيها، أو كالعلّة والسبب في فعلها[1]، وهي بالنظر إلى حذف أحد طرفي التشبيه تصريحية أو مكنيّة.

١ – الاستعارة التصريحية:

وهي التي حذف فيها المشبّه وصُرّح بذكر المشبّه به، تقول مثلاً: عنّت لنا ظبية ذاتُ خُلُق، فهنا استعارة تصريحية لأنّ أساسها قائم على تشبيه امرأة جميلة بظبية، ثمّ كأنّما حذف المشبّه (امرأة جميلة) وصرّح بذكر المشبّه به (ظبية) على سبيل الاستعارة التصريحيّة، والقرينة قولك (ذاتُ خُلُق).

اقرأ قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [إبراهيم: ١].

تجد أنّ في الآية استعارتين، الأولى في (الظلمات) والثانية في (النور)، فكأنّما شُبّهت الضلالة والجاهليّة والضياع والطيش... بالظلمات، ثم حذفت كل هاتيك المشبّهات وصرّح بذكر المشبّه به (الظلمات) على سبيل الاستعارة التصريحيّة.

وكأنّما شبّه الهدى والإيمان والعلم والإسلام بالنور، ثم حذفت كلّ هاتيك المشبّهات وصرّح بذكر المشبّه به (النور) على سبيل الاستعارة التصريحيّة، والقرينة في الاستعارتين حالية مفهومة من سياق الكلام.

---

١ – انظر أسرار البلاغة: ص ٢٠٧.

واقرأ قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، تجد أنّه استعار كلمة الصراط المستقيم للدين الحقّ لتشابههما في أنّ كلاًّ منهما يوصل إلى المطلوب، والقرينة هنا أيضاً حالية لأنّ الله لا يهدي إلى الطريق (المحسوس).

نقول: كأنّما شبّه الدين الحقّ بالطريق المستقيم، بجامع الهداية في كلّ، ثم حذف المشبّه (الدين) وصرّح بذكر المشبّه به الصراط على سبيل الاستعارة التصريحية.

يصف المتنبي دخول رسول الروم على سيف الدولة بقوله:

وأقبل يمشي في البساط فما درى

إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

في البيت استعارتان، الأولى في (البحر) والثانية في (البدر)، وإذا تأملت كُلاًّ منهما وجدت أنّ الأولى تضمنّت تشبيهاً بين سيف الدولة وبين البحر، وأنّ الثانية تضمنّت تشبيهاً بين سيف الدولة وبين البدر، ثمّ كأنما حُذفَ المشبّهان في الاستعارتين وصُرِّح بذكر المشبّهين بهما (البحر والبدر) على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة هنا لفظيّة وهي قوله (وأقبل يمشي في البساط).

يقول مسكين الدرامي:

لحافي لحاف الضيف والبيت بيتُهُ ولم يلهني عنه غزالٌ مقنّعُ
أحدثه إنّ الحديث منَ القِـــرى وتعلمُ نفسي أنّه سوفَ يهجـــعُ

ومعنى البيتين أنّ كلّ ما أملكه هو ملك للضيف وليس يلهيني عنه ما يلهي الآخرين من النساء الحسناوات، وإنّ إكرامي له لا يقتصر على الطعام والشراب، بل ما أفتأ أحدثه وأونسه حتى ينام.

ولعلك أدركت أنّ الاستعارة في عجز البيت الأول، فكأنّما شبّه الشاعر المرأة الحسناء بالغزال بجامع الملاحة والحسن في كلٍّ منهما، ثمّ حذف المشبّه (المرأة الحسناء) وصرّح بذكر المشبّه به (غزال) على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة (مقنّع).

ويقول الشاعر مادحاً:

وصاعقةٍ في كفّه ينكفي بها على أرؤس الأعداء خمسُ سحائبِ

ها هنا استعارتان، الأولى في (صاعقة) والثانية في (سحائب)، فكأنّما شبّه السيف أو نصله بالصاعقة لتشابههما في إيقاع الأذى على ما ينزلان عليه، ثمّ حذف المشبّه وصرّح بذكر المشبّه به (الصاعقة) على سبيل الاستعارة التصريحيّة.

ثمّ كأنّما شبّه أصابع الممدوح بالسحائب لتشابههما في الخير والجود، ثمّ حذف المشبّه وصرّح بذكر المشبّه به (سحائب) على سبيل الاستعارة التصريحيّة، والقرينة (في كفّه).

١ - الاستعارة المكنيّة:

وهي التي حُذف فيها المشبّه به وكُنّي عنه بشيء من لوازمه أو بشيء يتبعه أو يدلّ عليه، تقول مثلاً: أعجبتُ بعالمٍ يغترف منه الناس، وأنت مدرك أنّك شبّهت العالم بالبحر، ثمّ كأنّك حذفت المشبّه به (البحر) وذكرت شيئاً من لوازمه وهو (يغترف) لأنّ الاغتراف في حقيقته للماء أو نحوه، وصار كلامك على سبيل الاستعارة المكنيّة.

تعال نقرأ قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، ألست ترى أنه كأنّما شبّه الذلّ بطائر (بجامع الخضوع) ثم حُذف

المشبّه به (الطائر) وذُكر شيء من لوازمه وهو (جناح) لأن الجناح في حقيقته للطائر، والكلام جارٍ على سبيل الاستعارة المكنيّة؟.

قال أبو ذؤيب الهذلي يرثي أبناءه:

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

كأنّما شُبهت المنيّة بالسبع الذي لا يفرّق عند افتراسه بين الناس، ثمّ حُذف المشبّه به (السبع) وذُكر من لوازمه (الأظفار) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

وقال غيره:

ولئن نطقتُ بشكر برّك مفصحاً فلسان حالي بالشكاية أنطقُ

كأنّما شبهت الحال بإنسان، ثمّ حذف المشبّه به (الإنسان) وذُكر من لوازمه ما يتعلّق به وهو (لسان).

وقد أعجب عبد القاهر الجرجاني بالاستعارة[١] من هذا النوع في قول الشاعر:

اليوم يومان مذ غيّبتَ عن بصري نفسي فداؤك ما ذنبي فأعتذرُ

أمسي وأُصبحُ لا ألقاك واحزنا لقد تأنّقَ في مكروهي القدرُ

جعل القدر كالإنسان فذكر له فعل (تأنّق).

وجعل -أي الجرجاني- الأصل في شرف الاستعارة قول امرئ القيس:

فقلتُ له لمّا تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكلِ

فقال: ((لمّا جعل لليل صلباً قد تمطّى به ثنّى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب، وثلّث فجعل له كلكلاً قد ناء به، فاستوفى له جملة أركان

١- دلائل الإعجاز: ص ٧٦.

الشخص وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قُدّامه وإذا نظر إلى خلفه وإذا رفع بصره ومدّه في عُرض الجو[١].

إذاً الاستعارة بالنظر إلى طرفي التشبيه تصريحيّة أو مكنيّة.

والآن سنرى أنواعاً أخرى للاستعارة، منها ما هو بالنظر إلى اللفظ المستعار أجامد هو أم مشتقّ؟ ومنها ما هو بالنظر إلى ملائم المشبّه أو المشبّه به أو كليهما.

الاستعارة - بالنظر إلى اللفظ المستعار أجامد أم مشتق:

استعارة أصلية واستعارة تبعيّة.

١- الاستعارة الأصلية:

وهي التي يكون فيها اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسماً جامداً أي غير مشتق.

قال تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] ، التقدير (لو أنّ لي بكم قوّة لفعلتُ بكم وصنعت أو لجأت إلى قويّ أستند إليه ليحميني. الشاهد كلمة (ركن) في الآية الكريمة، فكأنّما شبّه المُعين الشديد بالركن في القوّة لأن الأركان بالأصل للبنيان، ثمّ حذف المشبّه وصرّح بذكر المشبّه به (الركن) على سبيل الاستعارة التصريحية.

ولمّا كانت كلمة (ركن) المستعارة لفظاً جامداً سميّت الاستعارة أصلية.

ثمّ من ذلك قول الشاعر في رثاء ابنه:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار

---

١ - دلائل الإعجاز: ص ٧٩.

فاللفظ المستعار (كوكب) اسم جامد، وكأنّما شبّه الشاعر ابنه بالكوكب ثمّ حذف المشبّه (الابن) وصرّح بذكر المشبّه به (الكوكب) على سبيل الاستعارة التصريحيّة. ولمّا كان المستعار جامداً سميت الاستعارة أصلية.

ومن هذا النوع أيضاً قول المتنبي:

حملتُ إليه من لساني حديقةً   سقاها الحجا سقي الرياض السحائب

إذ استعار (الحديقة) وهي اسم جامد، وكأنّما شبّه شعره بها ثم حذف المشبّه (شعره) وصرّح بذكر المشبّه به (حديقة) على سبيل الاستعارة التصريحيّة الأصلية.

وفي عجز البيت استعارة أخرى فكأنّما شبّه الشاعر عقله (الحجا) بالسحاب بجامع غزارة النفع ثم حذف المشبّه به (السحاب) وذكر من لوازمه (سقي) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

قال العكبري: ((جعل القصيدة حديقة لما فيها من المعاني كما يكون في الروضة الزهر والنبات، وجعل العقل ساقياً لها لأنّ المعاني التي فيها إنما تُحسَن بالعقل، فجعل العقل ساقيها كما تسقي الرياض السحاب))(١).

٢ – الاستعارة التبعيّة:

وهي التي يكون فيها اللفظ المستعار اسماً مشتقّاً أو فعلاً، وسميت تبعيّة لأنّها مبنيّة على استعارة أخرى، فهي تابعة لها في إجرائها، تأمل قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، تجد أنّ اللفظ المستعار هو (اشتروا) وهو – كما ترى – فعل، والمقصود استبدلوا الضلالة بالهدى، لأنّ الضلالة لا تُشترى، ولكنّها يمكن أن تُستبدل بغيرها، وعند إجراء الاستعارة

---

١ – ديوان أبي الطيب: ١/١٥٨.

وتحليلها، تقول: كأنّما شبّه الاستبدال بالشراء ثمّ حذف المشبّه (الاستبدال) واشتُقَّ من الشراء وهو المشبّه به فعل (اشتروا) بمعنى استبدلوا على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة.

قال البحتري يصف قصراً:

ملأتْ جوانبُهُ الفضاءَ وعانقتْ ... شرفاتُهُ قطعَ السحابِ الممطرِ

اللفظ المستعار (عانقت) وهو فعل، فكأنّما شبّه الشاعر الملامسة بالمعانقة، ثمّ حذف المشبّه (الملامسة) واشتقَّ من المعانقة فعل (عانق) بمعنى لامَسَ على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة.

قال الطيبي: التبعيّة أن يكون المستعار أفعالاً أو صفات أو حروفاً ولا تكون هذه إلاّ مصرّحاً بها، وإنّما سميّت تبعية لأنّ المذكورات لا تقع موصوفات، فتقع في مصادر الأفعال والصفات. وفي متعلّقات معاني الحروف ثم تسري منها إليها، ونعني بمتعلقات معاني الحروف ما يعبّر عنها عند تفسيرها كما تقول: (من) و(كي) و(لعلّ) معناها (ابتداء الغاية) و(الغرض) و(الترجي)، فلا يقال (نطقتْ الحال) بدل(دلّت) إلا بعد استعارة نُطق الناطق لدلالة الحال، أي دلالة الحال كنطق الناطق في الوضوح ثمّ تستعير النطق للدلالة فتسري من معنى النطق إلى (نطقتْ)... ولك أن تعدّ قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ على قلوبِهِم﴾، من الباب بأن تجعل (ختم) استعارة لـــ (خلق) بعد تشبيه خلق الله الكفر فيهم بالختم على الشيء، والجامع شدّة التمكّن أو منع النفوذ[1].

١- التبيان: ١٠٨-١٠٩.

الاستعارة بالنظر إلى ملائم المشبّه أو المشبّه به أو كليهما وعدم الملاءمة مرشّحة ومجردة ومطلقة:

١-الاستعارة المرشحة:

وهي التي اقترنت بما يلائم المشبّه به (أو المستعار منه) كما في قول الشاعر:

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلاكله أناخ بآخرينا

ففي (الدهر) استعارة مكنيّة، وكأنّما شُبّه الدهر بجمل ثم حُذف المشبه به (جمل) وذُكر من لوازمه لفظ (كلاكله)، وذكر الشاعر في هذه الاستعارة شيئاً يلائم المشبّه به (الجمل) وهو (أناخ بآخرينا)، لهذا سمّينا هذه الاستعارة الاستعارة المرشّحة أو الترشيحيّة.

قال المتنبي:

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم وأتيناه على هرم

في البيت استعارة، فكأنّما شبّه الزمان بإنسان ثم حذف المشبه به (الإنسان) والقرينة (بنوه)، ثمّ ذكر الشاعر ما يلائم المشبّه به (المحذوف) وهو قوله (شبيبته -هرم) فالاستعارة مرشّحة.

٢-الاستعارة المجرّدة:

وهي التي اقترنت بما يلائم المشبّه (أو المستعار له)، كما في قول البحتري مادحاً:

يؤدّون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان بادِ

فها هنا استعارة، إذ كأنّما شبّه الممدوح بالقمر ثم حذف المشبّه (الممدوح)، وصرّح بذكر المشبّه به (القمر)، وذكر الشاعر ما يلائم المشبّه

الممدوح وهو قوله (الإيوان)، لأنّ الإيوان للممدوح وليس للقمر، فالاستعارة مجرّدة أو تجريدية.

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً ﴾ [الحاقة: ٦-٧].

فها هنا استعارة، إذ كأنّما شُبّهت الشدّة بالعتوّ ثم حُذف المشبّه وصرّح بذكر المشبّه به، ثمّ ذكر ما يلائم الشدّة (المشبّه) وهو قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾، فالاستعارة مجرّدة.

٣-الاستعارة المطلقة:

وهي التي لم تقترن بما يلائم أحد الطرفين، أو اجتمع فيها ترشيح وتجريد، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة:١١]، نجد أن الاستعارة في (طغى)، فكأنّما شُبّهت الزيادة بالطغيان بجامع تجاوز الحدّ في كلّ، ثمّ اشتُقّ من الطغيان فعل (طغى) بمعنى زاد على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة، وليس في هذه الاستعارة -كما ترى- شيء يلائم المشبّه ولا شيء يلائم المشبّه به، فهي لذلك استعارة مطلقة.

وفي قول الشاعر:

قومٌ إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا

استُعير (الشرّ)، فكأنّما شبّه الشرّ بحيوان مفترس ثمّ حذف المشبّه به (الحيوان المفترس) وذُكر شيء من لوازمه وهو (أبدى ناجذيه) على سبيل الاستعارة المكنيّة، ولم يُذكر هنا -كما ترى- شيء يلائم المشبّه ولاشيء يلائم المشبّه به فهي أيضاً استعارة مطلقة.

أمّا في قول كثيرّ عزّة:

رَمتْني بسهمٍ ريشُهُ الكحلُ لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلبِ جارحُ

فقد شُبّهت نظرة المحبوبة في تأثيرها وقوّتها بالسهم، أي استعار السهم للطرف، ثم ذكر (ريشُهُ) ممّا يلائم المشبّه به (السهم)، وذكر (الكحل) ممّا يلائم المشبّه (العين أو الطرف)، أي أنّه قد اجتمع في هذه الاستعارة تجريد وترشيح معاً، فهي أيضاً استعارة مطلقة.

ومن الاستعارة المطلقة لاجتماع التجريد والترشيح معاً فيها قول زهير ابن أبي سلمى:

لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مقذّفٍ له لبدٌ أظفارُهُ لمْ تُقلّمِ

فـ (شاكي السلاح) يلائم المشبّه لأن الأسد ليس له هذه الصفة، و(له لبد أظفارُهُ لم تُقلّم) يلائم المشبّه به (الأسد).

الاستعارة بالنظر إلى طرفيها توافقاً وتضاداً:

الاستعارة بالنظر إلى توافق طرفيها أو تضادّهما قسمان:

١- الاستعارة الوفاقية:

وهي التي يمكن اجتماع طرفيها أي المستعار منه أي المشبّه به والمستعار له أي المشبّه في شيء واحد فسمّيت بذلك لما بين طرفيها من الوفاق.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: ١٨]، فكأنّما شبّه الصبح بكائن حيّ، وقد أمكن اجتماع الصبح والكائن الحيّ إذ لا مانع يمنع من التقائهما عقلاً فالاستعارة وفاقية.

٢- الاستعارة العنادية:

وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد فسمّيت بذلك لتعاند الطرفين. اقرأ قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، تجد أنّه كأنّما شبّه الضلال بالموت والإيمان بالحياة، وهاهنا استعارتان: الأولى استعارة الموت للضلال ولا يمكن كما ترى اجتماعهما معاً فهي لذلك استعارة عنادية.

أما الثانية فقد استعير فيها الحياة للهداية، والحياة والهداية كما ترى يمكن اجتماعهما معاً.

فالاستعارة على هذا وفاقيّة، وقد اجتمع في الآية استعارة عنادية وأخرى وفاقية.

وقد ألحقوا بالعنادية الاستعارة التهكمية أو التمليحيّة أو التفاؤلية كما في قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١]، سمّى الإيعاد بالعذاب تبشيراً سخريةً بهم وتهكماً وقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣].

ومنه هذا قول الشاعر:

إذا الملك الجبّار صعّر خدّه　　　مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

جعل الحرب عتاباً.

Damascus University

الاستعارة التمثيلية:

وهي استعارة مثَل أو حكمة، أي استعارة صورة أو تركيب وليست استعارة كلمة، وهذا يذكرك بالتشبيه التمثيلي الذي عرفت أنّه تشبيه صورة بصورة، لكنّك في التشبيه التمثيلي أمام صورتين تمثّلان الطرفين الأساسيّين للتشبيه، أمّا في الاستعارة التمثيلية فأنت أمام صورة واحدة وهي صورة المشبّه به، أليست الاستعارة تشبيهاً حذف منه أحد الطرفين؟!.

وتقوم هذه الاستعارة على أن يتمثّل المتكلّم – في حالة ما – بمثَل من أمثال العرب قيل في مثلها، ثمّ يترك المشبّه أي الحالة التي قيل فيها، ويذكر المشبّه به أي صورة المثَل، وإليك البيان:

تقول العرب: (أحشفاً وسوء كيلة)، وهو مثَل قصتُهُ أنّ رجلاً أراد أن يشتري تمراً، فكان من البائع أن اختار له الحشف (التمر الرديء) وأنقص له في الكيل، فقال له الرجل: (أحشفاً وسوء كيلة)، يعني أنّك أيها البائع قد جمعت بين سيئتين: رداءة التمر ونقص الكيل، ثم ذهبت عبارتُهُ مثلاً.

الآن، عندما يستخدم المرء هذا المثَل في حالة مشابهة للحالة التي قيل فيها يكون كلامه جارياً على سبيل الاستعارة التمثيليّة. كيف؟!

هبْ أنّك تحاضر في قاعة علم (في جامعة أو مدرسة أو معهد) ثمّ دخل أحد الطلاب متأخراً، وجلس يتحدّث إلى زميله وأنت تلقي الدرس، فأدركت أنّ هذا الطالب جمع بين أمرين سيئين: الدخول متأخراً والحديث إلى زميله، وتذكرت ذلك البائع الذي جمع بين أمرين سيئين: الرداءة والنقص، وما قاله له الرجل من المثل الذي ذُكر قبل قليل، الآن إذا استخدمت هذا المثل فقلت للطالب (أحشفاً وسوء كيلة) يكون كلامك جارياً على سبيل الاستعارة التمثيليّة.

وعلى هذا فكلّ مثل أو حكمة في الشعر أو في النثر يصلح أن يكون استعارة تمثيلية إذا حصل في حالة مشابهة لحالة أصله.

وأمثال العرب كثيرة، وكُتب الأمثال منشورة ومتنوّعة، نقرأ منها في النثر:

- (إنّ البغاث بأرضنا يستنسر)، يضرب للضعيف يُظهر أنّه قويّ.
- (قبل الرماء تُملأ الكنائن)، يضرب في وجوب الإعداد السليم للأمر قبل حصوله.
- (لا تنثر الدرّ أمام الخنازير)، يضرب لمن يقدّم النصح لمن لا يفهمه أو لا يعمل به.
- (أنت تصرخ في واد)، يُضرب لمن يعمل ما لا فائدة فيه.
- (ما يومُ حليمةَ بسرّ)، يضرب لكلّ أمر معروف مشهور.

ونقرأ من هذه الأمثال في الشعر:

- ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ ... يجدْ مرّاً به الماء الزلالا

يُضرب لمن لا يعرف قيمة الشيء.

- ومن ملك البلاد بغير حربٍ ... يهونُ عليه تسليمُ البلادِ

يُضرب لمن يفرّط فيما لا يتعب في تحصيله.

- وليس يصحّ في هذه الأذهان شيءٌ ... إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

يُضرب للأمر المسلّم بوضوحه.

ومما يُعدّ من الاستعارة التمثيليّة قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد علّق الدكتور فضل عباس على هذه الآية بقوله: ((هدفُ الآية الكريمة – والله أعلم – توجيهُ الناسِ إلى أن لا ينشغلوا بغير ما يعود عليهم بالخير والفائدة، فلقد سأل الصحابةُ رضوان الله عليهم الرسولَ عليه الصلاة والسلام عن الهلال: ما باله يبدو صغيراً ثمّ يكبر ثم يعود كما بدأ؟ فأرشدهم الله إلى أنّه من الأحرى

بهم أن يسألوا عما يجديهم، وأن يعيشوا مَعَ واقعهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، فقد شُبِّهت حالة الذي يعنى بغير ما يجديه بحال الذي يأتي البيت من ظهره، فهو مضطرّ إلى أن ينقّب ويخرّب ليستطيع دخول البيت، وكان من حقّه أن يلج البيت من بابه))[1].

فهنا استعارة تمثيلية حذف فيها المشبّه (حالة الذي يُعنى بغير ما يجديه)، وذكر المشبّه به (حالة الذي يأتي البيت من ظهره ولا يأتيه من بابه) المفهومة من سياق الآية.

مكانة الاستعارة في البلاغة:

الاستعارة أبلغ من الحقيقة وأبلغ من التشبيه، يقول عبد القاهر الجرجاني: ((اعلم أنّ من شأن الاستعارة أنّك كلّما زدت إرادتك التشبيه إخفاء ازدادت الاستعارة حسناً، حتى إنّك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد أُلّفَ تأليفاً إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع، ومثال ذلك قول ابن المعتز:

أثمرتْ أغصانُ راحتِهِ　　　لجناةِ الحُسْـــنِ عنّابا

ألا ترى أنّك لو حملتَ نفسك على أن تظهر التشبيه وتفصح به احتجتَ إلى أن تقول (أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبيه العنّاب من أطرافها المخضوبة). وهذا ما لا تخفى غثاثته))[2].

---

١ – البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع: ص ١٩٤.

٢ – دلائل الإعجاز: ص ٤٥٠–٤٥١.

من خصائص الاستعارة:

١- شرح المعنى وتوضيحه، اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤]، تجد أنّ حقيقته كثرة الشيب في الرأس، واستعارة الاشتعال أبلغ لفضل ضياء النار على بياض الشيب ولإفادتها القوّة في هذا المعنى.

٢- المبالغة في تأكيد المعنى، اقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، تجد أنّ حقيقة المعنى: لمّا علا، والاستعارة أبلغ لأنّ فيها دلالة القهر لما في الطغيان من علوّ فيه غلبة وقهر.

وفي معنى المبالغة قول أبي تمّام:

ويصعدُ حتّى يظنَّ الجهولُ .... بأنّ له حاجة في السماء

فقد جعل الشاعر ارتقاء ممدوحه في الخصال العالية والمراتب الشريفة كالصعود إلى السماء، وفي هذه الاستعارة من تناسي التشبيه ما يدلّ على صفة المبالغة في تأكيد المعنى.

٣- التشخيص والتجسيد في المعنويات وبثّ الحياة والنطق والحركة في الجماد، يقول عبد القاهر: ((فإنك لترى بها الجماد حيّاً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جليّة ... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنّها قد جُسّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانيّة حتّى تعود روحانيّة لا تنالها إلاّ الظنون))[1].

---

١ - أسرار البلاغة: ٣٣.

Damascus University

اقرأ قوله تعالى: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٧- ٨].

تجد أنّ (تميزّ من الغيظ) حقيقته من شدّة الغليان بالاتّقاد، والاستعارة كما يقول الرمّاني[1] أبلغ لأنّ مقدار شدّة الغيظ على النفس محسوس مدرك مايدعو إليه من شدّة الانتقام، لقد صوّرتْ هذه الاستعارة نار جهنّم وأبرزتها في صورة تنخلع القلوب من هولها رعباً وفزعاً بصورة مخلوق جبّار مكفهرّ الوجه يغلي صدره حقداً وغيظاً.

٤- الإيجاز، فهي تعطيك الكثير من المعاني باليسير من الألفاظ حتّى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر[2]، ويكفيك لتلمس هذا الإيجاز أن تقرأ قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، إذ كأنّما شبه التبليغ بالصدع بجامع المشقّة في كلّ، ثمّ حذف المشبّه وصرّح بذكر المشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحية، ثمّ اشتقّ من الصدع فعل (اصدع) بمعنى بلّغ فالاستعارة تبعيّة.

ومن هذا الإيجاز الذي تقدّمه الاستعارة قول الرسول عليه السلام: (إيّاكم وخضراء الدمن) مشبّهاً المرأة الحسناء في منبت السوء بالشجرة البهيّة تنبت في تربة سيئة.

١- النكت في إعجاز القرآن: ص ٨٧.

٢- انظر أسرار البلاغة: ص ٣٢.

تطبيقات على موضوع الاستعارة

يسمّي بعض العلماء الاستعارة غادة البيان العربيّ، فلها شأنُها بين الأنواع البلاغيّة الأخرى، لهذا أحببت أن أجري لك -أيها الطالب- مجموعة من التطبيقات الشعرية تجلّت فيها الاستعارة واضحة المعالم، إلا أنّها تحتاج إلى من يدلّك على مفاتحها.

واخترتُها لك من شعر المتنبي وأنت تعرف من هو المتنبي في أداء الصورة البلاغية وحسن الاستعارة وجزالة الاستخدام.

وقد روعي في هذه التطبيقات ما يلي:

- بيان أركان الاستعارة: المستعار منه والمستعار والمستعار له والجامع بين طرفيها.
- بيان نوع الاستعارة بالنظر إلى الطرفين ثم إلى اللفظ المستعار أجامد أم مشتق، ثمّ إلى ما يلائم طرفي التشبيه فيه من تجريد وإطلاق وترشيح. وإمكانية التقاء الطرفين أو عدمه في الوفاقية والعناديّة. وتركنا لك أن تقيس عليها.

وقدّمنا لك بعد ذلك أمثلة متنوّعة لتستدلّ من خلالها على مواضع الاستعارة بنفسك فهي للتدريب والتمرين.

شفى كلَّ شاكٍ سيفُه ونوالُهُ   من الداءِ حتّى الثاكلاتِ من الثُكْلِ

تتبيّن في هذا البيت أن الاستعارة قد وردت في قوله: " **شفى كل شاك سيفُه ونواله حتى الثاكلات**"، إذ استعار الشفاء من الدواء " **مستعار**" للسيف الذي

يحسم الأمور ويحلّ ما كان قد استعصى منها " **مستعار له**"، والشفاء غير محسوس بخلاف السيف.

والجامع بين هذين الطرفين عقليّ أيضاً لأن راحة الإنسان وطمأنينته تتحققان بشفائه من كلّ ما ألم به وبحسمه الأمور المستعصية.

وقرينة هذه الاستعارة قوله: "شفى سيفه ونواله" فالشفاء عادة يكون بالدواء لا بالسيف.

ونتبيّن – من خلال النظر إلى لفظ مستعارها – أنها **استعارة تبعية** وقعت في الفعل شفى فبُنيت على استعارة أخرى هي تابعة لها في أجزائها، وقد أدركت من خلال الفاعل سيفه ونواله.

وبالعودة إلى طرفيها أي إلى المستعار والمستعار له– لنتبين فيما لو كانا متناقضين لا يمكن التقاؤهما في حالة واحدة أم لا– فإننا نجد أن كلاً منهما يمكن تحققهما في ذات واحدة؛ فهي إذاً **استعارة وفاقية**.

وهي من حيث ذكر أحد طرفيها **استعارة مكنية**؛ لأن المتنبي شبّه السيف والنوال " **مشبه**" بالدواء " **مشبه به**"، حذف المشبه به وذكر ما يدلّ عليه.

وعلى اعتبار إمكانية تحقّق المستعار له حسيّاً أم عقلياً فإنه هنا جاء على سبيل التخييل؛ فتكون وفقاً لذلك **تخييلية**.

وقد ذكر في البيت كلمة الداء وهي مما يلائم المستعار منه " الدواء" فتكون **الاستعارة مرشحة**.

وهذه الاستعارة قد حققت فائدتها لأن الجامع ما بين طرفيها أمر احتاج إلى تأمّل واستنتاج بالإضافة إلى الصياغة التي سيقت ضمنها مفرداتها والتي كانت قد أثرتها دلالةً.

Damascus University

تعرّضَ لي السحابُ وقد قفلْنا فقلتُ: إليكَ إنَّ معي السحابا

الاستعارة التي نلحظها في هذا البيت هي قوله: "إن معي السحابا"، إذ عبّر عن الممدوح بالسحاب ليدل على استبشار الخير به، فيكون المتنبي قد استعار السحاب "**مستعار**" للمدوح "**مستعار له**" – كلاهما محسوس– **والجامع** بين السحاب والممدوح أنّه بكليهما يستبشر بالخير فهو **جامع عقلي**.

والقرينة في هذه الاستعارة لفظية نتبيّنها من قوله: "معي".

وهي هنا **أصلية** لأن لفظ المستعار "السحابا" اسم جامد غير مشتق، كما أنها **وفاقية** إذ لا تناقض بين المستعار والمستعار له.

وبالنظر إلى ذكر المشبه به وحذف المشبه **استعارة تصريحية**.

وهي باعتبار المستعار **له** فيما لو كان أمراً يمكن تحققّه أم لا **استعارة تحقيقية** حسيّاً.

أما ذكر الألفاظ الملائمة لأحد طرفي الاستعارة أو لكليهما فإننا نجد أنها **استعارة مطلقة** إذ لم ترد فيها صفات تؤكد تميز أحد الطرفين على الآخر.

وبالنظر إلى **جمالية** هذه الاستعارة والفائدة المتحققة منها يُرى أن تأثيرها هنا ليس في تقرير حقيقة المعنى بل في حمله على الوجهة التي أرادها المتنبي، فأكدت أن هذا الممدوح لا يساوي السحاب بل يزيد خيره عليه عندما قرّر أنه السحاب، فحققت بذلك مبالغة محبّبة تثبت كرمه وعطاءه.

أرى القمرَ ابنَ الشمسِ قد لبسَ العلا رويدكَ حتّى يلبسَ الشَّعرَ الخدُّ

نلحظ في هذا البيت عدداً من الاستعارات: عبّر عن الأولى بقوله: "أرى القمر" إذ رأى المتنبي ممدوحه قمراً لبهاء أفعاله وخلقه، فاستعار القمر "مستعار" للمدوح "مستعار له" وكلاهما محسوسان، أما الجامع بينهما فهو عقليّ – بكليهما يُستبشر الخير ويُتفاءل –ولأن القمر الذي هو بمنزلة المستعار اسم جامد فهذا يعني أن الاستعارة أصلية لا تبعيّة، وهي أيضاً **تصريحية** إذ شبه الممدوح "**مشبه**" بالقمر "مشبه به" حذف المشبه وصرّح بالمشبه به، وباعتبار اجتماع طرفيها أو عدمه نجد أنها **وفاقية**، أما على اعتبار المستعار له فيما لو كان أمراً يمكن تحققّه أم لا فإنها **تحقيقية** – المستعار له أمر محقق حسيّاً–، ومن جهة الملاءمة بين المستعار منه والمستعار له فإننا نجد أنها **مرشحة** لأن صفة ابن الشمس مما يلائم القمر، والمقصود هنا أن القمر يستمد نوره من الشمس.

وقوله: "**ابن الشمس**" يمثل الاستعارة الثانية فقد استعار الشمس "**مستعار**" حسّي ليدلل على والد الممدوح رفيع النسب "**مستعار له**" حسّي أيضاً، وكلاهما يشتركان بأنهما الأصل الذي يُفتخر به؛ فالابن الممدوح يستمدّ شرفه من والده، كالقمر إذ يستمد نوره من الشمس؛ فيكون **الجامع** بينهما عقلياً.

وهي استعارة **تصريحية** لأنه صرّح بالمشبه به "**الشمس**" وحذف المشبه "**والد الممدوح**"، و**وفاقية** إذ يمكن والد الممدوح أن يوصف بأنه شمس لحسن أفعاله.

أما باعتبار لفظ المستعار "الشمس" فيما لو كان جامداً أو مشتقاً فهو هنا اسم جامد وعليه تكون **الاستعارة أصلية**.

وبما أن المستعار له أمر محقق حسيّاً فهذا يعني أنها **استعارة تحقيقية**.

والاستعارة الثالثة في هذا البيت هي "لبس العلا"، إذ عبّر المتنبي عن رفعة الممدوح بأن استعار اللبس "مستعار" وهو حسّي لرفعته وسموه مجداً "مستعار له" عقليّ، والاستعارة هنا ليست قريبة وإنما هي خاصة قصدت الممدوح، وهي مكنية إذ شبه العلا "مشبه" بالثوب الذي يلبس "مشبه به" حذف المشبه به و ترك اللبس ليدل عليه.

وقد اعتمد أبو الطيب في هذه الاستعارة على مشتق لا على اسم جامد إذ اشتق من اللبس الفعل لبس بمعنى ترفع وتم إدراكها من خلال المفعول به؛ فهي **استعارة تبعية**.

ولأن الترفع واللبس يمكن اجتماعهما في ذات واحدة فهذا يعني أنها **استعارة وفاقية**.

وإذا نظرنا إلى المستعار له وإمكانية تحققه وجدنا أن المتنبي جاء به هنا على سبيل التخييل، فهي بذلك استعارة تخييلية.

ولم يذكر من الألفاظ ما هو مناسب لأيٍّ من طرفي الاستعارة أي أنها **استعارة مطلقة**.

أما الاستعارة الرابعة في هذا البيت فهي قوله: "**يلبس الشعرَ الخدّ**" إذ استعار اللبس "**مستعار**" لظهور شعر الخدّ "**مستعار له**" وكلا الطرفين حسّي، أما **الجامع** بينهما فهي تغطية شيء بآخر وهذا أمر حسّي أيضاً.

وقد اشتق المتنبّي من اللبس الفعل يلبس فتكون وفقاً لذلك **استعارة تبعية** أدركت من خلال الفاعل.

وهي أيضاً **استعارة تحقيقية** لأن المستعار له أمر ممكن التحقّق حسيّاً.

أما من جهة ذكر أحد طرفي الاستعارة فنتبيّن أنها **استعارة تصريحية**؛ إذ شبه ظهور شعر الخد "**مشبه**" باللبس "**مشبه به**" حذف المشبه وصرح بالمشبه به.

وهي من حيث الألفاظ الملائمة للمستعار له **استعارة مجردة**.

حقّق الشاعر في الاستعارتين الأولى والثانية الغرض الجوهري من كل استعارة أي الإيجاز والمبالغة وجعل الصفة والموصوف والتشبيه في اسم واحد، أما الاستعارتان الثالثة والرابعة فقد احتملت الواحدة منهما أوجهاً وتأويلات عدّة، مما جعلها تكتسب بعداً جمالياً يحقق المبالغة والإيجاز، وهذه الاستعارات الأربع كانت بمجملها مفيدة حسنة الصياغة.

الدهرُ يعجبُ من حمــلي نوائبَهُ   وصبرِ نفسي على أحداثِه الحُطَمِ

في الاستعارة الأولى نتبين أن حوادث الدهر العظام تضعف أمام قدرة المتنبي على تحمّلها، فعبر عن ضعف هذه الحوادث أمامه بتعجب الدهر، فاستعار التعجب من الإنسان "مستعار" لضعف حوادث الدهر أمام هذا الممدوح "مستعار له" وكلاهُما عقليّ، والجامع بينهما عقليّ أيضاً لأنّه بكليهما يتّم تصغير شأن أحدهما على الآخر وتقليله.

وقد اشتق من التعجب الفعل يعجب بمعنى يضعف فهي بذلك **استعارة تبعيّة** وقعت في الفعل وأدركت من خلال الفاعل، شبّه ضعف الدهر "**مشبه**" بالإنسان الذي يتعجب "**مشبه به**" حذف المشبه به وترك شيئاً من لوازمه وهو التعجب فهي **استعارة مكنية**.

وإسناد الضعف إلى الدهر أمر متخيّل أي أنها **استعارة تخييليّة**.

ولأن الضعف والعجب يمكن التقاؤهما في شيء واحد فهذا يدل على أنها **استعارة وفاقية**.

أما من حيث اعتبار الألفاظ الملائمة لكلٍّ من طرفي الاستعارة فإن الشاعر لم يذكر ما هو مناسب لأيٍّ من طرفيها، **استعارة مطلقة**.

أما الاستعارة الثانية في هذا البيت فقد وردت بعبارة "**من حملي نوائبه**"، فعبّر عن تحمّله نوائب الدهر بحمله إياها، فاستعار الحمل الذي هو للأشياء المادية للتحمل والجلد أمام المصائب، وهي هنا **وفاقية مكنية تخييليّة أصلية** إذ وقعت في المصدر.

ولأن طرفيها لم يقترنا بما يناسبهما فهي **مطلقة**.

والفائدة المتحققة من هذه الاستعارة تعود إلى درجة المبالغة التي عبّر بها المتنبي عن قدرته على الوقوف بوجه الدهر، إذ جعل الدهر إنساناً متعجباً من صبره ومقدرته على حمل هذه المصائب، ثم جعل النوائب أمراً مادياً يُحمل، ومن هاتين الاستعارتين المبالغ فيهما نجد أنه قد أجاد من جهة التشبيه والإيجاز –الغرضين الأساسيين من كل استعارة–؛ مما أدى إلى تأدية المعنى المطلوب.

في الخدّ إن عزم الخليطُ رحيلا　　　　مطرٌ تزيد به الخدود مُحولا

يرسم الشاعر صورة الدمع وهو على الخد، فاستعار المطر "**مستعار**" للدمع "**مستعار له**" وكلا الطرفين أمر محسوس، **والجامع** بينهما أمر يدرك عقلاً إذ يبدو أن الرابط بين الدمع والمطر هو أن الدمع يدلّ على إثارة حالة وجدانية عميقة الأثر في النفس يستدعيه الإنسان عندما يهطل، والقرينة في هذه الاستعارة قوله: (في الخدّ) وقوله أيضاً: (تزيد به الخدود محولا).

والاستعارة هنا **أصلية** لأن لفظ المستعار "المطر" جامد غير مشتق، وهي أيضاً **وفاقية** على اعتبار أنّ المستعار والمستعار له يمكن اجتماعهما معاً فلا تناقض بينهما.

Damascus University

أما من جهة علاقة المشابهة فنجد أنه شبّه الدمع "مشبه" بالمطر "مشبه به" حذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو المطر؛ وبناء على ذلك فهي استعارة **تصريحية**.

ولأن المستعار له في هذه الاستعارة أمر يمكن تحققه حسّياً فهي **استعارة تحقيقية**.

وقوله "في الخدّ" و"تزيد به الخدودُ محولا" مما لاشكّ أنه يناسب الدمع ويلائمه ولما كان الدمع في هذه الاستعارة هو المشبه أي المستعار له فإنها **استعارة مجردة**.

إضافة إلى حسن ألفاظ هذا البيت صياغة ومعنى –إذ ناسبت المعنى على أفضل وجه – نجد الشاعر قد أبدع في استخدامه هذه الاستعارة لأنها قد حققت المطلوب منها فتركت في النفس أثراً جمالياً أكثر بلاغة من اعتماد الحقيقة وفضل الاستعارة على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لاتفعل الحقيقة، وهذا سبب جودتها.

كثرتْ حولَ ديارِهِمْ لمّا بدت   منها الشموسُ وليسَ فيها المشرقُ

يصف الشاعر في هذا البيت حسن أفعال الممدوح وفضائل خلقه على الناس فيراها شمساً؛ بل يبالغ فيقول إنها ليست شمساً واحدة وإنما هي شموس، فالشموس "**مستعار**" للممدوح "**مستعار له**"؛ وهنا المستعار والمستعار له أمران حسّيان، أما **الجامع** بينهما فهو عقليّ لأن كلا منهما يدل على المكانة العالية والمنزلة الرفيعة.

و**القرينة** التي أشارت إلى أن الحديث في هذا البيت هو عن الممدوح لا عن الشمس قوله: " كثرتْ حولَ ديارِهِمْ" و"ليسَ فيها المشرقُ"، فهذا مما

يدل على أن المقصود هو الممدوح لا شمسُ السماء التي تستجلب بمجيئها الإشراق والنور.

وبما أن المستعار والمستعار له يمكن اجتماعهما فإن **الاستعارة وفاقية**.

وهنا نتبيّن أن الممدوح جاء في موضع "**المشبه**" والشموس في موضع الـ "**مشبه به**" فحذف المشبه وهو الممدوح وصرّح بالمشبه به الشموس، **استعارة تصريحية**.

وهي من حيث إمكانية تحقق المستعار له أمر ممكن التحقّق حسياً فتكون وفقاً لذلك **استعارة تحقيقية**.

وهي باعتبار لفظ المستعار فيما لو كان لفظاً مشتقاً أو جامداً نجد أنها **استعارة أصلية** لأن المستعار جاء اسماً جامداً غير مشتق.

أما بالنظر إلى الألفاظ التي ناسبت المستعار له "الممدوح" وهي قوله: "حول ديارهم" تجعل منها **استعارة مجردة**.

والفائدة المتحققة من هذه الاستعارة قدرة الشاعر على الإتيان بصورة فنية رائعة الصياغة كانت في أصلها صورة بسيطة مألوفة، فنقلها من المعنى القريب إلى آخر يتطلب إمعاناً ودقة لتفهم المراد، وهكذا تمّ تحقيق الفائدة من هذه الاستعارة.

خريدةٌ لو رأتْها الشمسُ ما طلعتْ ... ولو رآها قضيبُ البان لم يَمِسِ

في البيت استعارتان، الأولى نتبيّنها من قوله: " رأتْها الشمسُ" أما الاستعارة الثانية فهي " **قضيبُ البان** لم يَمِسِ".

وفي الاستعارة الأولى نجد أن المتنبي قد دلل على جمال هذه المرأة بأن قال إن ضوء الشمس لا يمكن أن يلحظ إن بدت هذه الفتاة، فهي بجمالها تفوق الشمس ضياءً.

أي أنّ المتنبي استعار الرؤية "مستعار" من الإنسان للشمس" **مستعار له**"، فالمستعار عقليّ والمستعار له حسّي، والجامع بين الرؤية والشمس أن كليهما يمكنان الإنسان من اتخاذ رأيه السديد تجاه أمرٍ ما؛ فهو أمر عقلي.

أما القرينة في هذه الاستعارة فهي قوله: " خريدةٌ لو رأتْها الشمسُ" فالضمير في فعل الرؤية يعود على الخريدة الفتاة.

وقد شبّه الشمس "**مشبه**" بالإنسان الذي يرى "**مشبه به**" حذف المشبه به وقد ترك الرؤية من لوازمه، **فالاستعارة مكنية**.

ولأن لفظ المستعار هنا كان فعلاً مشتقاً من مصدر الرؤية فإن الاستعارة تستوجب أن تكون **استعارة تبعيّة**؛ وقد أدركت من خلال الفاعل.

أما على اعتبار إسناد الرؤية للمستعار له "الشمس" فقد كان على سبيل التخييل، فهي **استعارة تخييلية**.

ولأن المستعار والمستعار له أمران يمكن اجتماعهما معاً فهي **استعارة وفاقية**.

ثمّ على اعتبار ما ذكر من ألفاظ تناسب أحد طرفيها فإننا نجد عبارة "ما طلعت" وهي مما يناسب المستعار له ويلائمه فتكون وفقاً لذلك **استعارة مجردة**.

أما الاستعارة الثانية في هذا البيت فهي قوله:" رآها **قضيبُ البان لم يَمِسِ**"، إذ استعار رؤية الإنسان أيضاً ومشية المتبختر " **مستعار**" لقضيب البان المتمايل وكأنه يتبختر "**مستعار له**"، وكلا الطرفين أمر يدرك بالحسّ

فهما محسوسان، **والجامع** بين الإنسان وقضيب البان أن كليهما يتمايلان في انتصابهما؛ فعلى ذلك يكون الجامع أمراً حسيّاً أيضاً.

والقرينة هنا قوله: "رآها لم يمس" فالميس مما يعود على الإنسان.

وبما أن المتنبي كان قد ذكر القضيب "**المشبه**" وحذف الإنسان "**المشبه به**" وترك من لوازمه ما يدل عليه فإن **الاستعارة مكنية**.

والمستعار له هنا أمر جاء على سبيل التخييل، لذا فهي **استعارة تخييلية**.

وهي أيضاً **استعارة وفاقية** لأن المستعار والمستعار له لا تناقض بينهما بل يمكن التقاؤهما معاً.

أما على اعتبار لفظ المستعار فهي **استعارة تبعيّة** لأن المتنبي اشتقّ من الرؤية والميس فعل كلّ منهما؛ وقد أدركت من خلال الفاعل.

وهي من حيث الألفاظ الملائمة لأحد طرفيها **استعارة مرشحة** لأن عبارة " لم يمس" مما يناسب الإنسان الذي هو هنا مستعار منه.

لقد وفق الشاعر في تحقيق الغرض من الاستعارتين الواردتين في البيت وهو إيجاد ضرب من المبالغة، وقد تحقّق في كلتيهما، ولو بدا في الثانية أكثر تأثيراً.

ووجهُ البحرِ يُعرَفُ من بعيدٍ إذا يسجو فكيفَ إذاً يموجُ

إن الاستعارة في هذا البيت شديدة الوضوح؛ فالشاعر يرى أن البحر أنسب وصف لكرم سيف الدولة وحسن فضله على الناس، فهو كريم كالبحر لا ينفد خيره ولا يحرم منه أحد.

فاستعار البحر "**مستعار**" لبأس ممدوحه سيف الدولة وهيئته "**مستعار له**" وهنا المستعار حسّي بخلاف المستعار له، أمّا **الجامع** بينهما فهو سعة

خيرهما غير المحدودة من جهة ومن جهة أخرى بأس كلّ منهما، والقرينة في هذه الاستعارة تُعرف من خلال أن دلالتها تعود على سيف الدولة من سياق الأبيات.

وكلمة البحر التي هي هنا بموضع المستعار كلمة جامدة غير مشتقة فالاستعارة -وفقاً لذلك- أصلية.

وهي من حيث حذف أحد طرفيها استعارة تصريحية لأن الشاعر شبّه سيف الدولة "مشبه" بالبحر "مشبّه به" فحذف المشبه وهو الممدوح وصرّح بالمشبه به.

وبما أن المستعار له "بأس الممدوح وهيبته" أمر يدرك بالعقل فإن الاستعارة ستكون استعارة تحقيقية عقلاً.

أما من جهة إمكانية اجتماع طرفي الاستعارة أم لا فاجتماعهما معاً ممكن فتكون الاستعارة وفقاً لذلك استعارة وفاقية.

ولأن المتنبي كان قد ذكر من الألفاظ ما يناسب المستعار " البحر" مثل كلمة يموج وكلمة يسجو فهي استعارة مرشحة.

استطاع الشاعر بكلمات قليلة أن يرسم صورة شديدة الأثر في ذهن كلّ من يقرؤه، فمبالغته الشديدة لم تحمل على مضض، وإنما كانت مناسبة للمعنى الذي أدرجت ضمنه، فحققت بذلك الغرض منها والفائدة المرجوة، هذا إلى أنّ غيره من الشعراء كانوا قد وصفوا ممدوحيهم بالبحر إلا أن المتنبي جاء بها بصورة مستجدة.

تُباري نجومَ القذفِ في كل ليلةٍ نجومٌ له منهنّ ورْدٌ وأدهمُ

تظهر استعارة هذا البيت في قوله:" تُباري نجومَ القذفِ نجومٌ..."، فنجوم السماء بكل ما أوتيت من سرعة تساوي سرعة خيله وهم في أرض

المعركة فكأنما بينهما سباق، فاستعار نجوم السماء "**مستعار**" للخيل السريعة في عدْوها " **مستعار له**" وكلاهما محسوسان.

والجامع بينهما تأكيد السرعة فخيلُهُ سريعة في عدْوها لقتال أعدائه وكذلك نجوم السماء.

والقرينة في هذه الاستعارة هي الضمير في (له) إذ يعود على الممدوح.

وهي **استعارة وفاقية** لأن المستعار له والمستعار يمكن اجتماعهما معاً ولا تناقض بينهما.

أما على اعتبارها تصريحية أم مكنية فهي **استعارة تصريحية**، لأنّ الشاعر شبّه سرعة الخيل وهي في أرض المعركة "**مشبه**" بالنجوم السريعة أيضاً في السماء "**مشبه به**" فحذف المشبه وصرّح بالمشبّه به.

وهي أيضاً **استعارة تحقيقية** لأن المستعار له "الخيل" يمكن تحققه بالحواس.

وبالنظر إلى لفظ المستعار فإننا نجد أنه اسم جامد وليس مشتقاً فتكون وفقاً لذلك **استعارة أصلية**.

ولأن المتنبي كان قد ذكر في البيت ما يلائم الخيل التي هي بمنزلة المستعار له كقوله: " وَرْدٌ وأدهمُ " ، والمستعار منه " في كل ليلةٍ " فالاستعارة مجردة ومرشحة معاً أي **مطلقة**.

ويمكن القول إنّ الاستعارة في هذا البيت كانت مناسبة جداً، لأنها قامت بأداء المعنى المطلوب منها إضافة لانتقاء المتنبي الألفاظ المناسبة لها، فهي صورة غير مبتذلة.

ضممتَ جناحَيْهم على القلب ضمة تموتُ الخوافي تحتَها والقوادمُ

يصوّر الشاعر مدى قوة ممدوحه سيف الدولة وهو يقاتل أعداءه على أرض المعركة، فيأتي باستعارتين اثنتين ليبيّن أثر هذه القوة في الأعداء.

ففي **الاستعارة الأولى** نجد أنّه عبّر عن ميمنة الجيش وميسرته "مستعار له" بأن استعار لهما جناحي الطائر "مستعار" وكلا الأمرين محسوسان، أما **الجامع** بينهما فهو اعتماد القوة وتركّزها على طرفين اثنين، فالطائر يركز قوته في جناحيه ليتمكن من حمل جسده وكذلك الحال بالنسبة للجيش الذي ينظم قوته ضمن قسمين ليحظى بالنصر.

أما **القرينة** فهي الضمير المتصل بكلمة " جناحيهم" الذي يعود معناه على ميمنة الجيش وميسرته.

وإذا ما نظرنا إلى إمكانية اجتماع المستعار والمستعار له معاً وجدنا أنها **استعارة وفاقية** إذ لا تناقض بين هذين الطرفين.

وهي أيضاً **استعارة أصلية** لأنّ لفظ المستعار " جناحيهم" غير مشتق بل هو اسم جامد.

ومن حيث ذكر أحد طرفيها أو حذفه فهي **استعارة تصريحية**، والسبب في ذلك أن المتنبي شبّه ميمنة الجيش وميسرته "**مشبه**" بجناحي الطائر" **مشبه به**" فحذف لفظي الميمنة والميسرة " المشبه" وصرح بالجناحين "أي بالمشبّه به".

وهي وفقاً لإمكانية تحقّق المستعار له تحققاً حسيّاً **استعارة تحقيقية**.

وقد جاء في البيت بألفاظ ناسبت المستعار منه ككلمتي "الخوافي والقوادم" فهما تدلان على ما خفي من ريش الجناح وما تقدم **فالاستعارة مرشحة**.

أما الاستعارة الثانية في هذا البيت فهي قوله: "تموتُ الخوافي تحتها والقوادمُ"، إذ جعل لما يتقدم من ريش الجناح أو ما قد يخفى منه حياة تنتهي بمجرد المواجهة مع سيف الدولة للقتال، إلا أن الشاعر قصد من ذكره للقوادم الأبطال الذين يعتمد عليهم في المعركة ومن الخوافي الأتباع؛ فعبّر عن هؤلاء الأبطال والأتباع " **مستعار له**" بأن استعار لهم كلمتي "القوادم والخوافي" "مستعار"، وكما هو واضح فإنّ كلا الطرفين أمر محسوس، والجامع بينهما تخيّر الدور والمكان المناسبين لكلّ شخص أو شيء؛ فهو أمر ذهني.

والقرينة يمكن أن تستدرك من الضمير المذكور في كلمة "تحتها" فهو وإن عاد على "ضمةٌ"، لكن المعنى الضمني لهذه الكلمة يشير إلى أنها تعني المواجهة المباشرة لأبطال جيش العدو وأتباعه مع سيف الدولة وفرسانه، مما يدلّ على أنهم هم من سيموتون نتيجةً لهذه الضمة وليست قوادم الجناح أو خوافيه.

ولأن المتنبي شبّه أبطال العدو وأتباعه "**مشبه**" بقوادم جناح الطائر وخوافيه "**مشبّه به**" وقد حذف المشبه وصرّح بالمشبه به فهي **استعارة تصريحية**.

والمستعار له هنا أمر ممكن التحقّق حسيّاً فهي بذلك **استعارة تحقيقية**. ولفظ المستعار جامد فهي **استعارة أصلية** وليست تبعية.

وعلى اعتبار أن المستعار له والمستعار أمران لا تناقض بينهما بل يمكن اجتماعهما معاً فهي **استعارة وفاقية**.

وكلمة "تموت" مما يناسب المستعار له لا المستعار منه، فالاستعارة تبعاً لذلك **استعارة مجردة**.

وقد تجري الاستعارة هنا على وجه آخر.

لقد تمّمت كلّ واحدة من هاتين الاستعارتين الأخرى لأداء المعنى المطلوب؛ إذ أظهرت الأولى منهما مدى قوة سيف الدولة في مواجهة جيش العدو، أما الاستعارة الثانية فقد بيّنت قوته في نفوس هؤلاء الأعداء؛ إذ كان له عظيم الأثر فيهم بما في ذلك الأبطال الفرسان، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الشاعر كان قد استطاع الإتيان بما أراده من المعاني بأقلّ الكلمات فحقق بذلك الإيجاز، ومما حسّن الاستعارة هنا احتمالها أكثر من وجه.

رحلَ العزاءُ برحلتي فكأنّما أتبعتُـــــهُ الأنفاسَ للتشييعِ

في البيت استعارتان، **الأولى** قوله: " **رحلَ العزاءُ** " إذ جعل من العزاء إنساناً يرحل، فاستعار الرحيل من الإنسان " **مستعار**" لزوال العزاء " **مستعار له**" وهما عقليّان، **والجامع** بينهما عقلي أيضاً وهو الأسى والشعور بالفقد.

والقرينة ضمير ياء المتكلم في كلمة "برحلتي" فهي تعود على أبي الطيب المتنبي.

والاستعارة هنا **استعارة وفاقية** لأن طرفي الاستعارة يمكن التقاؤهما معاً، فلا تناقض بينهما.

كما أنها **استعارة مكنيّة**؛ إذ شبه زوال العزاء "مشبه" بالإنسان الذي يرحل "**مشبّه به**" حذف المشبه به وترك شيئاً من دلالاته وهو الرحيل.

ومن حيث إمكانية تحقق المستعار له أو تخيّله فإننا نلحظ أنه أمر متخيل إذ أسند الرحيل إلى العزاء.

وقد جاء لفظ المستعار فعلاً مشتقاً من مصدر (الرحيل) **فهي استعارة تبعية** تم إدراكها من خلال الفاعل.

وأخيراً نلحظ أن المستعار منه قد استوفى ما يناسبه من ألفاظ ككلمة "برحلتي" فهي على اعتبار ذلك **استعارة مرشحة**.

أما **الاستعارة الثانية** التي وردت في هذا البيت فهي قوله:" **أتبعته الأنفاس للتشييع**" فقد تمكن الشاعر من أن يرسم في أذهاننا صورة مضمونها أنّ فعل هذه الأنفاس الآن -التي اعتادها الإنسان وألف إدراكها على أنها حركة اعتيادية وقد لا يوليها عظيم الاهتمام في أحيان كثيرة- ليس كما هو مألوف عادةً إذ حمّلها دوراً آخر يختلف عما كان سابقاً.

فاستعار المتنبي لدورها الجديد أي للأنفاس التي هي هنا بمنزلة " **المستعار له**" التشييع من الإنسان المعزّي "**مستعار**" وكلاهما محسوسان، والجامع بين المستعار له والمستعار عقليّ فقد حمل معنى الحزن الشديد للشعور بالفقد.

وهذه الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها **استعارة مكنيّة** فقد ذكر الأنفاس التي هنا "مشبّه" وحذف الإنسان أي "**المشبه به**" وقد ترك من لوازمه التشييع ليدلّ عليه.

وهي أيضاً **استعارة تخييلية** لأن الشاعر نسب إلى الأنفاس "المستعار له" فعل التشييع وهذا مما ينسب عادةً إلى الإنسان لا الأنفاس.

ولأن لفظ المستعار جامد غير مشتق فإن **الاستعارة أصلية**.

ومما تجب الإشارة إليه هو أن المستعار والمستعار له أمران يمكن اجتماعهما معاً **فالاستعارة وفاقية** لا عنادية.

أما ما كان قد ذكر من ألفاظ تناسب المستعار له أو المستعار منه فإننا نجد أن كلمة "أتبعته" مما يلائم المستعار منه ويناسبه **فالاستعارة مرشحة**.

ومما يمكن أن يذكر عن الاستعارة الأولى هو أنها استعارة بسيطة واضحة قريبة نوعاً ما من الاستخدام المعتاد لهذا المعنى في الكلام العادي، فلم يعمد الشاعر إلى التعقيد في إظهارها.

أما الاستعارة الثانية فهي بسيطة وواضحة أيضاً ويمكن أن يُدرك معناها من خلال القراءة الأولية، إلا أن جماليتها تمّت من خلال الصورة والدور الجديد الذي نسب إلى الأنفاس، فهي عادة تدل على استمرار الحياة، لكنها هنا حملت دلالة أخرى جديدة غير مألوفة وهي دلالة انتهاء الحياة وتوقفها، لذا فالاستعارة الثانية كانت أعمق أثراً من الاستعارة الأولى.

وتحت ربابه نَبتوا وأثّوا وفي أيّامِهِ كثُروا وطابوا

نرى في البيت استعارتين ليستا بجديدتين؛ إذ كان الشعراء قد ألفوا تداول صورتهما بكثرة إذا أرادوا الإشهار بمدح أحدهم، ولم يحد الشاعر عمّا كان معتمداً من قبل غيره من الشعراء، فجاء أولاً بصورة الرباب الذي يبشّر بالخير لما يحمله من مطر، وذكر ثانياً النبت الطالع إثر هذا المطر، وبكلا الصورتين أراد التعبير عن ممدوحه سيف الدولة وأثر أفعاله في الناس.

فعبّر في **الاستعارة الأولى** " **وتحت ربابه**" عن كثرة خيره بأن استعار الرباب " **مستعار**" له (أي لسيف الدولة ممدوحه) "**مستعار له**" وكلاهما محسوسان، و**الجامع** بين هذين الطرفين التفاؤل بالخير؛ فسيف الدولة كالرباب يستبشر به الخير، وهو جامع عقلي.

وقد استوفت الاستعارة هنا **قرينتها**، لأن ضمير الهاء في كلمة "ربابه" يعود على سيف الدولة.

وهي من حيث وجه التشبيه **استعارة تصريحية** لأن الشاعر ذكر الرباب "**المشبه**" وحذف الممدوح "**المشبه**".

وهي أيضاً **استعارة وفاقية** من حيث إمكانية اجتماع الطرفين معاً.

أمّا على اعتبار لفظ المستعار فهو هنا اسم جامد وليس اسماً مشتقاً **فالاستعارة أصلية.**

والمستعار له في هذه الاستعارة أمر ممكن التحقق حسياً؛ **فالاستعارة تحقيقية.**

وقد ذكر في البيت كلمة " نبتوا" وهي مما يناسب المستعار ويلائمه فالاستعارة وفقاً لذلك **مرشحة.**

أما **الاستعارة الثانية** فهي قوله: "نبتوا" إذ استعار الفعل نبت " **مستعار**" لترعرع الناس واطمئنانهم في ظل رعايته إياهم " **مستعار له**" والمستعار هنا أمر محسوس بخلاف المستعار له، **والجامع** بينهما أمر عقلي.

والقرينة واو الجماعة في الفعل "نبتوا" إذ تعود على رعية سيف الدولة.

والاستعارة هنا وفاقية لأن كلاً من المستعار والمستعار له ممكنا الالتقاء.

وهي بالنظر إلى لفظ المستعار **تبعية** لأنه كان فعلاً مشتقاً من المصدر وليس اسماً جامداً.

أما باعتبار طرفيها من حيث علاقة المشابهة فإنها **استعارة تصريحية**، إذ حذف المتنبي الناس الذين هم بمنزلة " **المشبه**" وصرّح بـ "**المشبه به**".

أما من حيث تحقق المستعار له فهو هنا ممكن تحققه حساً **فالاستعارة تحقيقية.**

ولما ذكر الشاعر من الألفاظ ما يناسب المستعار (الرباب يناسب النبات) والمستعار له (كثروا وطابوا تناسب الناس) **فالاستعارة مطلقة.**

إنّ هاتين الاستعارتين مما ألف الشعراء استعمالهما بكثرة عندما أرادوا إسباغ الصفات الإيجابية على ممدوحيهم، والمتنبي هنا لم يكن قد أضاف إلى هذا الوصف شيئاً يؤخذ بالحسبان، إلا أنّه كان موفقاً في اختيار الصياغة المناسبة لإبراز هاتين الاستعارتين.

وخيلاً تغتذي ريحَ الموامي ويكفيها من الماء السَّرابُ

يقول المتنبي في وصفه خيل سيف الدولة إنها خيول قوية تصبر على الجوع والعطش في أوقات الحروب، فعبر عن ذلك بأن جعل غذاءها ريح الصحارى وماءها القليل، أي أنه استعار الريح "**مستعار**" لاكتفائها عن الزرع وقلة الأكل "**مستعار له**" والمستعار هنا محسوس بينما المستعار له عقلي، و**الجامع** بين اعتماد ريح الموامي غذاءً وقلة الأكل الاكتفاء بأقلّ ما يمكن من الشيء، فهو عقلي أيضاً.

والاستعارة هنا **وفاقية** لأنه لا تناقض بين طرفيها.

كما أنها **استعارة أصلية** لأن لفظ المستعار جامد وليس مشتقاً.

أما بالنظر إليها من حيث علاقة المشابهة بين طرفيها فإننا نجد أن الشاعر شبّه قلة ما تأكله خيول سيف الدولة " **مشبه**" بريح الموامي " **مشبه به**" فحذف المشبه وصرّح بالمشبه به، **فالاستعارة تصريحية**.

وبما أن المستعار له الذي هو قلة ما تأكله هذه الخيول أمر مدرك حسياً فإن **الاستعارة تحقيقيّة**.

وفي هذه الاستعارة نجد أنه ذكر ما يناسب المستعارة له " قلة الأكل" عندما جاء بالفعل " تغتذي"، أي أن **الاستعارة مجردة**.

والاستعارة في البيت بسيطة اعتمدت على صورة مستمدة من الواقع، فالخيل لا تأخذ الريح غذاءً لها، ولكن من يرى عدْوها وهي مسرعة للانقضاض على الأعداء في أرض المعركة يخيّل له أنها لا تغتذي.

تعثَّرتْ به في الأفواه ألسنُها والبُرْدُ في الطرقِ والأقلامُ في الكتب

عندما وصل المتنبي خبر وفاة أخته شعر بالحزن الشديد عليها، ولما صعب على حامله إمكانية النطق به لشدة ما سيتركه في نفس أخيها رأى المتنبي في الألسن رجلاً تعثر في مشيه وكذلك حال البرد في طريقها إليه والأقلام في الكتب.

فاستعار تعثر الإنسان "**مستعار**" لصعوبة نطق الخبر بالألسن أو الإعلام عنه بالبرد أو حتى بالأقلام "**مستعار له**"، وقد كان **المستعار** هنا أمراً غير مادي بخلاف المستعار له، و**الجامع** بين هذه الأشياء مجتمعة هو حملها للخبر فهو جامع عقلي.

أما **القرينة** فيمكن أن نستدركها من خلال السياق والمعنى العام للأبيات.

وبتشبيه اللسان والبريد والقلم " مشبه" بالإنسان المتعثر في مشيه " **مشبه به**" ثم حذفه المشبّه به "الإنسان" وترك شيء من لوازمه يدل عليه وهو التعثر كانت **الاستعارة مكنية**.

والمتنبي أسند التعثر للألسن والأقلام والبرد وهذا مما يتخيل حدوثه ولا يصحّ أن يقع حقيقةً، فهي وفقاً لذلك **استعارة تخييليّة**.

والمستعار في هذه الاستعارة كان فعلاً ماضياً مشتقاً من المصدر "التعثر" فتكون أيضاً **استعارة تبعية**.

وإذا ما لا حظنا طرفي الاستعارة هنا تبيّنا أن كليهما يمكن اجتماعهما معاً في حالة واحدة، **الاستعارة وفاقية.**

أما باعتبار الألفاظ التي ناسبت أحد طرفي الاستعارة فإننا نجد أنه ذكر ما كان قد لاءم المستعار له عندما قال: " في الأفواه .. وفي الطرق .. وفي الكتب" **فالاستعارة مجردة.**

وقد برع الشاعر هنا في إظهار حالة عجز الأشياء عن إنجاز ما يوكل إليها عادة القيام به، فاللسان غير قادر على الإخبار وكذلك البرد والأقلام، فهي قد أدّت المطلوب منها على أتم وجه.

أيا رامياً يُصمي فؤاد مَرَامِهِ   تُربّي عِداه ريشَها لسهامه

تحسن الاستعارة هنا لبراعة الصورة التي ابتكرها ولما تتركه في النفس من أثر عميق، إذ عمد إلى تصغير شأن الأعداء وتشبيهه إياهم بالطائر، فاستعار الريش من الطائر "**مستعار**" للأعداء "**مستعار له**" وكلاهما محسوس، أما **الجامع** بين ريش الطائر والأعداء فهو أن كليهما تحت رحمة قوة أعظم منهما، فالأعداء لا يساوون قوته بل هم أضعف منه وكذلك حال الطائر الذي لا يقوى على ردّ من يريد أخذ ريشه، وهو جامع عقلي.

القرينة في هذا البيت ضمير الغائب في كلمة " ريشها " فهي تعود على الأعداء، والأعداء لا ريش لهم بل الطائر.

وقد شبّه المتنبي أعداء سيف الدولة "**مشبه**" بالطائر "**مشبه به**" لجبنهم وضعفهم أمام قوته، حذف المشبه به وترك شيئاً من لوازمه يدل عليه ألا وهو الريش **فالاستعارة مكنية.**

وهي أيضاً من جهة إسناد الريش إلى الأعداء أي المستعار للمستعار له **استعارة تخييلية.**

وعلى اعتبار أن لفظ المستعار جامد فإن **الاستعارة أصلية.**

ولأن المستعار والمستعار له يمكن أن يجتمعا معاً فهي **استعارة وفاقية.**

وكلمة " لسهامه" مما يناسب الجيش والأعداء أي المستعار له، وعلى هذا **فالاستعارة مجردة.**

لقد تمكنَ الشاعر من استخدام الألفاظ المناسبة للمعنى المطلوب، فقد صورَ لنا ممدوحه على أنه رام جيد قادر على إنزال الرعب في قلب عدوّه بسهام كان هذا العدو من أعدّها له، وقد هدف المتنبي من رسمه لهذه الصورة إثبات مدى صغر تأثير جيش عدوّه مقارنة بقوته، وهذا معنى جيّد ناسبته الصياغة التي أدرج ضمنها.

حجّبَ ذا البحرَ بحارٌ دونَهُ

يذمّها الناسُ ويحمــدونَهُ

كثرت القصائد التي خص فيها المتنبي سيف الدولة بالمدح، وهذان البيتان من ذلك، إذ استعار البحر أولاً " **مستعار**" لسيف الدولة " **مستعار له**" وكلاهما محسوسان، **والجامع** بين الممدوح والبحر الخير الوافر والكرم الكثير بحيث صار فضل غيره من الناس لا يظهر أمام كرمه.

والقرينة في هذه الاستعارة لفظية لأن ضمير المفعول به المتصل بالفعل "يحمدونه" يعود على سيف الدولة.

وهذه الاستعارة من جهة التشبيه **استعارة تصريحية**، إذ شبه المتنبي " مشبه" بالبحر "**مشبه به**" حذف المشبه وصرح بالمشبَه به.

وعلى اعتبار أن المستعار له " الممدوح" أمر يمكن تحققه حسّاً فإن **الاستعارة تحقيقية.**

أما على اعتبار لفظ المستعار فإنه في هذه الاستعارة جامد غير مشتق، **فالاستعارة أصلية.**

ولأن كلاً من البحر والممدوح ممكنا الالتقاء معاً في حالة واحدة ولا تناقض بينهما يمنع هذا الالتقاء فإن **الاستعارة وفاقية.**

وأخيراً ذُكر الفعل " حجب" بمعنى غطّى وهذا مما يتعلق بالإنسان لا بالبحر، أيْ ذكر ما هو مناسب للممدوح الذي هو هنا بمنزلة المستعار له، **فالاستعارة مجردة.**

وتكاد تكون استعارة كلمة "بحار" للناس الآخرين الذين هم دون مكانة سيف الدولة "مستعار له" قريبة جداً من الاستعارة الأولى، والفرق بينهما أنه في الأولى عبّر عن كثرة خير سيف الدولة بأن جعله بحراً، أما هم وقد جعلهم بمنزلة البحر أيضاً فدون هذا البحر في العطاء والكرم، ودليلنا على ذلك قوله: "يذمها الناس ويحمدونه"، فهم بحر لا خير فيه ليمدح وإنما يذم من قبل الناس الآخرين.

وكما هو واضح فإن الاستعارة هنا **تصريحية، تحقيقية، أصلية، وفاقية.**

وذُكر فعل الذم الملائم للناس لا للبحر فهي **استعارة مجردة.**

وجمالية هذه الاستعارة لم تتوضح من جعل المتنبي سيف الدولة بحراً لكرمه وجوده، بل من قدرته على جعل المقارنة بين سيف الدولة وغيره من الناس كبيرة جداً فيهم وإن كانوا بحاراً إلاّ أنّهم لا يماثلون عظم قدره، فهو أعظم شأناً ممّا يدلّ على حسن الاستعارة وإصابتها المعنى بدقة.

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ تجري الرياح بما لا تشتهي السفُنُ

إن ما تضمنه هذا البيت من الحكمة والقناعة كان كفيلاً في جعله بيتاً يضرب به المثل، لذا فهو من الأبيات السائرة على الألسن، فقد جاء الشاعر فيه باستعارتين، الأولى قوله: " تجري الرياح"، والثانية " تشتهي السفُنُ"، فهو في الاستعارة الأولى نسب الجري إلى الرياح أي استعار جري الإنسان أو ذي الحياة "**مستعار**" لهبوب الرياح " **مستعار له**"، و**الجامع** بين الطرفين إمكانية التحرك من مكان لآخر.

و**القرينة** في هذه الاستعارة معنوية إذ لا شيء فيها يدلّ على أنها تعود على الإنسان الذي يفهم ضمنياً، وذلك لأنّ الجري من أفعاله هو لا من أفعال الرياح.

وهذه الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها وحذف الآخر **استعارة مكنية**، لأن المتنبي ذكر المشبّه "**الرياح**" وحذف المشبه به "**الإنسان أو ذا الحياة**" الذي ترك من لوازمه الجري يدل عليه.

أما المستعار له في هذه الاستعارة فإنه غيرُ ممكن الوقوع بل متخيّل وهذا من شأنه أن يجعل **الاستعارة تخييلية**.

وقد جاء لفظ المستعار هنا فعلاً مشتقاً من الجري ولم يكن اسماً جامداً ليجعلها استعارة أصلية، فهي **استعارة تبعية** أدركت من خلال الفاعل.

ولأن جري الإنسان وهبوب الرياح يمكن أن يجتمعا معاً أو أن يحدثا في حالة واحدة فإن **الاستعارة وفاقية**.

وفي هذه الاستعارة لم يُذكر ما هو ملائم لأيّ من طرفيها مما يجعلها **استعارة مطلقة**.

أما **الاستعارة الثانية** فهي أبلغ معنى لأنه نسب إلى السفن صفة إنسانية خالصة للإنسان تخصه هو لا غير، فاستعار الاشتهاء من الإنسان "مستعار"

للسفن غير العاقلة وهي تقطع البحار "**مستعار له**"، والمستعار في هذه الاستعارة غير محسوس عكس المستعار له، **والجامع** بين هذين الطرفين أنه أُسند فعل إلى كليهما تحقق ما هو مأمول منه، وإسناد الاشتهاء إلى السفن بعيد نوعاً ما.

وهذه الاستعارة من حيث علاقة المشابهة بين طرفيها تدل على أنها **استعارة مكنية**، إذ شبّه السفن "**مشبه**" بالإنسان الذي يتحقق عنده فعل الاشتهاء "مشبه به" فحذف المشبه به وترك الاشتهاء الذي يدل عليه.

والمستعار له هنا غير ممكن التحقق وإنما هو متخيل الحدوث، أي أن **الاستعارة تخييلية**.

ولفظ المستعار كان فعلاً مشتقاً مما يجعل الاستعارة تبعية، وقد أدركت من خلال الفاعل.

ولأن طرفي الاستعارة لا يمكن التقاؤهما معاً فهي استعارة عنادية.

ولم يذكر في هذه الاستعارة ما يناسب أياً من طرفيها فهي تبعاً لذلك **استعارة مطلقة**.

وبما أن الشاعر استطاع بما أوتي من حسن المعنى ودقته إضافة إلى رونق اللفظ وبراعة التركيب بين هاتين الاستعارتين، فإنهما استعارتان جيدتان، هذا ولا يجب أن ننكر أن حسن المناسبة بين الاستعارة الأولى والثانية قد أعلى من شأنهما، ممّا جعل البيت مثلاً سائراً أصاب فيه أبو الطيب تشبيهاً ومناسبة.

Damascus University

يلوحُ بدرُ الدجى في صحنِ غرّته ويحملُ الموتَ في الهيجاء إنْ حملا

يمكننا في هذا البيت أن نتبين استعارتين، الأولى منهما وردت في الشطر الأول والثانية جاءت في الشطر الثاني من البيت، وذلك عندما جعل الموت من أنصار سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي مادحاً قوته في المعركة.

والاستعارة الأولى عملت على إظهار جمال الممدوح بأن استعار البدر بتمامه في ليل شديد الظلمة " **مستعار** " لوجه الممدوح " **مستعار له** " وكلا الطرفين محسوس، أما **جامعهما** فهو الاستحسان بكلّ ما هو حسن كالبدر وهذا جامع عقلي.

أما **القرينة** فهي لفظية لأن الهاء في كلمة " غرته " تعود على الممدوح.

والاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها تصريحية، لأنه ذكر المشبه به " **البدر**" وحذف المشبه، " **وجه الممدوح** ".

والمستعار له في هذه الاستعارة يمكن تحققه حسيّاً، فهي لذلك **استعارة تحقيقية**.

أما لفظ المستعار فقد كان اسماً جامداً غير مشتق من غيره، لذا فإن هذه الاستعارة قامت بذاتها ولم تتبع غيرها فهي **استعارة أصلية**.

وكلّ من البدر والممدوح يمكن اجتماعهما معاً، فهي **استعارة وفاقية**.

وقد جاء المتنبي على ذكر ما هو مناسب لوجه الممدوح " المستعار له "عندما ذكر " في صحن غرته "، كما أنه جاء أيضاً على ذكر كلمة " الدجى" وهي مما يناسب البدر " المستعار"، لذا فالاستعارة مطلقة من حيث ذكره ما يلائم طرفيها.

أما **الاستعارة الثانية** فهي مما اختصّت بذكر شجاعة الممدوح، إذ استعار الإنسان المناصر له وهو في ساحة القتال " **مستعار** " للموت الذي يشهره في وجه أعدائه " **مستعار له** " فالموت يحمل معه ويصول على أعدائه ويقتلهم كلما صال هذا الممدوح، والموت هنا غير محسوس بخلاف الإنسان الذي يكون عوناً لإنسان آخر، و**الجامع** ما بينهما أن كليهما تحت إرادة هذا الممدوح وأمره، وهذا جامع عقلي.

وقرينة الاستعارة مفهومة من ضمير الفاعل المستتر للفعل " حمل ".

والاستعارة من حيث علاقة المشابهة بين طرفيها قائمة على أن شبه المتنبي الموت " **مشبه**" بالإنسان المناصر " **مشبه به** "، فحذف المشبه به وترك الفعل حمل من لوازمه التي تدل عليه، فالاستعارة وفقاً لذلك **مكنية**.

وكما نرى فإن المستعار له في هذه الاستعارة مما يتخيل وقوعه، لذا **فالاستعارة تخييلية**.

أما لفظ المستعار فيها فهو اسم جامد غير مشتق أي أنها **استعارة أصلية**.

وطرفا الاستعارة يمكن التقاؤهما معاً فهي **استعارة وفاقية**.

وبذكره للفعل حمل المناسب للإنسان المناصر في ساحة المعركة أي للمستعار نتبيّن أنها **استعارة مرشحة**.

وفي جمالية الاستعارة نقول إن تباين صورة جمال الممدوح في الاستعارة الأولى مع صورة القوة التي أشاد بها المتنبي في الاستعارة الثانية لا تخفى على أحد ممّن كان قد قرأ القصيدة كاملة أو هذا البيت منفرداً دونما اطلاع على ما قد تكون الأبيات الأخرى سواء التي سبقته أو التي تلته –

للقصيدة قد تضمنته، وهذا الجمع بين صورتين بعيدتين بعضهما عن بعض على هذا النحو لم يضر بأي منهما بل أحسنتا فيما سيقتا من أجله.

فلا تنتك الليالي إنّ أيديها إذا ضربْنَ كسرْنَ النبعَ بالغرب

يصور الشاعر ما لليالي الزمان من تأثير قويّ في كل ما يُعتقد أنه قادر على الوقوف في وجه إرادتها، فاستعار الأيدي "**مستعار**" من الإنسان أو كائن حيّ لقهر الليالي أمنيات الممدوح " **مستعار له** " و هنا المستعار محسوس والمستعار له غير محسوس، و**الجامع** بينهما القدرة على التأثير، وهذا جامع عقلي.

أما **القرينة** فيمكن أن نستدركها من المعنى وذلك لأن الليالي ليس لها أيدي وإنّما هي للإنسان.

وهذه الاستعارة من حيث علاقة التشبيه قامت على النحو التالي: كأنّما شبه الليالي في قهرها لما يُتمنّى " **مشبه**" بالإنسان " **مشبه به** " الذي حذف بعد أن ترك الأيدي التي تدلّ عليه، والاستعارة تبعاً لذلك **مكنية**.

وهي من حيث المستعار له الذي يتخيل وقوعه **استعارة تخييليّة**.

أما لفظ المستعار في هذه الاستعارة فيبيّن أنها استعارة أصلية، لأن الأيدي اسم جامد غير مشتق.

ولكون المستعار والمستعار له أمرين يمكن اجتماعهما معاً **فالاستعارة وفاقية**.

وقد جاء على ذكر الضرب الذي يتعلق بالأيدي "المستعار" لا بالليالي " **المستعار له" فالاستعارة مرشحة.**

والاستعارة التي اعتمدها الشاعر في هذا البيت ليظهر لنا مدى قسوة الزمان – أحياناً – على الإنسان الذي سيقف عاجزاً أمامه لا يقوى على فعل أي شيء، كانت لطيفة من حيث مناسبة الألفاظ للمعنى.

كلّما رحبَتْ بنا الروضُ قلْنا: حلبٌ قصدُنا وأنت السبيل

موضع الاستعارة في هذا البيت واضح، فقد نسب إلى الروض صفة الترحيب التي هي من خصائص الإنسان العاقل، والسبب الذي حمل المتنبي على نسب هذه الصفة للروض هو ما كان قد رآه من حسن يغري بالإقامة في ربوعه، فاستعار الترحيب من الإنسان "**مستعار**" للروض الجميل "**مستعار له**"، والترحيب غير محسوس أما الروض فهو محسوس، و**الجامع** بين هذين الطرفين الشعور بالطمأنينة والارتياح لحسنهما بذلك وهذا جامع عقلي.

وهنا **القرينة** تدرك على نحو معنوي لا لفظي.

وفي هذه الاستعارة كان الشاعر قد شبه الروض " **مشبه**" بالإنسان " **مشبه به**" حذف المشبه به و ترك الترحيب الذي هو من لوازمه إذاً **فالاستعارة مكنية**.

ولأن الترحيب لا يكون من الروض وإنما من الإنسان **فالاستعارة تخييلية**.

أما لفظ المستعار في هذه الاستعارة فيدل أنها **استعارة تبعية** أدركت من خلال الفاعل.

وكلٌّ من المستعار والمستعار له ممكنا الالتقاء **فالاستعارة وفاقية.**

وفي هذه الاستعارة يُذكر فيها ما يناسب المستعار أو المستعار له **فالاستعارة مطلقة.**

Damascus University

إن الاستعارة هنا قريبة، تناسبت مع الألفاظ التي صاغها المتنبي لها فحققت غرض المبالغة فهي استعارة حسنة.

وألقى الشرقُ منها في ثيابي   دنانيراً تفرّ من البنانِ

برع المتنبي في ابتكار الكثير من الصور الجديدة، والصورة التي جاء بها هنا خير دليل على ما نقول، إذ رأى في ضوء الشمس الذي تسلل إليه من خلال أغصان الأشجار وأوراقها وقد استقر على ثيابه دنانير ذهبية تغري من رآها بالإمساك بها عبثاً دونما جدوى.

فاستعار الدنانير "مستعار" لضوء الشمس الذي جاءه من بين الأغصان والأوراق "مستعار له"، وكلّ من المستعار والمستعار له محسوسان، والجامع بين هذين الطرفين الشكل المستدير، وعاملا ولمعان كل منهما وبريقه نتيجة اشتراكها باللون الذهبي، فهو بناءً على ذلك جامع حسي.

والقرينة التي تدلنا على أن ما سقط على ثياب المتنبي هو إشعاع الشمس وضوؤها لا الدنانير الذهبية ضمير الغائب في كلمة الجار والمجرور "منها"، لأننا نعرف أن الـ (ها) هنا يعود على الشمس لا على شيء آخر.

أما علاقة المشابهة- في هذه الاستعارة- فقد بنيت على النحو التالي: شبه المتنبي ضوء الشمس على الثياب "مشبه" بالدنانير الذهبية "مشبه به" فحذف المشبه وهو ضوء الشمس وصرّح بالدنانير أي المشبه به هنا، فهي استعارة تصريحية.

وبما أن كلاً من الدنانير " المستعار " وضوء الشمس " المستعار له" أمران يمكن التقاؤهما في حالة واحدة فإن الاستعارة لذلك استعارة وفاقية.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإننا نجد أن المستعار له شيء يمكن تحققه، لذا فهي استعارة تحقيقية لا تخييلية.

ولأن المتنبي جعل الدنانير بمنزلة المستعار- وهي اسم جامد يدل على ذات لم يكن قد اشتقّ من آخر غيره- **فهي استعارة أصلية**.

أما ما كان قد ذكره من ألفاظ لاءمت أحد الطرفين أو كليهما فإننا نلحظ عبارة "تفِرُّ من البنان" وهي مما يناسب ضوء الشمس وأشعتها أي المستعار له إذ يتعذر الإمساك به بالأصابع، فالاستعارة وفقاً لذلك **استعارة مجردة**.

إن ما أراده المتنبي في هذه الصورة المبتكرة هو أن يظهر روعة أشعة الشمس المتسللة إليه من بين الأغصان والأوراق، فظهرت مهارته بأن ساقها في صورة هي غاية في التأثير والجمال فلا يكون الإغفال عنها أو نسيانها أمراً سهلاً، هذا من جهة المعنى، أما من جهة الصياغة فقد تمكّن المتنبي من الاتيان بالغرض المطلوب بألفاظ موجزة استطاعت الإلمام بما هو مراد، فالاستعارة هنا غاية في الجودة والروعة، وكان المتنبي موفقاً في ترك الأثر المناسب لهذه الاستعارة في نفس مستمعها.

فلا زالتِ الشمسُ التي في سَمَائِهِ مطالعةَ الشمسِ التي في لثامِهِ

موضع الاستعارة في هذا البيت في الشطر الثاني أي قوله: "مطالعةَ الشمسِ التي في لثامِهِ" فقد أراد المتنبي من تعبيره بكلمة الشمس وجه ممدوحه سيف الدولة، أي أنه استعار الشمس "مستعار" لوجه سيف الدولة "مستعار له" وكلّ من المستعار و المستعار له أمر محسوس، والجامع بينهما استحسان الناس لهما وسموّ منزلتهما، فهو جامع عقلي.

أما القرينة في هذه الاستعارة فإنها قرينة لفظية؛ تبيّنت من خلال ضميرَيْ الغائب في كلمتي "سمائه ولثامه " فكلتاهما تعودان بمعنيهما إلى سيف الدولة.

وعلى اعتبار أن المتنبي قد شبّه ضياء وجه الممدوح "**مشبه**" بشمس السماء "**مشبه به**" وإنما صرح بالمشبه به أي بالشمس، فالاستعارة تبعاً لذلك **استعارة تصريحية.**

وعلى اعتبار أيضاً أن المستعار له أمر ممكن تحققه حساً فإنها **استعارة تحقيقية.**

أما بالنظر إلى لفظ المستعار فإننا نجده اسم ذات جامد غير مشتق، فتكون **استعارة أصلية.**

ولأن المستعار له والمستعار يمكن التقاؤهما فإن **الاستعارة وفاقية.**

وأخيراً فيما يتعلق بما ذكر من ألفاظ تناسب المستعار له أو المستعار فإننا نجد أن المتنبي ذكر كلمة "لثامه" وهي مما يتعلق بالإنسان لا بالشمس – أي بالمستعار له–، فالاستعارة هنا ستندرج ضمن الاستعارات **المجردة.**

إن الاستعارة في هذا البيت أو الصورة التي اعتمدها الشاعر لإظهار سموّ قدر ممدوحه سيف الدولة لم تكن إحدى الصور المستجدة من قبله، بل هي واحدة من الصور التي درج الشعراء الآخرون على استخدامها – إذا أرادوا تحقيق المبالغة في وصفهم لممدوحهم – إلا أن المتنبي – وهو مما يذكر له – جعل شمس السماء أقل منزلة من هذا الممدوح الملثم في هيئة محارب عظيم، فرفع بذلك من شأنه مقارنة بالشمس عظيمة الضياء التي اعتاد الشعراء الآخرون تشبيه ممدوحهم بها، فالاستعارة هنا حسنة.

أزورهُمْ وسوادُ الليلِ يشفعُ لي   وأنثني وبياضُ الصبحِ يُغري بي

ورد في هذا البيت استعارتان، الأولى قوله: " **وسوادُ الليلِ يشفعُ لي**"، والثانية قوله: " **وبياضُ الصبحِ يُغري بي** "، فقد جعل من ظلمة الليل

خير معين على التستر والاختباء من العيون التي ترقبه، فاستعار الشفاعة من الإنسان " مستعار" لسواد الليل وما يفعله من إخفاء للمعالم "**مستعار له**"، والمستعار هنا غير محسوس أما المستعار له فهو محسوس، و**الجامع** بين الشفاعة وإخفاء سواد الليل للمعالم أنّه بكليهما يفسح المجال أمام الشخص ليفعل ما هو عازم على فعاله دونما شعور بالتردد، وهذا جامع عقلي.

والقرينة في هذه الاستعارة لفظية الجار والمجرور "لي" ، فياء المتكلم تعود بمعناها على المتنبي نفسه.

والاستعارة من حيث علاقة المشابهة بين المستعار والمستعار له **مكنيّة**، إذ شبه سواد الليل "**مشبه**" بالإنسان الذي يشفع "**مشبه به**"، فحذف المشبه به وترك شيئاً من لوازمه التي تدل عليه هو الشفاعة.

وهي أيضاً **استعارة تخييلية** لأنّ المتنبي أسند إلى المستعار له فعل الشفاعة، وهذا مما لايتحقق واقعاً وإنما يتخيّل.

أما على اعتبار لفظ المستعار فهو فعل مضارع مشتق من المصدر "الشفاعة"، وهذا جعلها **استعارة تبعية**.

كما أنها **استعارة وفاقية** لأن كلاًّ من طرفيها ممكنا الاجتماع معاً في حالة واحدة.

ولو نظرنا إلى ما ذكر من ألفاظ ناسبت أحد طرفي الاستعارة أو كليهما فإننا سنجد أنه لم يذكر في هذه الاستعارة ما هو مناسب لأيّ من الطرفين، وهي بناء على ذلك **استعارة مطلقة**.

والاستعارة الثانية شديدة الشبه بالاستعارة الأولى من جهة آلية العمل الاستعاري، إذ استعار المتنبي إغراء الإنسان – عندما يدلل على شيء يريده – "مستعار" لإشراقة الصبح الأولى التي تكشف ما كان قد استتر في سواد

الليل "مستعار" ، والمستعار هنا غير حسي والمستعار له حسّي، والجامع بينهما الكشف عن الشاعر وإظهاره بعدما أخفاه الليل بظلمته.

وقرينة هذه الاستعارة ياء المتكلم في الجار والمجرور.

وقد قام المتنبي بتشبيه إظهار ضوء الصبح إياه "مشبه" بالإنسان الذي يدلل على شيء ما بالإغراء إليه "مشبه به" حذف المشبه وذكر المشبه، فالاستعارة مكنية.

وهي – بناء على إسناد الإغراء "المستعار له" لبياض الصبح "المستعار" – استعارة تخييلية.

ولفظ المستعار في هذه الاستعارة يؤكد أنها استعارة تبعية، وقعت في الفعل المشتق من مصدره الإغراء.

وكلّ من المستعار له والمستعار ممكنا الاجتماع معاً فإنها استعارة وفاقية.

ولم يكن المتنبي قد ذكر في هذه الاستعارة ما يناسب المستعار له أو المستعار فهي استعارة مطلقة.

والتناقض الذي أتى به المتنبي في هاتين الاستعارتين يكوّنُ عاملاً مهماً في إغنائهما، إذ جاء في الاستعارة الثانية ما هو مخالف للاستعارة الأولى، فالليل كان من العوامل التي ساعدته على الاختباء بخلاف ضوء الصبح الذي كشفه وفضح أمره.

يُبِنَّ لي البدرَ الذي لا أريدُهُ   ويُخفينَ بدراً ما إليه سبيلُ

ذكر المتنبي في هذا البيت كلمة البدر مرتين؛ وقد قصد بالأولى بدر السماء الذي يظهر للناس جميعاً، أمّا بالثانية – وهي هنا موضع الاستعارة – فقد قصد به ممدوحه سيف الدولة، فاستعار البدر "مستعار" لهذا الممدوح

"مستعار له" وكلٌ من المستعار والمستعار له يدرك حسيّاً فهما محسوسان، والجامع بينهما أي بين بدر السماء وسيف الدولة المكانة العالية والسموّ إضافة إلى جمال وجه الممدوح، فهو جامع عقلي.

أما القرينة التي تدلنا على المعنى المقصود فقد ظهرت من خلال ضمير الغائب في الجار والمجرور "إليه" فالهاء هنا تدل على الممدوح، إذاً فقرينة **الاستعارة هنا لفظية.**

وعلى اعتبار أن الشاعر ذكر المشبه به "بدراً" وحذف المشبه "سيف الدولة" **فالاستعارة تصريحية.**

والمستعار له في هذه الاستعارة "البدر" أمر يتحقّق حسّاً **فهي** بذلك **استعارة تحقيقية.**

ولأن لفظ المستعار اسم جامد فهي استعارة أصلية.

وكلٌ من البدر والممدوح ممكنا الاجتماع معاً فلا تناقض بينهما يمنع هذا الاجتماع، فهي إذاً استعارة وفاقية.

وكان المتنبي قد ذكر في هذه الاستعارة ما يلائم المستعار له من حيث قوله: "يخفين" ثم قوله: "ما إليه سبيل" ــ وهو يقصد بذلك سيف الدولة كما تبيّن لنا ــ فالاستعارة مجردة.

والاستعارة هنا جميلة إذ أسدلت على الممدوح سيف الدولة صفة الرفعة والسمو اللتين جعلتاه بمنزلة القمر وهو بأبهى صوره، والشخص الذي يملك القوة والرفعة لا عجب بأنْ يوصف بالبدر.

لو درت الدنيا بما عنْدَهُ لاستحييتِ الأيامُ مِنْ عتبه

في الشطر الأول من هذا البيت نرى الاستعارة الأولى وهي قوله: "درت الدنيا"، بينما نرى في الشطر الثاني الاستعارة الثانية وهي: " لاستحييتِ الأيامُ"، وكلا الاستعارتين متقاربتان في المعنى الذي أدّتاه، وقد استعار في الأولى الفعل "درى" من الإنسان لينسبه إلى الدنيا التي هي بمنزلة "المستعار له"، وكلٌ من المستعار والمستعار له أمر غير حسّي، والجامع بينهما هو أيضاً غير حسّي، ففي كليهما تحقّقت مظاهر الفخر بهذا الممدوح التي رفعت من شأنه بحيث لا يبقى خفياً على كلٍ من الناس والدنيا.

وضمير الغائب في كلمة "عنده" يدل على ما يفتخر الممدوح به على الدنيا، فهذا يشير إلى أن القرينة في هذه الاستعارة لفظية.

وقد شبه المتنبي الدنيا "مشبه" بالإنسان الذي يدري مفاخر هذا الممدوح "مشبه به" فذكر المشبه وحذف المشبه به ليترك شيئاً من لوازمه التي تدل عليه وهي الدراية، فالاستعارة لذلك مكنية.

وهي من حيث المستعار له تخييليّة، لأن إسناد الدراية والمعرفة إلى الدنيا مما يتخّيل حدوثه.

أما لفظ المستعار هنا فهو فعل مشتق وليس اسماً جامداً فهي استعارة تبعية.

ولأن الدراية والدنيا أمران يمكن اجتماعهما معاً فإن الاستعارة وفاقية.

وفي هذه الاستعارة لم يذكر ما هو مناسب لأيٍّ من طرفيها مما يجعُلها استعارة مطلقة.

أما قوله: " لاستحييتِ الأيامُ مِنْ عتبه" فيمثل الاستعارة الثانية التي كان المتنبي قد استعار فيها الاستحياء من الإنسان "مستعار" لأيّام الممدوح

"مستعار له" وكلاهما لا يدركان بالحسّ وإنما بالعقل، وجامعهما صغر شأن الأمور الأخرى أمام عظمته.

ولأنّ الضمير الغائب الذي جاء في كلمة "عتبه" يدل على الممدوح فإن القرينة لفظية.

والاستعارة هنا من حيث التشبيه مكنية، فكأنما شبه الأيام "مشبه" بالإنسان المستحيي أمام عظمة الممدوح "مشبه به" فحذف المشبه به وترك شيئاً من لوازمه وهو الاستحياء.

وفي هذه الاستعارة كان المتنبي قد أسند فعل الاستحياء إلى الأيّام وهذا مما يتخيل حدوثه ولا يمكن أن يتم حقيقة، مما يجعل الاستعارة تخييلية.

ولفظ المستعار هنا فعل مشتق أدرك من خلال الفاعل، فهي استعارة تبعية.

وكلا الطرفين ممكنا الاجتماع معاً مما يجعلها استعارة وفاقية.

ولأن المتنبي قد ذكر كلمة "من عتبه" وهي مما يناسب المستعار منه فالاستعارة تبعاً لذلك مرشحة.

وكلا الاستعارتين حققتا الفائدة منهما، لأن الشاعر أراد منهما أن تحيطا القارئ بهالة كبيرة من بهاء هذا الممدوح، فجعل قدره كبيراً بحيث تدري الدنيا كلها به، بل زاد في ذلك أنه جاء بصورة الأيام على أنها خجولة أمام فخر الدنيا به، ولأن المراد إظهار ما لهذا الممدوح من سموّ ومكانة عالية على أقرانه في الدهر وقد تم هذا المطلوب أي أن الاستعارة أدت غرضها فهي استعارة مفيدة.

فلم أرَ قبلي مَنْ مشى البحرُ نحوه ولا رجلاً قامتْ تعانقهُ الأسْدُ

يُعلي أبو الطيب مكانة الممدوح ليعطي لنفسه مكانة يسعى إليها السادة والملوك وكذلك الفرسان الشجعان ليشيدوا بأن قوته تفوقهم قوة وشجاعة، فكأن الملوك دون منزلته السامية والفرسان دون شجاعته حتى إنهم يسمون إليه.

وقد جاء باستعارتين ليبيّن كثرة خيره في الأولى منهما وشجاعته في الثانية. فاستعار البحر "مستعار" للرجل المعروف بكرمه بين قومه "مستعار له" والطرفان محسوسان، أما الجامع فعقلي، وكلاهما يدلان على بلوغ الاتساع.

القرينة هنا لفظية تبيّناها من الفعل "يمشي" فالبحر لا يمشي وقد شُبّه الإنسان – الرجلُ كثير الكرم "مشبه" بالبحر "مشبه به" الذي صرح به، الاستعارة تصريحية.

والمستعار له فيها أمر محقق حسياً، لذا فإنها استعارة تحقيقيّة.

والبدر "المستعار" من الأسماء الجامدة لا المشتقة، أي أنها استعارة أصلية. وهي أيضاً استعارة وفاقية لأن طرفيها يمكن التقاؤهما.

ومجيء الفعل يمشي الملائم للإنسان "المستعار له" يجعل منها استعارة مجردة.

والاستعارة الثانية تكاد تكون قريبة من الاستعارة الأولى، فهو أعلى من شأنه وشجاعته فكأنما الفرسان الذين هم بقوته كالأسود يعانقونه فخراً بشجاعته وقوته.

فاستعار اللفظ الأسد "مستعار" للفرسان الأقوياء "مستعار له"، والطرفان هنا أيضاً محسوسان، وقد جمع بينهما أن القوة والشجاعة تبلغ منتهاها عندهما، فهو جامع عقلي.

والقرينة في هذه الاستعارة لفظية لأن الفعل "تعانقه" يدل على الناس المفتخرة والمعتزة، والأُسُدُ لا تعانق.

وقد جاءت الأُسُدُ هنا بموقع المشبه به التي كان الشاعر قد صرح بها، وقد حذف المشبه أي الفرسان الشجعان، والاستعارة تبعاً لذلك تصريحية.

وهي أيضاً استعارة تحقيقية، فالمستعار له فيها أمر ممكن التحقق حسياً. ولأن لفظ المستعار كان "الأسد" وهو اسم جامد فالاستعارة أصلية.

أما على اعتبار إمكانية التقاء طرفيها استعارة وفاقية لأنهما ممكنا الالتقاء.

وصُنِ الحسامَ ولا تذلْه فإنه   يشكو يمينك والجماجمُ تشهدُ

عمد المتنبي في هذا البيت إلى إبراز قوة ممدوحه، فجاء بصورة نفهم منها أن سيفه لا يكاد يبرح يده لكثرة ما يستخدمه في قتال أعدائه؛ فما كان من هذا السيف إلا الشكوى وقد شهدت له الجماجم بذلك، فاستعار أولاً الشكوى من الإنسان "مستعار" للسيف الذي طال بقاؤه غير مغمد يحارب به هذا الممدوح أعداءه "مستعار له"، وهنا المستعار غير محسوس بخلاف المستعار له، وقد جمع بين طرفي الاستعارة كثرة استخدام هذا السيف وبقاؤه خارج غمده.

وقوله: "وصن الحسام" أي أغمده "فإنه يشكو يمينك" مما يدل على أن الاستعارة هنا استوفت قرينتها، والشكوى لا تكون من السيف.

وهي استعارة مكنية ذكر فيها المشبه وحذف المشبه به بعد أن ترك الشكوى التي هي من لوازمه الدالة عليه.

أما المستعار له في هذه الاستعارة فهو غير ممكن التحقيق حساً أو عقلاً، مما يؤهلها لأن تكون استعارة تخييلية.

ولفظ المستعار فيها كان فعلاً مضارعاً، فهي أيضاً استعارة تبعية.

وكلا طرفيها ممكنا الاجتماع معاً أي لا تناقض بينهما، فالاستعارة وفاقية. واليمين أي اليد اليمنى مما يلائم المستعار منه في هذه الاستعارة، وهذا جعلها استعارة مرشحة.

أما الاستعارة الثانية التي نلحظها في الشطر الثاني من هذا البيت أيضاً فهي قوله: "والجماجم تشهد"، فقد استعار الإنسان "مستعار" لجماجم الأعداء "مستعار له"، والجامع بين هذين الطرفين الدلالة على كثرة القتلى.

والقرينة هنا هي قوله: "تشهد" وهذا مما يعود بدلالتها على الإنسان لا على الجماجم.

والاستعارة من حيث ذكر المشبه "الجماجم" وحذف المشبه به "الإنسان" وترك شيء من لوازمه استعارة مكنية.

والمستعار له في هذه الاستعارة كان قد سيق على سبيل التخييل، فالاستعارة تخييلية لا تحقيقية.

ولفظ هذه الاستعارة يثبت أنها استعارة تبعية، إذ وقعت في فعل مشتق من المصدر ولم يكن اسماً جامداً.

أما على اعتبار إمكانية التقاء طرفيها فهي هنا استعارة عنادية، لأن الشهادة لا يؤتى بها من القتلى.

وهي من جهة الألفاظ الملائمة لأيٍ من طرفيها استعارة مطلقة، لأنه لم يذكر فيها ما يناسب أياً من طرفيها.

إن الاستعارتين في البيت تمكنتا من جعل الجماد حياً ناطقاً عن حاله، مما أكسبهما قدرة على التأثير في نفس من يقرأ هذا البيت أو يسمعه، هذا وقد صاغهما الشاعر بصياغة أبعدتهما عن استعمالهما المألوف لتثبتا ما لهذا الممدوح من قوة وسطوة بسيفه على أعدائه، فالاستعارتان على درجة من الحسن.

Damascus University

تدريبات

- تركنا لك أيها الطالب أشعاراً أخرى كي تتأمّل استعاراتها فتحلّلها كما فعلنا وقد وضعنا لك خطّاً تحتها:

١- شمسٌ إذا الشمسُ لاقتْه على فرسٍ ... تردّد النور منها في تردّده

٢- رميتُ عداه بالقوافي وفضله ... وهنّ الغوازي السالمات القواتلُ

٣- تجمّعت في فؤاده هممٌ ... ملء فؤاد الزمان إحداها

٤- والشمسُ في كبد السماء مريضةٌ ... والأرض واجفةٌ تكاد تمورُ

٥- قد صبغت خدَّها الدماءُ كما ... يصبغ خدَّ الخريدة الخجلُ

٦- والخيلُ تبكي جلودُها عرقاً ... بأدمعٍ ما تسحّها مُقَلُ

٧- ففرّق مُدْنَهُم بالجيوش ... وأخفت أصواتهم باللجب

٨- قد صدق الورد في الذي زعما ... أنك صيّرت نثره ديما

٩- زانت الليلَ غرّةُ القمر الطا ... لع فيه ولم يشنها سواده

١٠- ثنى يده الإحسانُ حتّى كأنّها ... وقد قبضت كانت بغير بنان

١١-ومَنْ يجعلِ الضرغامَ بازاً لصيده   تصيدَه الضرغام فيمن تصيَّدا

١٢-خميس بشرق الأرض والغرب زحفه   وفي أذن الجوزاء منه زمازمُ

١٣-إذا ما صافح الأسماع يوماً   تبسَّمت الضمائرُ والقلوبُ

١٤-والبحر كم ساءلتُهُ فتضاحكتْ   أمواجُهُ من صوتيَ المتقطِّع

١٥-إنَّ الأفاعي وإن لانتْ ملامسُها   عند التقلُّب في أنيابها العطبُ

١٦-إذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فأيسرُ ما يمرُّ به الوحولُ

١٧-وليلةٍ مرضتْ من كل ناحيةٍ   فما يُضيء بها نجمٌ ولا قمرُ

١٨-إذا ما رأيت البحر يبسط كفَّه   فلا تخشَ إقلالاً من الدهر أو عدما

١٩-ياظبية البان ترعى في خمائلهِ   ليهنك اليوم أن القلب مرعاكِ

٢٠-ديمةٌ سمحةُ القياد سكوبُ   مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ

تدريب محلول

س: اشرح الاستعارات فيما يلي مبيّناً نوعها:

أ- ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ب- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥].

ج- إذا ما صافح الأسماع يوماً   تبسمتِ الضمائرُ والقلوبُ

د- والبحر كم ساءلتُهُ فتضاحكت   أمواجه من صوتي المتقطع

هـ- إنّ الأفاعي وإن لانت ملامسُها   عند التقلّب في أنيابها العطبُ

و- إذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فأيسرُ ما يمرّ به الوحول

الإجابات:

أ-كأنّما شُبّه العهد بالحبل بجامع النجاة في كلّ، ثم حذف المشبّه (العهد) وصرّح بذكر المشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

ب-كأنّما شبّهت الأرض بالحيوان المذلّل، ثم حذف المشبّه به (الحيوان) وكنّي عنه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنيّة.

جـ- كأنّما شبّهت الضمائر والقلوب بإنسان، ثمّ حذف المشبّه به (الإنسان) وذُكر شيء يدلّ عليه وهو (تبسّمت) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

د- كأنّما شبّهت الأمواج بإنسان، ثمّ حذف المشبّه به ودلّ عليه لفظ (تضاحكت) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

هـ- استعارة تمثيلية، يضرب المثل فيها لمن يغرّه المظهر فيذعن للمخبر.

و- استعارة تمثيلية، يضرب المثل فيها لمن عركته الأيام بالشدائد فهو لايهتم بالصغائر والتوافه.

المبحث الثالث

الكِنايـــــــــة

تعريفها :

الكِنايةُ ـ لغةً ـ مصدر كَنى يَكني[1]، أي أن تتكلَم بشيء وتريد غيرَهُ، تقول : كنيت بكذا عـن كذا، إذا تكلمتَ بما يُستدلُ به عليه، ولم تُصرح به، أو تكلمت بشيء، وأردت غيره[2].

فالكناية ـ بهذا المعنى ـ ترك التصريح ، واللجوء إلى الإخفاء والتغطية والستر، وقد عبّر عن ذلك بشار عندما قال :

يا حُلوةَ العين إنّي لا أسميكِ أكني بأخرى أسَمّيها وأعنيكِ

والكنايةُ ـ اصطلاحاً كما عرّفها عبد القاهر: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"[3]. أو

---

١ – ورد (كنى يكنو) كنوت بكذا عن كذا، من باب (دعا يدعو)، واستدلوا عليه بقول الجوهري:

وإني لأكنو عن قَذُورَ بغيرِها وأعرِب احياناً بها فأُصارِحُ

و(قذور) اسم امرأة، والأول أفصح، لأنهم يقولون في المصدر (كناية) ولم يسمع (كناوة).

٢ - بهذا المعنى تدخل الكنى في الأعلام في تعريف الكناية، لما فيها من إخفاء وجه التصريح بالعلم، فقولنا ـ مثلاً ـ (أبو سعيد)، فيه إخفاء للاسم، وعدم التصريح به، فالاسم الحقيقي قد يكون زيداً أو عمرواً.

٣ – دلائل الإعجاز /٦٦.

هي بمعنى آخر: لفظ أُطلق وأُريد به معنى آخر لازمٌ له، أو مصاحبٌ له، أو يُشارُ به عادةً إليه، لما بينهما من الملابسةِ بوجه من الوجوه. وأمثلة ذلك:

١ ـــ إذا أردنا أن نصف إنساناً بالتبذير والإسراف، فإننا في باب (الكناية) لانصرِّح بالمعنى الوضعي المعبِّر عن ذلك، فلا نقول مثلاً: (فلان مُبذِّرٌ أو مُسْرِف)؛ بل نأتي إلى معنى هو رِدْفُه في الواقع، ومُسْتَحصل عنه، فنقول مثلاً: (فلان مثقوب الجيب)، فهذه العبارة لا تعني أنه مثقوب الجيب حقيقة ـــ وإن أمكن ذلك ـــ بل هي تومئ إلى معنى آخر لازم له، ومتحقق عنه، وهو أن فلاناً مبذر ومسرف، كأن جيبه مثقوب يتسلل منه المال.

٢ ـــ قال أبو العتاهية:

رأيت المنايا قُسِّمت بين أنْفُسٍ ونَفْسي سيأتي بَيْنَهنَّ نصيبُها

فيا هادِمَ اللَّذاتِ ما مِنْكَ مَهْرَبٌ تُحاذِرُ نَفْسي منك ما سَيُصيبُها

فقوله: (يا هادم اللذات) لا يريد ظاهر العبارة، وهي أنه يقوم فعلاً بعملية هدمٍ وتدميرٍ لملذات الحياة الدنيا، وإنما العبارة تعبِّر عن معنى آخر يترتب عليه، ويلزم عنه، وهو (الموت)، إذ هو الذي يقوم حقيقة بعملية هدم اللذات، والشاعر ـــ كما رأينا ـــ لم يذكره صراحة؛ بل كنى عنه بوصفٍ خاصٍ به لا يسري على غيره.

٣ ـــ قال صفيُّ الدين الحلي:

كُلُّ طَويلِ نِجادِ السَّيفِ يُطْرِبُه وَقْعُ الصَّوارِمِ كالأوتارِ والنَّغَمِ

يُفهم من (طول النِّجاد) أمران؛ الأول: طولُ حمالة ذلك السيف، وهذا المعنى المباشر لدلالة العبارة، والثاني أن صاحبه طويلُ القامةِ شجاعٌ، إذ يلزم من طولِ النِّجاد طولُ القامة، ويلزم من طولِ القامة ـــ عادة ـــ اتِّصافُ صاحبِها بالشجاعة والإقدام، وهذا المعنى عَقَلَهُ السامعُ وتوصَّل

إليه من المعنى الأول، على سبيل الاستنتاج والاستدلال، وهو الغرض الذي يُريد المتكلم الإفصاح عنه، مع إمكانية إرادة المعنى الوضعي (الأصلي) لظاهر العبارة، وهو أنه طويل النجاد فعلاً، وإن كان هذا ليس غرض المتكلم كما ذكرنا، ولا أهمية له.

٤ ــ يقول عمر بن أبي ربيعة :

بَعيدةُ مَهْوى القُرْط إمَّا لنَوفلٍ أبوهَا وإمَّا عبدِ شمسٍ وهَاشمِ

يُفهم من قوله (مهوى القرْط) أمران؛ الأول: المسافة من شحمة الأذن إلى الكتف، وهذا هو المعنى الوضعي لظاهر العبارة. والثاني : أنَّها طويلة العنق، إذ يلزم من بُعد المسافة بين شحمة الأذن والكتف أن يكون العنق طويلاً، وهذا هو المراد لا المعنى الأول. وقد توصَّل السامع إلى هذا المعنى عن طريق الاستنتاج المتحقق من المعنى الأول. ويصحُّ مع هذا إرادة المعنى الحقيقي، كأن يكون المقصود بالعبارة السابقة أنها (بعيدة مهوى القرط) على الحقيقة، من غير تأول، وإن كان هذا ليس مراد المتكلم كما بيّنا.

الفرق بين الكناية والمجاز:

عرَفْنا أن المجاز لا بدَّ له من قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى المجازي، وقلنا إن مثل قول الشاعر سعيدُ بن حُمَيدْ :

وَعَدَ البدرُ بالزيارة ليْلاً فإذا ما وفَى قضيْتُ نُذُوري

هو من باب المجاز لا من باب الحقيقة؛ لأن ثمة قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي لكلمة (البدر)، وهي (وعد)، لأن الوعد من شأن الإنسان لا من شأن البدر.

ومنه في المجاز المرسل قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر : ١٣] ، فالرزق بمعناه الحقيقي لا ينزل من السماء، وإنما ينزل المطر، الذي يتحول لاحقاً إلى رزق، فالرزق – وهو المعنى المجازي هنا ـــ مسبب عن المعنى الحقيقي الذي هو المطر .

وإذا نظرنا في مثال للمجاز مرّ بنا، وهو قولهم (نهاره صائم) استحال علينا أن نصدّق حقيقةَ قيام النهار بالصيام؛ لأن الصيام من شأن الإنسان لا من شأن النهار، وقد صحّ المجاز؛ لأن النهار هو زمن الصوم .

أما في أسلوب الكناية فإنه يمكن تصور المعنى الحقيقي فيما يُكنّى عنه، فقولك مثلاً: (فلان نقـي الثوب) تكني به عن استقامته ونزاهته ، يُقصد منه أنه نقي الثوب على وجه الحقيقة، فإرادة المعنى الوضعي مع لازمه جائز في الكناية، وقلنا (جائز)، حتى لا يُفهم أن المعنى الحقيقي للكناية ثابت في الواقع، إذ يمتنع وقوعه في بعض الكنايات لاستحالته، كما في قولك : (المجد بين برديه)، أو لخصوص الموضوع، كما هو قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كناية عن الاستيلاء والمُلك، إذ المعنى الوضعي للاستواء ممتنع لخصوص الموضوع. أو قد لا يكون المعنى الحقيقي للفظ متحققاً في الواقع، إذ يصح أن نقول في الكناية عن الطول: (طويل النجاد) وإن لـم يكن له نجاد، ونقول: (كثير الرماد) كناية عـن الكرم، وإن لم يكن هناك رمـاد ولا حطب، وهذا يؤكد أن المعنى الحقيقي للفظ ليس بلازم في الكناية أن يكون متحققاً في الواقع.

والأمر الآخر أن الكناية أبلغُ من المَجاز فإنها آكدُ في الإثبات، وأقوى في بيان المراد بها، فإذا أردنا أن نصف إنساناً بِحُسْن المعشر وقلنا: (كثير

الإخوان)، كان ذلك إثباتاً لحُسْنِ مَعْشره والائتناس به بسبيل آكد، وطريق أقوى؛ لأنك سقت براهين وأدلة تؤيد هذا الوصف، وأقمت الحجج على إثباته، فإن (كثرة الإخوان) لا تكون إلا من حُسْنِ المعاملة، وطيبِ الخُلق، بخلاف قولنا (التقيتُ ببحرٍ يُوزع الصَّدقاتِ)، فإن ذلك حجة لا دليل على إثباتها.

ركنا الكناية: للكناية ركنان :

١ ــ المكنّى به: وهو المعنى الوضعي المُحَصَّلُ من الدلالة المباشرة للألفاظ، والذي يلزم منه معنى آخر.

٢ ــ المكنّى عنه: وهو المعنى المستور الذي يختفي خلف المكنّى به ، وهو مراد المتكلم وغايته.

والعلاقة بين الركنين ــ كما ذكرنا ــ علاقة تلازم ، إذ إن حضور أحدهما يستدعي حضور الآخر في الذهن.

مثال ذلك أنه إذا أردنا أن نُعبِّر عن تَرَفِ امرأة وعِزِّها ودلالها، فإنه يمكن التعبير عن ذلك بالقول إنها (نؤوم الضحى)، فنؤوم الضحى، هو اللفظ المكنى به، و(الترف والدلال) هو المعنى المكنى عنه.

والكناية قد تكون في **اللفظ المفرد**، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [ص: ٢٣] ، فالنعجة كناية عن المرأة، أو قول الشاعر:

ألا يا نخلةً منْ ذاتِ عِرْقٍ   عليكِ ورحمةُ اللهِ السَّلامُ

فالنخلة ــ وهي لفظ مفرد ــ كناية عن المرأة الممشوقة القد.

وقد تكون في **التركيب**، نحو قولهم : (فلان يسعى إلى حتفه بقدمه)، يريـــدون أنه يركبُ المصاعبَ والأهوال التي ستودي بحياته. أو قولهم: (فلان واسع الصدر) كناية عن الحِلْم، أو (لين الجانب) كناية عن حُسْنِ المعاملة، أو (كثير الإخوان) كناية عن حسن الخُلق... أو غير ذلك.

أقسام الكنايـــــــــة

للكناية عدة أقسام، وذلك من وجهين:

١ ــ بالنظر إلى المكنّى عنه

٢ ــ بالنظر إلى الوسائط

أولاً : أقسام الكناية تبعاً للمكنّى عنه:

تقسم الكناية تبعاً للمكنى عنه إلى ثلاثة أقسام:

أولاً ــ الكناية عن صفة :

وهي التي يكون فيها المكنّى عنه صفةً ، والمقصودُ بالصفة هنا الصفة المعنوية، أي معنى من المعاني: كالشجاعة، والرِّفعة، والنزاهة، والكرم، والجمال ... وغير ذلك، لا الصفــة المعروفة في علم النحو بمعنى النعت .

وضابط هذا النوع أن يُذكر الموصوفُ (ملفوظاً أو ملحوظاً)، ثم تنسب إليه صفة، لكن هذه الصفة غيرُ مُرادة في ذاتها، وإنما يُستدلُ منها على صفة أخرى لازمة لها، ومتحققة عنها.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان: ٢٧]، فقد صرّح بالموصوف وهو (الظالم)، ثم نسب إليه صفة غير مرادة في ذاتها، صفة (الندم)، فالعبارة بذلك كنايـــة عن صفة الندم.

ومن هذا النوع ما تردده كتب البلاغة من قول الخنساء في أخيها صخر:

طويلُ النِّجاد، رفيعُ العماد كثيرُ الرَّماد إذا ما شتَا

في البيت ثلاث كنايات:

أ – (طويل النجاد): كناية عن طول قامته، فقد صرّح بالموصوف، وهو المفهوم من مدلول الضمير، ثم نُسبت إليه صفة (طول النجاد)، لكن هذه الصفة غير مرادة في ذاتها؛ بل المراد صفة أخرى تتوارى وراءها، وهي (طول القامة).

ب – (رفيع العماد): كناية عن السيادة والرفعة، فقد ذكر الموصوف، وهو كذلك المفهوم من مدلول الضمير العائد على أخيها صخر، ثم نُسبت إليه صفـة (رِفعة العماد) أي (بيته ذو أعمدة عالية)، لكن هذه الصفة غير مرادة، وإنما المراد الصفة الأخرى التي تستتر خلفها، وهي السِّيادة والرِّفعة والمكانة السامية في قومه.

جـ – (كثير الرماد) كناية عن الكرم، حيث ذكر موصوف، ثم نُسبت إليه صفة (كثـــرة الرماد)، لكن هذه الصفة غير مرادة في ذاتها؛ بل المراد ما يلزمها، وهو الكرم؛ لأن كثرة الرماد تفيد كثرة الإحراق، وتستدعي في نهاية المطاف صفة الكرم.

ومن هذا النوع قول امرئ القيس:

وقَد أغتَدِي والطَّيرُ في وُكُنَاتِها بِمُنْجرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكلِ[1]

أراد الشاعر أن يعبِّر عن الزمن المبكر الذي خرج فيه، فلم يأتِ باللفظ الصريح المباشر الدال على ذلك، فلم يقل مثلاً: خرجت مبكراً، أو صباحاً، أو قبل الفجر، وإنما عدل عن ذلك إلى تعبير هو أبلغ منه، وأحسن وقعاً في النفس، فأشار إلى صفة (البكورة) عندما أتى بموصوف هو (الطير)، وأسند إليه صفة هي (استمرارها في النوم في أعشاشها)، لكن هذه الصفة غير مرادة؛ بل المراد ما يستلزم منها، وهي صفة (البكورة)، إذ يلـزم من كون الطيور مستغرقة في نومها في أوكارها أنه باكر للصيد قبل نهوضها.

وقُل الكلام نفسه في الكناية الثانية، وهي قوله: (قيد الأوابد) التي كنّى بها عن خفّة فرســـه وسرعته، فذكر موصوفاً، وهو المفهوم من قوله (بمنجرد)، يريد بفرس منجرد، ثم نسب إليه صفة غير مرادة وهي (تقييد الأوابد) ليتوصل من ورائها إلى صفة أخرى تختفي وراءها، وهي كونه فرساً سريعاً خفيفاً، يجعل الوحوش إذا ما هاجمها في حالة من الذهول والجمود لا تقوى على الحركة.

ويقسِّمُ البلاغيون الكناية عن صفة إلى قريبة وبعيدة.

١ ــ الكناية القريبة: وهي ما يُفهم منها المقصود (المكنى عنه) بسهولة؛ لوضوح اللزوم بين المكنّى به والمكنّى عنه، أو قل: هي ما ينتقل فيها الذهن إلى المعنى المطلوب من غير وسيط. وسُمّيت (قريبة) لقصر زمن إدراك المراد منها بسبب انتفاء الوسائط.

١- أغتدي: أخرجُ في الصباح. وكُناتها: أعشاشها. منجرد: قصير الشعر، أو الماضي في السير. الأوابد: الوحوش. الهيكل: الفرس الضخم.

وتأتي الكناية القريبة على نوعين:

أ ـ كناية واضحة: وهي ما يُفهم منها المقصود من دون كثير تأمل؛ لأن الذهن ينتقل إلى المراد منها بسهولة ويسر، ومثاله قولنا: (هند نؤوم الضحى)، كناية عن ترفها ودلالها، فقد انتقلنا من المعنى الوضعي الظاهر، وهو كونها تلازم فراشها إلى وقت متأخر، إلى معنى التّرف والدلال بسهولة ويسر من دون حاجة إلى إعمال الفكر والتأمل، إذ يُفهم من هذا أنها امرأةٌ مترفةٌ مَخدومةٌ لها من يكفيها أمرها، فلا تستيقظ مبكرة.

ومن أمثلة هذا النوع قول بشار:

فقَرِّباني، بأبـــي أنتُمـــا ... من وَطَني قبلَ اصفرارِ البَنَانِ

فقوله (اصفرار البنان) كناية عن صفة وهي الموت.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران: ١١٩]، فعضُّ الأنامل كناية عن صفة، وهي صفة الغيظ والحنق.

ومن هذا النوع قول الحجاج في خطبة له يوم تولّى العراق مُعرِّضاً بمن تقدّمه من الولاة: "لستُ براعي إبلٍ ولا غنَمٍ، ولا بجزّارٍ على ظَهْرِ وَضَمٍ"[1] فالتركيب كناية عن صفة الشرف.

وقول أعرابي يصف أعور: كان جَسيماً مُتَمَتِّعاً بإحدى عينيه. كناية عن صفة العور.

ب ـ كناية خفية: وهي ما لا يُفهم منها المقصود إلا بعد شيء من التأويل والتأمل؛ لخفاء اللزوم بين اللفظ المكنى به والمعنى المكنى عنه، ويستدلون

---

١ - الوضم: خشبة يُوقَى بها اللّحم عن الأرض.

على هذا النوع بقولهم: (عريض القفا) و(عظيم الرأس) كناية عن البلادة والغباء، لأنه إذا ما كان حجم القفا والرأس كبيرين، كان ذلك دليلاً على الغباوة والبلاهة.

٢ ـ **الكنايــة البعيدة** : وهي ما يكون الانتقال فيها من اللفظ المكنّى بــه إلى المعنى المكنّى عنه بصعوبة، لبُعْدِ اللزوم بينهما، أو قل: هي ما ينتقل الذهن فيها من المعنى الوضعي إلى المعنى المطلوب بوسيط أو عدة وسائط، وسُمِّيت (بعيدة) لبُعْد زمن إدراك المراد منها بسبب كثــرة الوسائط أو المراحل التي تمرُّ بها .

ومن أمثلتها:

أ ـ قول الخنساء المذكور آنفاً: (كثير الرماد) كناية عن صفة الكرم، وبين المعنى الوضعي (كثرة الرماد)، والمعنى المراد (صفة الكرم) وسائط أو مراحل كثيرة لا بد من مراعاتها للوصول إلى المطلوب، فينتقل الذهن أولاً من كثرة الرماد إلى ←كثرة الإحراق، ← ومنه إلى كثرة الحطب ← ومنه إلى كثرة الطبخ ← ومنه إلى كثرة الأكلة ← الضيفان ← ومنه إلى صفة الكرم.

ب ـ ومنه قول الشاعر :

قد جعل المبتغونَ الخيرَ في هَرِمٍ والسائلون إلى أبْوابِهِ طُرُقا

كنّى عن كرم الممدوح (هرم) بإحداث الناس طُرُقاً إلى بيته، ولاينتقل الذِّهن إلى المعنى المراد (الكرم) إلاّ بعد المرور بمراحل كثيرة هي: شق الناس طُرُقاً إلى بيته ← يُنتقل منه إلى كثرة وطء هذه المسالك ← ومنه إلى كثرة القُصّاد ← ومنه إلى كثرة السائلين ← ومنه إلى كثرة العطاء ←وأخيراً إلى صفة الكرم التي يتمتع بها الممدوح.

جـ – ومنه قول ابن هَرْمَة :

لا أُمتِّعُ العُوذَ بالفِصالِ ولا   أبْتاعُ إلاّ قَريبةَ الأجَلِ[1]

في البيت كنايتان بعيدتان، الأولى في قوله: (لا أمتع العوذ بالفصال) وهو كناية عن صفة (الكرم)، وهذا المعنى كذلك مرَّ بمراحل حتى توصّلنا إليه؛ فالشاعر ينتقل من عـدم إمتاع العوذ ـــــ◄ إلى حرمانها من فصالها لتأنس به ـــ◄ومن ذلك إلى نحرها ـــ◄ ومنها إلى كثرة الضيفان ـــ◄ ومنها إلى صفة الكرم .

والكناية الثانية هي في قوله (ولا أبتاع إلاّ قريبة الأجل)، كناية كذلك عن الكرم، وهي أيضاً كناية بعيدة؛ لأن المراحل التي يمر بها الذهن من الانتقال من المعنى الوضعي لـ (قريبـة الأجل)، إلى المعنى المراد (الكرم) كثيرة، هي: ابتياعه لقريبة الأجل ـــــ◄ ومنها إلى أنها لا تبقى لديه على قيد الحياة طويلاً ـــــ◄ومنها إلى أنه ينحرها ـــ◄ومنها إلى قرى الضيفان ـــ◄ومنها إلى صفة الكرم.

د ـ ومن هذا النوع قول الشاعر :

ومُخرَّقٍ عنه القميص تَخَالَهُ   وَسْطَ البيوتِ من الحياء سَقِيما

كنى بـ (انخراق القميص) عن (الجود)، ولا ينتقل الذهن من المعنى الأول إلى الثاني إلاّ بعد المرور بمراحل كثيرة هي ـــ◄ انخراق القميص ـــ◄ ومنه ينتقل إلى جذب السائلين له ـــ◄ومنه إلى كثرة ازدحامهم حوله لطلب العون والعطاء ـــ◄ ومنه أخيراً إلى صفة الجود.

---

١ – العُوذ : الناقة الحديثة النتاج ، والفصال : جمع فصيل : ولد الناقة.

ثانياً ــ الكناية عن موصوف :

وهي التي يكون فيها المكنّى عنه موصوفاً؛ أي اسم ذات، وليس معنى من المعاني كما كان الأمر في الكناية عن صفة، وضابطة : أن يُصرَّح بالصفة والنســبة، ولا يُصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن تُذكر مكانه صفةٌ أو أوصافٌ تختص به وتشير إليه، ويُشترط في هذا النوع أن تكون الكناية مختصة بالمكنّى عنه لا تتعداه؛ ليحصــل المعنى منها إليه.

مثال ذلك قولهم، كناية عن العرب:(الناطقون بالضاد)، فقد ذكر هنا صفة (النطق بالضاد) وهي خاصة بموصوف غير مذكور (العرب)، وذهن المتلقي ينتقل من (النطق بالضاد) إلى (العرب) بسهولة؛ لاختصاصهم دون غيرهم من أمم الأرض بهذه الصفة .

ومن هذا النوع قول شوقي مخاطباً المسلمين:

أُمَمَ الهلال ! مقالةٌ من صادقٍ　　　والصدقُ أليقُ بالرِّجال مَقَالا

فقوله : (أممَ الهلال) كناية عن موصوف ، هو شعوب المسلمين .

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]، فالمكني عنه هنا النساء .

وفي قول الرسول ﷺ: (**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين** رجليــه أضمن له الجنة)، فالمكنى عنه هنا اللسان والفرج.

والكناية عن موصوف ضربان :

أ ــ ما تكون الكناية فيه وصفاً واحداً (وإن كان مثنى أو جمعاً)، لا من أوصاف مختلفة، أي أن تكون هنالك صفة واحدة قادرة على إحضار الموصوف إلى الذهن، كما في الأمثلة السابقة، ونحو قول الشاعر:

وإنْ حلَفَتْ لا يَنقضُ النأيُ عَهْدَها　　　فَلَيْس لمَخْضوبِ البَنَان يَمينُ

فقوله : (مخضوب البنان) كناية عن موصوف، هو المرأة، وهذه الصفة (تخضيب البنان) مختصة بالمرأة لا تفارقها إلى غيرها، وهي معنى واحد .

وكذا في قول أبي نواس :

فلما شربناها ودبّ دبيبُها   إلى موطن الأسرار قلتُ لها: قفي

فقوله: (موطن الأسرار) كناية عن موصوف هو القلب، وهو وصف واحد، أو معنى واحد لكون مدلوله جنساً واحداً لا يدلّ إلاّ على القلب.

ب ـ ما تكون الكناية فيه مجموعة أوصاف أو معانٍ مختلفة تشكل مع بعضها موصوفاً معيناً، فلا تكفي الصفة الواحدة لإحضار الموصوف في الذهن؛ بل لا بد من قيام جملة صفات ملتحمة فيما بينها لإحضاره ، كما يُقال في الكناية عن الإنسان: (حي، مستوي القامة، عريض الأظفار) فإن صفة واحدة من هذه الصفات لا تختص بالإنسان وحده؛ بل تشترك معه كائنات أخرى كثيرة، لكنّ ضمّ هذه الصفات بعضها إلى بعضها يجعلها مختصة به لا تفارقه إلى غيره.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر: ١٣]، كناية عن (السفينة)، لكننا لم نتوصل إلى هذا المعنى إلا بعد ضمّ الأمرين معاً : الألواح والدسر، مشدوداً أحدهما إلى الآخر.

ثالثاً ـ الكناية عن نسبة :

وهي أن تُنسب صفة من الصفات إلى أمر يتعلق بالموصوف أو أن تنفيها عنه، وضابطها أن يُصرّح بالموصوف والصفة، ولا يصرح بالنسبة بينهما؛ بل يُذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها؛ أي إن النسبة المقصودة تتوارى خلف النسبة المذكورة، كقولك: زيد (الذكاءُ بين عينيه)، و(الحظُّ

بين يديه)، فقد صرحنا بالموصوف وهو (زيد) وذكرنا له صفة وهي (الذكاء) في المثال الأول، و(الحظ) في المثال الثاني، لكننا لم ننسب الصفتين إلى الموصوف مباشرة، فلم نقل ــ مثلاً ــ زيد ذكي أو محظوظ ، وإنما نسبناهما إلى ما له تعلق بالممدوح وهما (العينان واليدان)، فإثبات الذكاء للعينين، والحظ لليدين يلزم عنهما إثباتهما للشخص نفسه.

ومن أمثلة هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم: " الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة "، كنّى عن إثبات الخير للخيل بإثباته إلى الشَّعْر الذي على مقدمة رؤوسها (نواصيها) وهذا يستلزم إثبات الخير إلى الخيل نفسها، فقد صرّح بالموصوف (نواصي الخيل)، وذكر الصفة وهي (الخير)، لكنه لم ينسبها مباشرة إلى الخيل، بل نسبها إلى ما له تعلق بالخيل، وهو (النواصي)، وإذا ما ثبت الخير للنواصي، فإنه يلزم حكماً إثباته لصاحب النواصي.

ومنه قول المتنبي مادحاً كافوراً :

إنّ في ثَوْبِك الذي المجدُ فيه   لضياءً يُزري بكل ضياء

أراد أن يُثبت المجد لكافور، فلم ينسبه إليه مباشرة؛ بل نسبة إلى ما له تعلق به، وهو ثوبه، فإذا ما أثبت الصفة إلى ثوب الرجل، فقد أثبتها إلى الرجل نفسه ، فهي كناية عن نسبة.

ومنه قول الشاعر :

اليُمنُ يَتبَعُ ظِلَّهُ   والمَجدُ يَمشي في رِكَابِهْ

أراد الشاعر أن يُثبت صفتي (اليُمن والمجد) إلى الممدوح، فلم ينسبهما مباشرة إليه؛ بل نسبهما إلى ما له تعلق بهما وهو (ظله وركابه)،

فإذا ما ثَبُت تعلقهما بهما، فقد ثبت تعلقهما بالممدوح نفسه، فهما كنايتان عن نسبة، نسبة اليُمْن والمجد إليه.

ومن أمثلة هذا النوع قولهم: زيد (المجد في ركابه)، و(الكرم بين برديه) و(البركة بين يديه).

ومن أمثلة ما جاءت الصفة منفية قول أبي نواس :

فَمَا جازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ ولكن يَصيرُ الجودُ حيثُ يَصيرُ

حيث نفى وجود أي نوع من أنواع الكرم إلاّ حيث يحلُّ ممدوحه، وإذا ما كان الكرم يُصاحبه أينما حلَّ وارتحل، فهو حتماً رجلٌ كريم.

ثانياً : أقسام الكناية تبعاً للوسائط[1] :

تقسم الكناية تبعاً للوسائط إلى أربعة أقسام هي :

١ ـ التَّعْرِيضُ[٢]:

التعريضُ – لغةً – خِلافُ التصْريح، يقال: عَرَّضَ لي فلانٌ تعريضاً إذا قال فلم يُبن بصراحة اللفظ، وتقول: عَرَّضتُ بفلان إذا قلتَ قولاً لغيره وأنت تعنيه، فهو من قبيل قولهم: (إيَّاكِ أعْنِي فاسمعي يا جارة)، وهذا يعني أنه أسلوبٌ يُمَكِّنُ صاحبه من التهرُّب من التزام ما نطق به إذا ما صار مُحْرِجاً.

١– يُقصد بـ (الوسائط) درجة الوضوح أو الغموض، والقرب أو البعد بين المكنى به والمكنى عنه.

٢– اختلف العلماء في تحديد موقع التعريض بالنسبة إلى الكناية، فمنهم من جعلهما صنوين متلازمين، تحت عنوان (الكناية والتعريض) ومنهم من أدرجه، تحت أقسام الكناية كما هو الحال معنا هنا.

وأَعْرَاضُ الكلام ومَعَارِضُهُ: كلام غيرُ ظاهر الدلالة على المعنى المراد، وقد جاء في الحديث الشريف: " إنَّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب"، أي: فيها سعة يتخلص بها المتحدث من الكذب إذا لم يرد التصريح.

و(التعريض) اصطلاحاً : إطلاق الكلام والإشارة به إلى معنى آخر يُفهم من السياق، فالتعريض بذلك أن تذكر جملة من القول تريد بها شيئاً، ولكن هذا الشيء لا يُفهم بطريق اللزوم، كما رأينا في الكناية، وإنما يُفهم من السياق.

و(التَّعريض) عند العرب أرجحُ من التصريح ، وهو كثير شائع على ألسنتهم، يقول ابن قتيبة: " والعرب تستعمله في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل كل شيء، ويقولون: (لا يُحْسِن التعريضَ إلاّ ثَلْبا) [1].

و(التعريض) فن من فنون القول غير المباشر يُعتمد فيه غالباً على قرائن المقال لا على قرائن الحال، مثال ذلك أنه قد يتوسل المحتاج بالتعريض العملي لدلالة حاله، فيرتدي ثياباً ممزقة بالية دون أن يطلب عوناً، إذ يستغني بدلالة الحال عن دلالة المقال، فيراه المتصدقون فيمدُّون له يد العون.

وهذا التعريض العملي هو ما يناظره التعريض في الكلام، وإليك أمثلة ذلك :

أ ــ تقول لشخص : (إنما ينجح من كان يدرس)، فهذا تعريض؛ لأنك لم تقل له صراحة : (أنت لا تنجح)، بل مِلْت بالكلام إلى شخص آخر بقولك: (من كان يدرس)، وأنت تقصد المخاطب.

---

١ - تأويل مشكل القرآن /٢٠٤.

ب ـ ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٦]، معرضاً فيه بجهل شخص معين من دون ذكره صراحة .

جـ ـ تقول لمن يؤذي غيره : (المسلمُ من سلِمَ المسلمون من لِسانه ويده)، فهذا تعريض؛ لأنك لم تقل له صراحة: أنت لست مسلماً لأنك تؤذي غيرك، بل ملت بالكلام إلى شخص آخر ، فقلت: (المسلم)، وأنت تعني المخاطب .

د ـ وتقول معرضاً بشخص بخيل في مجلس: (ما أقبح البخل)، تعرّض به بأنه بخيل .

هـ ـ سُئل الحطيئة عن أشعر الناس، فذكر زهيراً والنابغة، ثم قال : ولو شئت لذكرت الثالث، أراد نفسه، ولو صرَّح لم يفخم.

و ـ يقول المتنبي مُعَرِّضاً بكافور:

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الجَوَا ... دِ أنكرَ أظلافَهُ والغبب[1]

فهو يُعَرِّض بكافور بأنه كان ممن يركب الثور في مطلع حياته .

ز ـ ويقول معرضاً بسيف الدولة :

إذا الجُودُ لم يُرْزَق خلاصاً من الأذَى ... فَلا الحَمْدُ مَكْسُوباً ولا المالُ باقِيا

فهو يُعَرِّض بعطاء سيف الدولة بأنه لم يكن خالصاً من المِنَّة والأذى، وبذلك، فلا هو مشكور على عطائه، ولا ماله باق .

ح ـ ومثله " ما يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أنه كان يخطب يوم جمعة فدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال عمر: أيّة ساعة هذه ؟ فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، انقلبْتُ من أمر السوق فسمعت

١- أظلاف الثور وغببه : اللحم المتدلي تحت حنكه.

النداء، فما زدت على أن توضأت، فقال عمر : والوضوء أيضاً، وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل. فقوله: (أية ساعة هذه؟) تعريض بالإنكار عليه لتأخره عن المجيء إلى الصلاة وترك السبق إليها، وهو من التعريض المُعرب عن الأدب"[1].

ط ـ ومنه قول راغب بالاقتران بامرأة معينة : كُلُّ رجل يتمنى أن تكون هذه المرأة حلالاً له.

الفرق بين الكناية والتعريض :

فرّق ابن الأثير بين الكناية والتعريض، فقال: " وأما التعريض : فهو اللفظ الدالُّ على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إنّي لمحتاج، وليس في يدي شيءٌ، وأنا عريان والبرد قد آذاني، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب، لا حقيقة ولا مجازاً، إنما دلّ عليه من طريق المفهوم ... والتعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي ... "، ثم يضيف فرقاً آخر بقوله إن "الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معـــاً، فتأتي على هذا تارة، وعلى هذا أخرى، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة، والدليل على ذلك أنه لا يُفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وإنما يفهم من جهة التلويح والإشارة، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد، ولكنه يحتاج في الدلالـــة عليه إلى اللفظ المركب"[2].

١- المثل السائر/٢/٢٠٠.

٢- انظر المثل السائر ٢/١٨٦.

أغراض التعريض :

يأتي التعريض لأغراض مختلفة ، منها:

١ ـ الاستعطاف: نحو قول المحتاج أمام من يطلب عونه : جئتك لأسلّم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم.

أو قول طالب وظيفة بحضور من يملك توظيفه: أنا لا عمل لي أتكسّبُ منه، وعندي من المؤهلات كذا وكذا، ولي أسرةٌ مكوّنة من أربعة أشخاص أعيلها... وهكذا.

٢ ـ للاحتراز عن المخاشنة والمفاحشة، نحو قولك مُعرِّضاً بجهل شخص معين من دون أن تذكره صراحة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

٣ ـ الملاطفة : نحو قولِ أحدهم لامرأة يريد خطبتها : إنّك لجميلةٌ صالحةٌ ، وعسى الله أن ييسّرَ لي امرأةً صالحة .

وغير ذلك من الأغراض الأخرى[١].

٢ ـ التلويح :

التلويح ـ لغة ـ أن تشير إلى غيرك عن بُعد، واصطلاحاً: هي كناية كثرت فيها الوسائط بين المعنى الحقيقي والمعنى الكنائي، أو بين اللازم والملزوم، فلا ينتقل فيها الذهن إلى المطلوب إلاّ بعد المرور بمراحل.

مثاله قول الشاعر واصفاً كلبه :

يكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مقبِلاً   يُكلّمُهُ من حبّه وهو أعجَمُ

١- للاستزادة ، انظر أنوار الربيع ٦/٦١-٦٣.

كنّى بإقبال الكلب، وأنسه بضيوفه عن كرم صاحبه، لكنّ بين المعنيين (الحقيقي والكنائي) عدداً من الوسائط (عرفتها قبلُ) لا بد من المرور بها حتى يُفهم منها المعنى الكنائي.

ومنه قول الآخر:

وكَلْبُكَ آنسُ بالزائرين   من الأمِّ بابنتها الزائره

فقد كنى باستئناس الكلب بالزائرين عن كرم الممدوح، ولا ينتقل الذهن من المعنى الأول إلى الثاني إلاّ بعد المرور بمراحل كثيرة هي: استئناس الكلب بالزائرين ← ومنه ينتقل إلى دليل معرفته لهم ← ومنه إلى كثرة مشاهدته لهم ← ومنه إلى كثرة ترددهم على منزل صاحبه ← ومنه إلى أن صاحبه مقصد الناس ← ومنه إلى كون صاحبه يَقْرِي الضيفان ← ومنه إلى صفة الكرم.

٣ ـ الرمز:

وهو ـ لغة ـ تصويت خفي باللسان كالهمس، وهو كذلك: إشارة وإيماءة بالعينين والحاجبين والشفتين.

والرمز ـ اصطلاحاً ـ كناية قلّت وسائطها مع خفاء في اللزوم بلاتعريض؛ أي إن المعنى الكنائي لا يُفهم إلاّ بعد شيء من التأمل والتفكير؛ لخفاء اللزوم بين المعنى المكتّى به والمعنى المكنّى عنه، نحو قولهم: (فلان كبير الرأس) كناية عن صفة الغباء أو البلاهة، لأن كبر الرأس بإفراط كانوا يستدلون به ـ في العادة ـ على البلادة، وفي العكس، أي (صغر حجم الرأس)، كانوا يرون فيه دليل الذكاء والنباهة، وفي هذا قال طرفة بن العبد:

أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرِفونَه   خشاش كرأسِ الحيّةِ المتوقّد

(الرجل الضرب) بمعنى الخفيف اللحم، و(الخشاش) : صغر حجم الرأس، وقد جعله هنــا دليلاً على الذكاء وتوقّد الذهن. غير أن فهم هذا المعنى منه أو من عكسه يحتاج إلى رويّة وإعمال الذهن لفهم اللزوم بين المعنيين؛ لما فيه من خفاء لا يُدركه كل أحد.

ومن أمثلته أيضاً قولهم في الكناية عن البلادة والغباء :(فلان عريض القفا)؛ لأن عرض القفا بإفراط مما يُستدل به ــ عادة ــ على الغباء.

وفي هذا يقول الشاعر :

عَرِيضُ القَفَا مِيزانُهُ في شِمَالِهِ قد انحصَّ من حَسْبِ القَرَارِيطِ شارِبُهْ

في البيت ثلاث كنايات: (عريض القفا) كناية عن غبائه وبلاهته، و(ميزانه في شماله) كناية عن عدم الدّقة والإحكام، و(انحص من حسب القراريط شاربه) كناية عن انشغاله بالتوافه التي لا ينشغل بها ذوو الهمم.

ومنه قولهم: (غليظ القلب) كناية عن القسوة، و(عريض الوسادة) كناية عن البلاهة؛ لأن همّ الأبله في الحياة الخمول والكسل فيرى في النوم ملجــأ آمناً لبلادته، فيتخذ لذلك من الوسائد ما عرض وأراح.

ودارس هذا الأســلوب، أقصد الكنايــة بالرمز، يرى أن درجة الخفاء فيه متفاوتة؛ فمنها ما يُدرك بيسر، ومنها ما يحتاج في فهمه إلى كدّ الذهن وإعمال العقل والروية للوصول إلى المعنى المكنّى عنه، ومنه ما يُستغلق على الإفهام، حتى ليعد لحناً أو لغزاً[١].

---

١ - اللحن: هو الرمز الذي اقتصر فَهمُ معناه على القائل والمخاطب. واللغز: من ألغز الكلام، وألغز فيه: عَمّى مراده، وأضمره على خلاف ما أظهره. للاستزادة منهما؛ انظر: المزهر في علوم اللغة ٥٦٧/١، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها / ٥٤٧ و ٥٦٧.

٤ ـــ الإيماء أو الإشارة :

وهي الكناية الواضحة ، التي قلّت فيها الوسائط أو انعدمت ، فلا خفاء فيها لوضوح دلالتها، وظهور المشار إليه ، نحو قول الشاعر:

لا يَرْفَعُ الضيفُ عَيناً في مَنَازِلِنا إلاّ إلى ضَاحِكٍ منا ومُبْتَسِمِ

فالبيت كناية عن الكرم، وهو معنى ظاهر واضح لاخفاء فيه، وهذه الكناية من نوع الإيمـــاء والإشارة ، نظراً لوضوح دلالتها ، وقلة الوسائط بين المعنى اللازم والملزوم[1].

ومن هذا النوع قول الشاعر أيضاً :

تعوّد بَسْطَ الكفِّ حتى لَوَ انّهُ ثَنَاها لِقَبْضٍ لم تُطِعهُ أنامِلُهُ

فقد أفاد بغاية الوضوح كرم الممدوح .

ولو قارنت بين هذه الكناية وعبارة (كثير الرماد) لتبين لك قلة المسافة بين المعنى اللازم للبيت وما يلزم عنه من كرم الممدوح، وبُعدُ المسافة بين (كثرة الرماد) وما يلزم عنه من الكرم.

بلاغة الكناية وجمالياتها:

الكناية فن من فنون البيان، لها لونها الخاص بها، وتأثيرها الذي تنفرد به، ونحن، وإن كنا لا نريد أن نفاضل بين أساليب البيان، أيها أكثر تأثيراً في النفس، وأيها أكثر بلاغة، وأنفذ سحراً، لأنها جميعاً لها من المزايا والمحاسن واللطائف والقيم الفنية والتعبيرية ما تشترك به مع غيرها من أشكال البيان، غير أنّ في الكناية محاسنَ تختص بها، منها:

١- هذه الأنواع التي ذُكرت من تلويح أو رمز أو إشارة يرجع معظمها إلى ما كان كناية عن صفة، فالإيماء :كناية قريبة ، والرمز :كناية خفية، والتلويح: كناية بعيدة .

١. أنّها أبلغُ من الذكر والتصريح، مما يعني أنها أكثر تأثيراً وإمتاعاً، وأنفذُ إلى العقل والعاطفة من التعبير المباشر، فهي تتجنب إعطاء المطلوب دفعةً واحدةً، مما يجعلُ الذهن في حالـــة استنفار وتأهب للوقوف على المعنى المراد وراء ظاهر اللفظ.

يقول الشيخ عبد القاهر: " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح ... فنحن وإن كنا نعلم أنك إذا قلت: (هو طويل النجاد، وهو جـــمُّ الرماد)، كان أبهى لمعناك، وأنبلَ من أن تدع الكناية وتُصرح بالذي تريد... وإذا قلـت: (بلغني أنك تقدّم رِجلاً وتؤخر أخرى)، كان أوقع من صريحه الذي هو قولك: بلغني أنك تتردد في أمرك، وأنك في ذلك كمن يقول: أخرُج ولا أخرج، فتقدم رِجلاً وتؤخر أخرى... وتفسير هذا أن ليس المعنى إذا قلنا: إن الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كَنَيْتَ عـــن المعنى زِدْت في ذاته ؛ بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغَ وآكدَ وأشدَّ، فليست المزية في قولهم (جَمُّ الرماد) أنه دلَّ على قرى أكثر، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشد، وادَّعيته دَعْوَى أنت بها أنطقُ، وبصحتّها أوثقُ"[1].

٢. أنها تمتاز بالإقناع؛ لأنها تقدم الحقيقة مصحوبة ببرهانها، والمعنى مقروناً بدليله، فيكون ذِكر الشيء وبرهانه أوقـــع في النفس، حيث ينقلنـــا بالخيال إلى البحث عما يقتضيه هذا الدليل من معنى خفي مقصود مُكنّى عنه، ألا ترى أنّ قولهم: (عضَّ فلانٌ على أناملـــه) التي يكنون بها عن الندم إنما جاءت دليلاً محسوساً لإثبات هذا الندم، وقولهم في المثل المعروف فلان

١- انظر دلائل الإعجاز / ٧٠-٧١.

(يسعى إلى حتفه بقدمه) في التعبير عن ركوب المصاعب التي ستودي بحياته يعطيك الدليل على هذا المعنى مادياً حسياً، وانظر إلى قول المتنبي وهو يذكـــر سيف الدولة :

فَمَسَّاهُمْ وبُسْطُهُم حَرِير   وصَبَّحَهُمْ وبُسْطهم تُرابُ

فَمَثَّل المعنى للخيال بإدراك حسّي تكاد العين تراه، فبعد أن كان الأعداء يرفلون بالعــزّ والسيّادة والجاه (يفترشون بسطاً من الحرير) أصبحوا في حالـــــة من الذُّل والهوان (يفترشون بسطاً من التراب).

يعبّر عبد القاهر عن هذا المعنى بقوله: إن " إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكدُ وأبلغُ في الدَّعْوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا سَاذَجاً غُفْلاً، وذلك أنك لا تدّعي شاهد الصفة ودليلها إلاّ والأمر ظاهر معروف ، وبحيث لا يُشك فيه، ولا يُظن بالمخبـر التجوّزُ والغَلَط" (١).

٣- أنها تُنشط الذهن، وتقدح العقل للبحث عن المعنى المتواري وراء ظاهر اللفظ، وهذا يبعث في النفس نوعاً من الزهو والبهجة والحبور، بعد طول تمعُّن وبحث للوصول إلى المعنى المراد.

انظر إلى الكناية في قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء:١٣] كيف جذبت انتباه المتلقي، وأثارت فيه كوامن البحث والمعرفة عن السرِّ فيها؛ لأنها جاءت مغايرة لما شاع عند العرب؛ فالطائرُ الذي يتفاءل الإنسان به أو يتشاءم منه يمرُّ على يمينه أو يساره (السارح، أو البارح)، أما أن يكون مُعلّقاً في عنقه، يلازمه في حلّه وترحاله فهو أمر بعيد عن

---

١ - انظر المرجع نفسه / ٧٢.

التصوّر، يحتاج إلى كدِّ الذهن، وعمل القريحة؛ فإذا ما توصل إليه الإنسان شعر بكل ما ذكرناه من فرح وحبور، وزادت ثقته بنفسه وبقدرته على التأمّلِ والتثبت.

٤. تتسم الكناية بطابع التمثيل والتشخيص للمعاني، حتى لتقترب كثيراً من الفن الساخر، انظر إلى قولهم – مثلاً – (فلان طويل اليد) كناية عن أنه سارق، أو (طويل اللسان) كنايـــــة عن الثرثرة، أو قول الشاعر :

لقد كانت مَجَالسُنا فساحاً فضيّقَها بلحيتِهِ رِبَاحُ

أو قول أحدهم في وصف امرأة بدينة دخلت من باب بيته:

مَن رأى مثلَ حِبّتي تُشبهُ البدرَ إذ بدا
تُدخِلُ اليومَ خصرَها ثم أردافَها غدا

أقول: انظر كيف رسم صورة هزلية ضاحكة لتلك الشخصيات بأحوالها المتباينة الساخرة.

٥. التعبير عن المعاني المستهجنة القبيحة بألفاظ حسنة، تنزيهاً للسان عما لا يليق ذكره، وحثّاً على التأدب في القول، وتحاشياً للانزلاق بالتصريح بما تمجه الأذواق وتأباه الأسماع. وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم، وفي كلام العرب، فقد كانوا لا يعبّرون عما تأنفه الأذواق وتأباه الأسماع أو تثيره الغرائز إلاّ بالكناية، وإليك أمثلة على ذلك :

أ- قوله تعالى في التكنية عن قضاء الحاجة : ﴿ أوجاء أحدٌ منكم من الغائط ﴾ [النساء:٤٣] ، و[المائدة: ٦]، إذ حقيقة (الغائط) المكان المنخفض من الأرض، لكنه هنا جاء كناية عـــــن المكان الذي يقصده الإنسان لقضاء الحاجة.

ومنه أيضاً قوله : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]، فقوله: (كانا يأكلان الطعام) كناية عن (بشريتهما)، فانظر إلى بلاغة الكناية كيف حولت المعنى ووجهته، إلى ما هو أستر وأجمل وأحسن وقعاً على النفس والأذن.

ب ـ آثر القرآن الكريم عدم استخدام كلمة (الجماع)، وكنى عنه بالإفضاء، والسر، والرفث... وغيره. من ذلك قوله تعالى متحدثاً عن مهور النساء: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٢١] ، وقوله ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

جـ – تجنب القرآن الكريم كذلك ذكر السوءة والعورة، فكنى عنها بالفرج، يقول عز وجل: ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله كذلك: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم: ١٢]، وغير ذلك.

٦. ومن خواص الكناية أنها تُمكنك من النيل من خصمك وإشفاء غليلك منه دون أن يكون لـه سبيل إليك، ودون أن تخدش وجه الأدب، وأكثر ما يكون هذا الغرض في أسلوب التعريض، من ذلك قول المتنبي معَرضاً :

إذا الجودُ لم يُرزق خَلاَصاً من الأذى ... فَلا الحَمْدُ مكْسوباً ولا المالُ بَاقيا

فاستطاع أن ينال منه دون أن يكون لديه دليل على ذلك، أو دون أن يخرج عن حـــدود الكياسة والأدب، فعطاءُ سيف الدولة غير ممنون، وماله مهدور غير محمود، لأنه أتبعـــه بأعمال ألحقت الأذى بمن خصّهم بكرمه وعطاياه.

ويدخل تحت هذا النوع ما يأتي بلفظ (مثل) و(غير)، كقولك: (مثلك لا يبخل) و(غيرك لا يجود) فنفى ذلك عن مثله وغيره و هو يريد نفيه عن المخاطب نفسه .

٧. إرادة صيانة اسم المكنّى عنه، وهذا ما يطلق عليه أهل البلاغة التعمية والتغطية، وذلك حرصاً عليه، أو خوفاً منه، كالكناية عن أسماء النساء أو أسماء الأعداء، وقد عبّر عن ذلك بقوله:

أكني بغير اسْمِها وقد عَلِمَ ... اللهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مكتتم

ومن صور هذا النوع قول عمر بن أبي ربيعة :

ألِمَّا بذاتِ الخالِ فاستَطْلِعا لنَا ... على العَهْدِ باقٍ وُدُّها أم تصرَّما

فاستعاض بـ (ذات الخال) عن صريح اسمها، حرصاً عليها وصوناً لسمعتها .

٨. وأخيراً أقول: إنَّ كثيراً من الكنايات قد شاعت وانتشرت على ألسنة الناس حتى فقدت قيمتها الفنية، ودلالتها المؤثرة، من ذلك مثلاً: (فلان ينظر إلى الدُّنيا بمنظارٍ أسود) كناية عن التشاؤم، و (فلان خفيف القلب)، كناية عن سرعة التأثر، و(بابه مفتوح) كناية عن الكرم، و(واسع الصدر) كناية عن الحِلم، و(عينُه ضيقة) كناية عن الحسد، و (منكس الرأس) كناية عن الذل والمهانة ... وغير ذلك من الكنايات التي شاعت على الألسن فلحقت بالاستعمالات العادية، وفقدت ما كان لها من طرافة في التعبير؛ فبات تأثيرها في النفوس يسيراً ضعيفاً، وإن كانت في أصلها كنايات جيدة؛ لأنَّها مبنيّة على صور مثيرة للخيال، مؤثرة في الوجدان.

تدريب محلول

بيِّن نوع الكناية تبعاً للمكنّى عنه وتبعاً للوسائط فيما يأتي :

١ ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٦] .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] .

٣ـ قال تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ١ ـ ٢] .

٤ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ٧٧] .

٥ـ قال الرسول ﷺ : " رُوَيدَكَ سَوقَك بالقوارير".

٦ـ أقيموا بني أمي صُدورَ مَطِيِّكم   فإنّي إلى قَومٍ سواكم لأَميَلُ

٧ـ أَبَيْنَ فما يَزُرْنَ سوى كريمٍ   وحَسْبُك أن يَزُرْنَ أبا سعيد

٨ـ قال جبران خليل جبران : " كيف أخسر إيماني بعدل الحياة ، وأنا أعرف أن أحلام الذين ينامون على الرِّيش ليست أجملَ من أحلام الذين ينامون على الأرض" .

٩ـ قال المنفلوطي :

" أيها السُّعداء ! أحسنوا إلى البائسين والفقراء، وامسحوا دموع الأشقياء".

١٠ـ ولا زال بيتُ المُلْك فوقكَ عالياً   تُشيَّدُ أطنابٌ له وعَمُودُ

١١ـ الضاربين بكل أبيَضَ مِخذَمٍ   والطاعنينَ مجامعَ الأضْغانِ

١٢ ـ فيا ليتَ ما بيني وبين أحبتي　　من البُعدِ ما بيني وبين المصائبِ

١٣ـ لا يَسألونَ أخاهم حين يَندُبُهم　　في النائبات على ما قال بُرهانا

١٤ـ أنا لم أُرزَقْ مَحبَّتَها　　إنمَا للعَبْدِ مـــــا رُزِقا

١٥ـ لا ينزلِ المجدُ إلاّ في منازِلِنا　　كالنوم ليس له مأوى سوى المُقلِ

١٦ ـ وذي رحِمٍ قلّمتُ أظفارَ ضِغنِهِ　　بحلمي عنه فأمْسَى وهو ليس له حِلْمُ

١٧ ـ وقد صالحوا قوماً علينا أشِحّةً　　يَعضُّون عضّاً خلفَنا بالأبــاهِمِ

١٨ ـ ألاَ يا نَخلَةً مِنْ ذاتِ عِرْقٍ　　عليكِ ورحمةُ اللهِ السّــلامُ

١٩ـ لا يرفعُ الضّيْفُ عيناً في منازِلِنا　　إلاّ إلى ضاحكٍ منا ومُبتَسِمِ

٢٠ـ يقول القائل: كلُّ رجُلٍ يتمنى أن تكون هذه المرأة حلالاً له.

الإجابات

١ ـ الآية فيها تعريض بأنهم لم يستجيبوا.

٢ـ في الآية كناية عن صفة الخضوع والامتثال ، وهي من نوع الإيماء.

٣ـ كنّى بـ (القارعة) عن يوم القيامة ، وهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء.

٤ـ كنّى بقوله : (لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) عن السُّخط وشدة الغضب، فهي كناية عــن صفة من نوع الإيماء.

٥ـ كنّى بـ (القوارير) عن النساء، فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء.

٦ـ كنّى بقوله : (بني أمي) عن (الأخ)؛ لأن ذلك وصف خاص به، فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء.

٧ ـ كنّى بقوله : (وحسبك أن يزرن أبا سعيد) عن كرمه، فهي كناية عن صفة من نوع الإيماء.

٨ ـ كنّى بقوله (الذين ينامون على الريش) عن الأثرياء ، وعن (الذين ينامون على الأرض) عن الفقراء ، وهما كنايتان عن موصوف من نوع الإيماء.

٩ ـ كنّى بقوله : (وامسحوا دموع الأشقياء) عن التعاطف والرحمة، فهي كناية عن صفة من نوع الإيماء .

١٠- البيت كناية عن نسبة ، وهي نسبة العز والسيادة للممدوح ، وهي من نوع الإيماء.

١١ـ كنّى بقوله : (أبيض مخذم) عن السيف ، فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء ، وكنى بقوله : (مجامع الأضغان) عن موصوف هو القلب ، وهي أيضاً من نوع الإيماء .

١٢ـ كنّى بالبيت عن قرب المصائب منه، وكثرة نزولها بداره، فهي كناية عن صفة من نوع الرمز .

١٣ـ في البيت كناية وتعريض، حيث كنّى بمجمل البيت عن شجاعتهم ونخوتهم في تلبية دعوة الداعي ، فهي كناية عن صفة من نوع الإيماء، وفيه تعريض؛ لأن الشاعر كان يُعرِّض بقومه أنهم لم يُسارعوا لنجدته، فهو في ظاهره ثناء على أولئك القوم الذين أنجدوا أخاهم، فوصفهم بالشجعان، وتعريض بقومه الذين تخلوا عنه في وقت محنته .

١٤ ـ في البيت تعريض، فقد أفهمنا أنه سعى إلى الكفّ عن عشقها ومحبتها، وقطع كل صلة بها ، لكن كلّ ذاك كان قدراً مكتوباً عليه.

١٥ ـ صرّح بنسبة، هي قوله : (لا ينزل المجد إلاّ في منازلنا) فاستدل بذلك على النسبة المرادة وهي نسبة المجد إليهم ، فهي كناية عن نسبة من نوع الإيماء .

١٦ ـ كنّى بقوله : (ذي رحم) عن صلة القُربى، وهي كناية عن صفة من نوع الإيماء.

١٧ ـ كنّى بقوله : (عضّ الأباهم) عن الندم والغيظ ، فهي كناية عن صفة من نوع الإيماء.

١٨ ـ كنّى بقوله (نخلة) عن المرأة؛ فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء.

١٩- كنّى بمجمل البيت عن الكرم؛ فهي كناية عن صفة من نوع الإيماء.

٢٠- في العبارة تعريض بأنه يرغب في أن تكون تلك المرأة حليلةً له.

تدريـــب يطلـــب حلـــه:

بيِّن نوع الكناية تبعاً للمكنَّى عنه وتبعاً للوسائط فيما يأتي :

١ ــ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١] .

٢- قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦].

٣- قال الرسول ﷺ : " أُوتيتُ جوامع الكلم " .

٤-

٤- بَعيدةٌ ما بين المُخلْخل والطّلا   ترى الطرْف عنها ينثني وهو قاصِرُ[1]

إذا ما اشتهى الخلْخالُ أخبارَ قُرْطِها   فيا طيبَ ما تملي عليه الضفائرُ

٥ ــ تَمنّى ابنتاي أن يَعيشَ أبوهُما   وهل أنا إلاَّ من ربيعة أو مُضرْ؟

٦ ــ هندٌ خرساء الأساور .

٧ ــ سألناه الجزيلَ فما تَلَكّا   وأعطى فوقَ مُنيَتِنا وزادا

مِراراً ما أعودُ إليه إلاَّ   تَبَسَّمَ ضاحِكاً وثنى الوِسادا

٨ ــ زيدٌ لا يضع العصا عن عاتقه .

٩ ــ لا تَسَلْ عن عِداكَ أين استقرّوا   لَحِقَ القومُ باللطيفِ الخبيرِ

١٠- ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ   وإليه قبلي تنزِلُ القِدْرُ

ما ضرَّ جاراً لي أُجاوِرُهُ   ألا يكونَ لِبابِهِ سِتْرُ

أَعمَى إذا ما جارتي بَرَزَتْ   حتى يُواري جارتي الخِدْرُ

١١ ــ بني عمِّنا لا تذكُرُوا الشِّعر بَعدَما   دَفَنتُم بِصحْراء الغُمَيْرِ القوافيا

---

[1] المخلخل : موضوع الخلخال من الساق ، الطلا : الشعر.

١٢ ـ عَشيةَ مَالي حيلةٌ غيرَ أنَّني بلقْطِ الحَصَى والخَطِّ في الأرضِ مُولَعُ
أَخُطُّ وأَمْحو الخطَّ ثم أُعيدُه بكَفِّيَ والغِرْبانُ في الدَّارِ وُقَّعُ
١٣ ـ فإنْ يكُ عبدُ اللهِ خَلَّى مكانَهُ فما كانَ وقَّافاً ولا طَائشَ اليَدِ
١٤ ـ قد كنتُ حتى الأمسِ مُصطَحِباً عزمي، شعوري، همَّتي، لُبِّي
إنْ قُمتُ قامَ الحبُّ في أثَرِي أو نمتُ نامَ الحبُّ في جَنْبي
١٥ ـ دَامِي المفاصِلِ حتى ما لِشَفْرتهِ غِمْدٌ كثيرُ رَمَادِ القِدْرِ من كرَمِ
١٦ ـ يبيتُ بمنجاةٍ عن اللوم بيتُها إذا ما بيوتٌ بالملامةِ حلَّتِ
١٧ ـ أعْزِزْ عليَّ بأن أراكَ رهينةً في جوفِ أغبرَ قاتمِ الأسْدادِ
١٨ ـ وما يكُ فيَّ من عَيْبٍ فإنِّي جَبَانُ الكلبِ مَهْزولُ الفصيلُ
١٩ ـ فأتبعتُها أخرى فأحللتُ نصلَها بحيث يكون اللبِّ والرعب والحقدُ
٢٠ ـ ولي بينَ الضلوعِ دمٌ ولحمٌ هما الواهي الذي فقد الشَّبَابا
٢١ ـ قومٌ ترى أرْمَاحَهم يومَ الوَغَى مشغوفةً بمواطنِ الكتمانِ

الباب الثاني

علم البديع

ويضمّ :

١ – المبحث الأول: البديع والبديعيات

٢ – المبحث الثاني: البديع المعنوي

٣ – المبخث الثالث: البديع اللفظي

Damascus University

المبحث الأول

البديـــــع

مقدمة :

البديع في اللغة من بدع الشيء يبدعه وابتدعه بمعنى أنشأه وبدأه والبديع الشيء الذي يكون أولاً، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كلّ شيء، وقد ورد في القرآن الكريم مرتين قوله تعالـــى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي خالقها ومبدعها ومخترعها لا على مثال سابق[1].

ثم استخدم علماء البلاغة مصطلح البديع، ومنهم الجاحظ الذي عنى به وجهاً من وجوه البلاغة عندما علّق على قول الشاعر :

هم ساعد الدهر الذي يُتّقى به وما خير كفّ لا تنوء بساعد

بقوله : (قوله هم ساعد الدهر إنّما هو مثل ، وهذا الذي تسمّيه الرواة البديع)[2] .

وكأن الجاحظ عنى به، ــ كما رأيت ــ الاستعارة في كلمة (ساعد الدهر) .

ثم يرد المصطلح عند ابن المعتز فيجعل البديع خمسة أنواع : الاستعارة والتجنيـس والمطابقة وردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها والمذهب الكلامي[1].

---

١ – انظر لسان العرب مادة بدع.

٢ – البيان والتبيين : ٤/٥٥ ــ ٥٦.

ثم يجعله قدامة بن جعفر سبعة وعشرين ، وهكذا حتى يتجاوز عند المتأخرين مئــــة وخمسين نوعاً ، وعند تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة يطلق مصطلح البديع على واحد منها ليجعل البديع بعد ذلك علماً يضمّ بين جناحيه عدداً من الأنواع البلاغية التي تكسب الكلام زينته وحلّته.

وقبل الحديث عن موضوعات هذا العلم نحدثك عن البديعيات .

البديعيــات

نالت القصيدة التي نظمها كعب بن زهير في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والتي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبــول   متيّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبــولُ

شهرة فائقة بين الناس عامة وأهل الأدب خاصة، فأخذوا يشرحونها وينظمون علـــى منوالها ويستشهدون بأبياتها إعجاباً منهم بمعانيها وإكباراً لشخص الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثمّ صار مديح الرسول فنّاً خالصاً، وخاصة عند شعراء القرن السابع الهجري، وكان ممّن نبّه عليه وذكّر به البوصيري المتوفّى سنة ٦٩٤هـ وذلك في قصيدته التي مطلعها:

أمن تذكّر جيران بذي سلَمٍ   مزجت دمعاً جرى من مقلة بدمِ

وهي البردة التي عارضها أحمد شوقي بقصيدته (نهج البردة) التي مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم   أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم

---

١ - البديع : ٢ و٣.

أقول: كانت بردة البوصيري فتحاً كبيراً في باب المدائح النبوية أصبحت فيما بعد مثلاً يُحتذى ونهجاً يسلكه المادحون •

ونالت من الشهرة والذيوع والاهتمام ما نالت، وتهيّأ لها معارضون ومشطرّون ومربّعون ومخمّسون، والقصيدة كما ترى منظومة على وزن البسيط وروي الميم المكسورة، فكان أن قلّدها كثير من أهل العلم والأدب منهم علماء البلاغة.

فهذا صفيّ الدين الحلي المتوفّى ٧٥٠ هـ ينسج على منوالها قصيدته التي مطلعها :

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم ... واقرَ السلام على عُرْب بذي سلم

وهي المسمّاة الكافية البديعية في المدائح النبوية، يقول في تقديمه لها :

هي قصيدة (تجمع أشتات البديع وتتطرّز بمدح مجده الرفيع)[1] يقصد النبي عليه السلام•

يقول فيها:

فقد ضمنتُ وجود الدمع من عدمٍ ... لهم، ولم أستطع معْ ذاك منعَ دمي

أبيتُ والدمع هامٍ هاملٌ سربٌ ... والجسمُ في إضَمٍ لحمٌ على وَضَمِ

قد طال ليلي، وأجفاني به قصرتْ ... عن الرقاد فلم أصبحْ ولم أنمِ

كان الرضا بدنوّي من خواطرهمْ ... فصار سُخْطي لبعدي عن جوارهمِ

فمي يُحدّث عن سرّي فما ظهرت ... سرائرُ القلب إلاّ من حديث فمي

وهي كما ترى أبياتٌ اشتملت على أمثلةٍ للجناس والطباق والمقابلة، وأخيراً لردّ أعجاز الكلام على صدورها.

---

١ - شرح الكافية البديعية : ص ٥٤.

وهذا ابن جابر الأندلسي المتوفى ٧٨٠ هـ ينسج على منوالها قصيدته التي مطلعها:

بطيبة انزل ويممْ سيدَ الأمم ... وانشر له المدح وانثر أطيب الكَلِمِ

وهي المسمّاة (الحلّة السيرا في مدح خير الورى)، يقول في تقديمه لها:

(فأنشأتُ في مدحه صلى الله عليه وسلم قصيدة وشّيتُ بألقاب البديع بُردها وتوخّيتُ فيها مـــن موارد الثناء ما يجد المؤمن على قلبه بَردها)[1].

منها قولُهُ في الجناس:

غُجْبي عليهم فعُجْبي من جفاء فتىً ... جاز الديار ولم يُلمم بربعهمِ
دع عنك سلمى وسلْ ما بالعقيق جرى ... وأُمَّ سلعاً وسل عن أهلِهِ القُدُمِ
بانوا فهان دمي وجداً فها ندمي ... فقد أراق دمي فيما أرى قدمي
يُولون ما لَهُمُ مَنْ قد لجا لَهُمُ ... فاشدُدْ يداً بهمِ وانزل ببابهمِ
يابَرْدَ قلبي إذا بردُ الوصال ضفا ... ويالهيبَ فؤادي بعد بُعْدِهِمِ

وهذا عز الدين الموصلي المتوفّى (٧٨٩هـ) ينظم بديعيته التي مطلعها:

براعتي تستهلّ الدمع في العلم ... عبارةً عن نداء المفرد العلم

وهي المسمّاة (التوصّل بالبديع إلى التوسّل بالشفيع).

يقول فيها وهو يذكر بعض المصطلحات البلاغيّة:

دع المعاصي فشيبُ الرأس مشتعلٌ ... بالاستعارة من أرواحها العُقُمِ
والعينُ قرّت بهم لمّا بها سمحوا ... واستخدموها من الأعدا فلم تَنَمِ

---

١. الحلة السّيَرا : ص ٢٥.

هزلٌ أُريد به جدٌ عتابُك لي ... كما كتمتَ بياض الشيب بالكَتَمِ
ليلُ الشباب وحسنُ الوصل قابلَهُ ... صبحُ المشيب وقبح الهجر يا نَعمي
وما التفتُ لساعٍ حَجَّ في شغفي ... ما أنت للركن من وجدي بملتزِمِ

وكان من أمثلها وأبدعها قصيدة ابن حجّة الحموي المتوفّى (٨٣٧ هـ) التي مطلعها:

لي في ابتدا مدحكم يا عُرْبَ ذي سلَمِ ... براعةٌ تستهلّ الدمع في العَلَمِ

يقوا فيها مُضمّناً بعض المصطلحات:

أوصافه الغرّ قد حلّت بتوريةٍ ... جيدي وعقد لساني بعد ذا وفمي
بالِغْ وقلْ كم جلا بالنورِ ليلَ وغىً ... والشهبُ قد رمدتْ من عثير الدُهُمِ
قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم ... لناره ألسنٌ تُكنى عن الكرم
إيجابُهُ بالعطايا ليس يسلبه ... ويسلب المنّ منه سلْبَ مُحتشمِ
أوجزْ وسلْ أول الأبيات عن مدَحٍ ... فيه وسلْ مكّةً ياقاصدَ الحرمِ

ثمّ شرحها وسماها (خزانة الأدب وغاية الأرب).

يتبين من هذا العرض السريع لأبرز البديعيات أن البديعيات منظومات تعليمية في البلاغة كمنظومة ابن مالك في النحو ومنظومة الخزرجي في العروض وغير ذلك، لكنّها إلى جانب ذلك قصائد في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام موشّاة بمصطلحات البديع، ويمكن تعريفها بأنّها: **قصائد منظومة على البسيط ورويّ الميم المكسورة، في مدح النبي عليه الصلاة والسلام يتعاقب في كل بيت منها نوع من أنواع البديع غير الذي قبله،**

ويكون في البيت شاهد عليه. وقد يوري الناظم باسم النوع البديعي في أثناء البيت[1].

عرفت قبل قليل أنّ مصطلح البديع أُطلق عند علماء البلاغة المتأخرين على أحد علـــوم البلاغة العربية، فهو ثالث علومها بعد علم المعاني وعلم البيان .

وقد قالوا في تعريفه: **هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة**[2] .

والأنواع البلاغيّة التي تندرج تحت عنوان (علم البديع) قسمان : أحدهما يرجع إلى المعنى فيزيد المعنى حسناً ـــ ولا يخلو بالتأكيد من تحسين اللفظ ـــ لكنّ التصاقه بالمعنى أوضح وهو ما يطلق عليه البديع المعنوي أو المحسنات المعنويّة.

والثاني يرجع إلى اللفظ فيزيده حسناً ـــ أيضاً ـــ ولا يخلو من تحسين المعنى لكنّه باللفـــظ ألصق فإذا غيرّت اللفظ زال المحسّن، وهو ما يطلق عليه البديع اللفظي أو المحسنات اللفظية.

وسنذكر لك في هذا القسم من الكتاب ـــ من أنواع البديع المعنوي :

الطباق، والمقابلة، وحسن التعليل، والتورية، والمذهب الكلامي، والمزاوجة والمشاكلة، ومراعاة النظير، والإرصاد، وحسن الابتداء، وحسن الانتهاء، وحسن التخلّص، والمبالغة، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، واللف النشر وتجاهل العارف.

١- انظر مقدمة تحقيق كتاب (الحلّة السيرا في مدح خير الورى) ص ٨.

٢ - التلخيص : ص ٣٤٧.

وسنذكر لك من أنواع البديع اللفظي: الجناس، ورد العجز على الصدر، والسجَع، ولزوم ما لا يلزم، والموازنة، والمماثلة، والتسميط، والموازنة، والاقتباس، والتضمين.

وسبب هذا الاختيار دون غيره شهرةُ هذه الأنواع البلاغية في كلام العرب وكثرة دورانها في لغتهم، وأحياناً طرافتها، ثمّ اختلاف العلماء الذي قد يعتري أنواعاً أخرى منها من جهة دقّة التسمية وتفريع المصطلح إلى مصطلحات، فقد يجعلون المماثلة والمناسبة والموازنـــة من باب السجع، وقد يجعلون لكلّ منها باباً، وقد يجعلونها واحدة وقد يفرّقون وهكذا[1].

من البديع المعنوي

١ــ الطبـــاق

هو الجمع بين معنيين متضادين في العبارة، وهو كما قال الخليل بن أحمد من قولك:

طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد[2].

وسمّاه ابن المعتز المطابقة[3] وجعله الفن الثالث من البديع بعد الاستعارة والتجنيس.

والجمع بين المتضادات مما يكسب الكلام حسناً، قال الشاعر:

---

(١) انظر ــ إذا شئت ــ كيف فرّق ابن أبي الإصبع بين المناسبة والموازنة ص ٢٩٧ ثم بين التوشيح والتصدير ص ٢٣١ وبين التسهيم والتوشيح ص ٢٦٣، من كتابه تحرير التحبير.

٢- البديع: ص ٣٦.

٣- المرجع نفسه.

فالوجه مثل الصبح مبيضٌ والفرع مثل الليل مسودُّ
ضدَّان لما استجمعا حسنا والضدُّ يظهر حسنه الضدّ

وقد تنبه العلماء على أنَّ تعريف الخليل للطباق يُفهم منه الموافقة فآثر بعضهم أن يطلق عليه مصطلح التضاد .

فهو يسمى الطباق أو التضاد أو التكافؤ أو المطابقة .

وهذا التضـــاد قد يكون بين الحروف كما في قوله تعالـــى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، إذ طابق بين (اللام) في لهنَّ و(على) في (عليهنَّ)، وقد يكون بين الأفعال كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٣-٤٤].

وقد يكون بين الأسماء كما في الحديث (اغتنم خمساً قبل خمس : فراغك قبل شغلك ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك ، وشبابك قبل هرمك، وحياتك قبل موتك) انظر كيف طابق بين الفراغ والشغل ثم الصحة والسقم، ثم الغنى والفقر، ثم الشباب والهرم ثم بين الحياة والموت .

أنواعــــــــه :

يأتي الطباق على نوعين :

الأول: طباق الإيجاب، وهو غير المعتمد على النفي والإثبات ككل الأمثلة السابقة، ومنه قـــول البحتري يصف بركة المتوكل:

فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها وريّق الغيث أحياناً يباكيها

إذ طابق بين يضاحكها ويباكيها، وقول الشاعر :

حتّام قلبي مشغول بذكركمُ يهذي وقلبك مربوط بنسياني

لهفي عليها ولهفي من تذكّرها يدنو تذكّرها منّي وتنـــأني
إنّي لمنتظر أقصى الزمان بها إن كان أدناه لا يصفو لحرّان

إذ طابق بين ذكركم ونسياني ثم يدنو وتنأني ثم أقصى وأدنى .

الثاني : طباق السلب، وهو المعتمد على نفي الكلمة وإثباتها في العبارة كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، إذ طابق بيـن (يعلمون) الأولى وهي مثبتة و(لا يعلمون) الثانية وهي منفيّة.

ومنه قول الشاعر :

عاذلي في المدام غير نصيح لا تلمني على شقيقة روحي
لا تلمني علـى التـي فتنتني وأرتني القبـيح غير قبـيح
إنّ بذلي لهـا لبـذل جـواد واقتنائي لها اقتنـاء شـحيح

فقد وقع طباق السلب بين (القبيح) و(غير قبيح).

الملحقات بالطباق :

يلحق بالطباق ثلاثة أمور :

الأول – طباق التدبيج :

وهو الواقع بين الألوان كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧] ، إذ وقع بين (بيض) و(حمر) فسمّي تدبيجاً.

قال أبو تمام :

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلاّ وهي من سندس خضر

الثاني – الطّباق الخفي :

وذلك عندما تكون الضدّية في الصورة غير ظاهرة كما في قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالرحمة وإن لم تكن ضدّ الشدّة إلاّ أنّها ناتجة عن اللين الذي هو ضدّ الشدّة، وكذا في قوله تعالى﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ [غافر: ٤١]، فالنجاة ليست ضدّ النار لكن حينما تسبّبت عن الجنّة والجنة ضد النار عُدَّت من الطّباق الخفي.

الثالث – إيهام التضاد :

وذلك عندما تكون الضدّية متوهّمة كما في قول دعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقوله : (ضحك المشيب) معناه ظهر بكثرة وهو ليس عكس البكاء كما يُتوَهّم .

و منه قول الشاعر :

وتنظّري خبب الركاب ينصّها مُحيي القريض إلى مميت المالِ

فمحيي القريض هو الشاعر ومميت المال هو الرجل الممدوح يميته بكرمه.

حاول أن تفهم الطباق وملحقاته في الأمثلة التالية:

١–قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر: ١٩– ٢٢].

٢–ولقد عُرِفت وما عرفت حقيقة ولقد جُهلتُ وما جُهلتُ خمولا

٣–إذا نحن سرنا بين شرقٍ ومغربٍ تحرّك يقظان التراب ونائمُهْ

٤-يُقيّض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إليّ الشوق من حيثُ أعلمُ

٥-يبدي وشاحاً أبيضاً من سيفِهِ والجوّ قد لبس الرداء الأغبرا

٦-لهم جلّ مالي إن تتابع لي غنىً وإن قلّ مالي لا أكلّفهُمْ رِفدا

٧-ما إن ترى الأحساب بيضاً وضحاً إلاّ بحيث ترى المنايا سودا

٨-﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

٩-كأنّ سهاد الليل يعشق مقلتي فبينهما في كلّ هجرٍ لنا وصلُ

١٠-مها الوحش إلاّ أنّ هاتا أوانسٌ قنا الخطّ إلاّ أنّ تلك ذوابلُ

٢ ــ المقابلـــــــة

أن يأتي المتكلم بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثمّ بما يقابل ذلك موافقة أو تضاداً فهـي كالطباق لكنها أعمّ، وقيل إنها طباق متعدّد، فإذا علمت أن بين (الليل والنهار) طباقاً فاعلم أن بين سواد الليل وبياض النهار مقابلة، وإذا علمت أن بين (يريد) و(لايريد) طباقاً سمّيناه قبل قليل طباق سلب وعلمت أن بين (اليسر) و(العسر) طباقاً أيضاً، ففي قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، مقابلة.

أنواع المقابلة :

ينظر هنا إلى عدد المعاني المتقابلة.

فقد يكون هذا التقابل بين معنيين ومثليهما كما في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢].

Damascus University

وقوله تعالى: ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ [لقمان: ٢٩].

ومنه قول الشاعر :

فواعجباً كيف اتفقنا فناصح | وفيٌّ، ومطويٌّ على الغلّ غادرُ

فقد أتى بإزاء كل وصف من نفسه بما يضادّه على الحقيقة ممّن عاتبه، فالمعنى الأول ناصح قوبل بمن طوي على الغلّ، والمعنى الثاني (وفيّ) قوبل بـ (غادر).

وقد يكون التقابل بين ثلاثة وثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، ومنه قول الشاعر :

فلا الجود يُفني المال والجدّ مقبلٌ | ولا البخلُ يُبقي المال والجدّ مدبرُ

فقد جاء بإزاء الجود : البخل ، وبإزاء يُفني : يبقي وبإزاء مقبل : مدبر ، ومنه أيضاً قول الشاعر :

فإذا حاربوا أذلّوا عزيزاً | وإذا سالموا أعزّوا ذليلا

وقد يكون بين أربعة وأربعة ، وهو غاية ما استحسنه البلاغيون لبعده عن التكلّف، يمثّله قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

إذ قوبلت المعاني الأربعة الأولى التي تشتمل عليه الألفاظ (أعطى - اتقى - صدّق - اليسرى) بالمعاني الأربعة الثانية التي تشتمل عليها الألفاظ (بخل - استغنى - كذّب - العسرى) لأن في الاستغناء زهداً فيما

عند الله فكأنه مســتغن عنه فلم يتقه، أو أنه استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنّة فلم يتق كما ذكر القزويني[1] .

ومنه قول أبي تمام :

يا أمةً كان قبح الجور يسخطُها   دهراً فأصبحَ حسنُ العدل يُرضيها

ومما زاد على الأربعة قول الشاعر :

بواطيء فوقَ خدِّ الصبح مشتهرٍ   وطائرٍ تحت ذيلِ الليلِ مكتتم

فقابل خمسة بخمسة، والتكلفّ واضح، ويبدو أوضح عندما تتم المقابلة بين ستة وستة كما في قول الإربلي :

على رأس عبد تاجُ عزّ يزيِّنهُ   وفي رجل حرّ قيدُ ذلّ يشينه

---

[1] انظر تلخيص المفتاح : ص ٣٥٣.

- **حاول أن تفهم المقابلة في الأمثلة التالية:**

١- في الحديث الشريف: إنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه، ولا يُنزع من شيء إلاّ شانه.

٢- ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء:٥٧].

٣- ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

٤-إذا جادت الدنيا عليك فجُدْ بها على الخلق طرّاً إنّها تتقلّبُ
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلتْ ولا البخل يبقيها إذا هي تذهبُ

٥-أزورُهمْ وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياضُ الصبح يُغري بي

٦-في الحديث: إنّكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع.

٣ ـ حسن التعليل

أن يذكر المتكلم للحكم أو الأمر علّة غير العلّة الحقيقيّة له، علّة يكون بها من الطرافة ما يعكس نفسيّته تجاه الأمر، كأن يدّعي المحبّ علة للنوم غير العلّة التي فُطِر عليها الجسد، فيزعم أنه يطلب النوم من أجل أن يرى في منامه مَنْ يحبّ، وقد فهمنا هذا من قول الشاعر:

وإنّي لأستغشي وما بي نعسةٌ　　　لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا

ومن هذا البديع قول المتنبي مادحاً بدر بن عمار :

إنّما بدرٌ رزايا وعطايا　　　ومنايا وطعانٌ وضـــرابُ

ما به قتلُ أعاديه ولكنْ　　　يتّقي إخلافَ ما ترجو الذئابُ

يعني أنّه لا يقتل أعاديه ليستريح منهم فهو قد أمِنَهُمْ لسيطرته عليهم، ولكنه عوّد الذئاب عادة من إطعامه إيّاها لحوم القتلى يكره أن يخلفها ما عوّدها.

ومنه أيضاً قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها　　　يكون بكاء الطفل ساعة يولدُ

إذ علّل بكاء الطفل عند ولادته بغير العلّة الطبيعيّة التي يعرفها الناس جميعاً، فذكر أن ذلك البكاء ناتج عمّا يتوقعه الطفل من مصائب الدنيا وويلاتها، ولا شك أن هذا التعليل – بما فيه من الطرافة – يعكس نفسية ابن الرومي القائمة على كثير من التشاؤم والحزن.

ومن اللطيف في هذا الباب قول أبي تمام :

ربأ شفعت ريحُ الصَّبا بنسيمها　　　إلى الغيث حتى جادها وهو هامعُ

كأنّ السحاب الغرّ غيّبْنَ تحتها　　　حبيباً فما ترقــــا لهــــنّ مدامعُ

انظره كيف تلطَّف لمعناه، إذ جعل مطر السحاب على هذه الربا بمنزلة البكاء من ثاكل دفن محبوباً له ، فهو دائم البكاء على قبره ، فكأنّه جعل العلّة في دوام السقيا كون الحبيب تحت هذه الأرض المسقية.

ومن لطيفه أيضاً :

أرى بدر السماء يلوح حيناً   ويبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لأنّه لمّا تبدّى   وأبصر وجهك استحيى وغابا

وقول ابن المعتز :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم   من كثرة القتل نالها الوصبُ
حمرتُها من دماء من قتلتْ   والدم في النصل شاهدٌ عَجَبُ

تبيّن حسن التعليل في الأمثلة التالية:

١-ولو لم تكن ساخطاً لم أكنْ   أذمّ الزمانَ وأشكو الخطوبا
٢-سألتُ الأرض لِمْ جُعلتْ مصلّىً   ولِمْ كانت لنا طهراً وطيبا
فقالت غيرَ ناطقةٍ لأنّي   حويتُ لكلِّ إنسانٍ حبيبا
٣-نعم وقد طال تعليلُ النسيم لنا   لأنّه مرّ في آثار تُربهم
٤-أتتني تؤنّبني بالبكا   فأهلاً بها وبتأنيبها
تقولُ وفي قولها حشمةٌ   أتبكي بعينٍ تراني بها
فقلتُ إذا استحسنت غيركم   أمرتُ الدموع بتأديبها

٥-وما كلفة البدر المنير قديمةٌ   ولكنّها في وجهه أثرُ اللطم

٦-رأيتُ خضابَ المرء بعد مشيبه حداداً على شرخ الشبيبة يُلبسُ

٧-صبّحتُهُ عند المساء فقال لي ماذا الكلامُ وظنّ ذاك مزاحا

فأجبتُهُ إشراقُ وجهك غرّني حتّى توهّمتُ المساء صباحا

٤ ـ التوريـــــة

أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مراد، والثاني بعيد خفيّ هو المراد .

وفي اللغة مأخوذ من فعل (ورّى الخبر) بمعنى جعله وراءه وستره وأظهر غيره[١].

قال الزمخشري : ولا نرى باباً في البيان أدقّ ولا ألطف من هذا الباب[٢]، لدلالتـــه على حنكة المتكلم وذكائه واقتداره على الكلام، فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما خرج إلى بدر هو ومن معه : ممّن أنتم؟ فقال: من ماء، فهو عليه السلام لم يرد أن يُعلم السائل من أيّ قبيلة، لكنّ السائل فهم أنه من قبيلة ماء ، والرســـول عليه السلام أراد معنى أبعد وهو أنه مخلوق من ماء إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق:٦].

والشرح من خلال التعريف الذي ذكرناه لك قبل قليل أن (ماء) لفظ له معنيان، الأول قريب ظاهر غير مراد وهو اسم القبيلة كما فهم السائل،

١- اللسان ورّى.

٢- انظر خزانة الأدب : ١٨٦/٣.

والثاني بعيد خفي مراد وهـو المادة التي خلق الله منها الناس كما أراد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومن هذا الباب قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبـي صلى الله عليه وسلم مَنْ هذا ؟ قال أبو بكر : هادٍ يهديني، أراد: هادياً إلى الإسلام أو إلى الجنة وقد فهم السائل أنه الدليل في السفر.

ومنه شعراً قول الشاعر :

أصون أديم وجهي عن أناس — لقاء الموت عندهمُ الأديبُ

وربُّ الشعر عندهمُ بغيض — ولو وافى به لهمُ حبيـبُ

فورّى بـ (حبيب) الذي هو عكس بغيض وهو المعنى القريب غير المراد، لكنه أراد الشاعر العباسي أبا تمام حبيب بن أوس الطائي وهو المعنى البعيد المراد.

ومنه أيضاً قول السراج الورّاق في رجل اسمه ضياء :

أمولانا ضياءَ الدين دُمْ لي — وعشْ فبقاءُ مولانـا بقـائي

فلولا أنت ما أغنيتُ شيئاً — وما يُغني السراجُ بلا ضياء

فورّى بكلمتين هما السراج والضياء الواردتين في الآخر.

والتورية عند العرب ضربان مجردة ومرشحة كما ذكر القزويني[1] .

فالمجردة : هي التي لم يذكر فيها شيء من لوازم المورّى به أو المورّى عنه مثالـه قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥]، فالاستواء له معنيان، الأول الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورّى به وهو غير مراد، والثاني الاستيلاء والملك وهـو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد.

١- التلخيص: ص ٣٦٠ .

Damascus University

ومنه قول الشاعر :

كأن نيسان أهدى من ملابسه لشهر كانون أنواعاً من الحُلَلِ
أو الغزالةُ من طول المدى خرفت فما تفرّق بين الجدي والحملِ

وقعت التورية هنا في (الغزالة) و(الجدي) و(الحمل)٠

والمرشحة :

هي التي يذكر فيها شيء من لوازم المورّى به أو المورى عنه نحو قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات :٤٧]، فإن المراد بالأيدي المعنى البعيد وهو القدرة، وقد قُرِن بها ما يلائم أو يلازم المعنى القريب (المورّى به) وهو الجارحة المخصوصة (اليد) وهو قوله (بنيناها)٠

ومنها قول البحتري :

ووراء تسدية الوشاح مليّة بالحسن تملح في القلوب وتعذبُ

فـ (تملح) يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى القريب المورّى به غير المراد ، ويحتمل أن يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد ، وقد قُرِن بها ما يلائم المعنى الأخير وهو قوله (مليّة بالحسن)[1] ٠

---

١ – ذكر المحدثون للتورية أنواعاً أخرى مثل التورية المُبيّنة والتورية المهيّأة.

تأمل مواضع التورية فيما يلي واشرحها:

١-نقل الأراكُ بأنّ ريقة ثغرها من خمرةٍ مُزجتْ بماء الكوثر
قد صحّ ما نقل الأراكُ لأنّه يرويه نقلاً عن صحاح الجوهري

٢-ووادٍ حكى الخنساء لا في شجونه ولكنْ له عينان تجري على صخرِ
٣-أيها المنكح الثريّا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شاميّة إذا ما استقلّت وسهيلٌ إذا استقلّ يماني
٤-ثالثةُ البدرين في حسنها لكنّها في نسكهـــا رابعةْ
٥-ياعاذلي فيه قل لي إذا بدا كيف أسلو
يمرّ بي كلّ وقتٍ وكلّما مرّ يحلو

٦-برغم شبيبٍ فارق السيفُ كفّه وكانا على العلاّت يصطحبان
كأنّ رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسيّ وأنت يماني

٧-لحظتُ من وجنتها شامةً فابتسمتْ تعجباً من حالي
قالت قفوا واستمعوا ما جرى قد هام عمّي الشيخُ في خالي

٨-قد منعتُم صرف الدنانير عنّي ولكم في الورى هباتٌ كثيره
وأنا شاعرٌ وفي شرع نظمي صرفُها واجبٌ لأجل الضروره

٥ ـ المذهـب الكلامـــي

وهو إيراد حجّة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، أو أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال حجّة خصمه بحجّة قاطعة من حجج علم الكلام، وقد سمّاه الجاحظ بهذا الاسم[1] .

تقوم طريقته على أن يورد القائل حقيقة مسلّماً بها لدى السامع ليبني عليها المتكلّم حقيقة أخرى يريدها .

من ذلك قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، أي لو كان فـــي السماوات والأرض أكثر من إله لدبّ الفساد في نظام الكون بسبب تنازع الآلهة، لكنّ الفساد لـم يدب، فالكون منظم تنظيماً لا نظير له ، تنظيماً ليس فيه خلل وهي الحقيقة المسلّم بها لدى السامع، ثم بُني عليها حقيقة أخرى يريدها المتكلم وهي وحدانية الله عز وجل .

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج : ٥].

فالحقيقة الأولى خلقكم من تراب وهو أمر مسلّم به ، والمبنّي عليها حقيقة البعث فهو أسهل، ومنه ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

يقول النابغة معتذراً إلى النعمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبـــة   وليـس وراء اللهِ للمرء مطلبُ

١- البديع : ص ٥٣.

لئنْ كنتَ قد بلّغتَ عنّي خيانــةً لمبلغُــكَ الواشي أغشُّ وأكـــذبُ
ولكنني كنتُ امرءاً ليَ جانـــبٌ من الأرض فيه مستراد ومذهبُ
ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتُهـــم أحكَّــمُ في أموالهـــم وأقـــرّب
كفعلِك في قومٍ أراك اصطفيتَهم فلم تَرهُم في مدحهم لك أذنبــوا

يقول : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك ؛ وأنا أحســـن إليّ قوم فمدحتُهم، فكما أنّ مدح أولئك لا يعدّ ذنباً ، فكذلك مدحي لمن أحسن إليّ لا يُعدّ ذنباً .

- تدبّر المذهب الكلامي في الأمثلة التالية:

١- ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].

٢-ومذهبي في كلامي أن بعثتهُ لو لم تكنْ ما تميزّنا على الأممِ

٣- في الحديث: لو تعملون ما أعلم لضحكتُم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

٤-لولم تُحط كفُّهُ بالبحر ما شملتْ كلَّ الأنام وأروتْ قلبَ كلِّ ظمي

٥-﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [يوسف: ٢٦].

٦ ـ المزاوجـــــــــة

أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء بأنْ يترتّب على كلّ منهما معنـــىً رتِّبَ على الآخر .

وهي في اللغة المزاوجة أو الازدواج ، قال صاحب اللسان : ازدوج الكلام وتــزاوج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن وكان لإحدى القضيتّين تعلّق بالأخرى[١] .

منها قول الشاعر :

إذا ما بدت فازداد منها جمالها ... نظرتُ لها فازداد منّي غرامُها

زاوج بين ظهورها مع النظر إليها في الشرط وازدياد الجمال مع ازدياد الغرام فـــي الجواب .

ومنها أيضاً قول البحتري :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

زاوج بين الاحتراب وتذكّر القربى في الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما .

---

١ – اللسان : زوج.

تدبّر المزاوجة في الأمثلة التالية:

١-إذا تبسّم في حرب وصاح بهم يُبكي الأسودَ ويرمي اللسْنَ بالبَكَمِ

٢-إذا ما نهى الناهي فلجَ بي الهوى أصاخت إلى الواشي فلجَ بها الهجر

٣-ومن إذا خفتُ من حشري فكان له مدحي نجوتُ فكان المدح معتصمي

٤-إذا تزاوج خوف الذنب في خلَدي ذكرتُ أنّ نجاتي في مديحهمِ

٥-إذا أسفرنَ فانكسرتْ عيونٌ لهنَ فتكْنَ فانكسرتْ قلوبُ

٦-إذا أحسنتْ شهراً فسُرّ حبيبُها أساءتْ لهُ دهراً فسُرّ رقيبُها

٧ ـ المشاكلـــــــــة

هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، مثل قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠]، سمّى العقوبة سيئة لتشاكل (سيئة) الأولى.

ومنه قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

قال الزمخشري: (صبغة) فعلة من صبغ كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى تطهير الله، لأنّ الإيمان يطهّر النفوس، والأصل فيه أنّ أهـل الكتاب كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم ... فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان، وإنّما جيء بلفظ الصبغة علـــى طريقة المشاكلة[1].

يريد الزمخشري أنّ (صبغة) أقيمت مقام التطهير لمشاكلة صبغة أهل الكتاب .

وفي الحديث الشريف (فإنّ الله لا يملّ حتّى تملّوا) والأصل : فإن الله لا يقطع عنكم فضله حتّى تملّوا من مسألته فوضع (لا يملّ) موضـع (لا يقطع الثواب) على جهة المشاكلة.

ومن الشعر قوله :

قالوا اتّخذ دهناً لقلبك يشفه   قلت ادهنوه بخدها المتورّد

١- الكشاف ١/٩٧-٩٨.

ذكر (ادهنوه) لمشاكلة (دهناً).

وقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي فنجازيه على جهله ، فجعل كلمة (فنجهل) موضع (فنجازيه) للمشاكلة .

ثمّ قول الآخر :

قالوا اقترح شيئاً نُجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبّة وقميصا

تلمّس المشاكلة في الأمثلة التالية:

١- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

٢- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦)﴾ [سبأ: ١٥-١٦].

٣- قال شاعر ردّ القاضي شهادته في هلال العيد:

أترى القاضي أعمى أم تُراه يتعامى

سرق العيدَ كأنّ الـ ـعيد أموال اليتامى

٤- لا تسقني ماء الملام فإنّني صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائي

٨- مراعاة النظيـــــر

هو تناسب الألفاظ وائتلافها والتوفيق فيما بينها، أو هو أن يأتي الأديب بأمور متناسبة يحسن تجاورها ويصحّ توالي النظائر فيها، وقد يسمى المؤاخاة ، اقرأ قوله تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة : ١٦]، تجد أنّهُ عندما قُــدّم فعل الشراء روعيت الألفاظ التي تناظره وتأتلف معه وتناسبه، مثل الربح والتجــارة ، قال الزمخشري (لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويؤاخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلاً لخسارهم وتصويراً لحقيقته)[١] .

قيل في مدح آل الرسول عليه الصلاة والسلام :

أنتم بنو طه ونونٍ والضحى وبنو تبارك في الكتاب المحكمِ
وبنو الأباطح والمشاعر والصفا والركنِ والبيتِ العتيق وزمزمِ

فأتى الشاعر في البيت الأول بحسن التناسب بين أسماء السور وفي البيت الثاني بحسن التناسب بين الجهات الحجازية .

قال ابن حجة الحموي: وغاية الغايات في هذا الباب قول بديع الزمان الهمذاني يصف طول السُّرى[٢]:

لك الله من عزمٍ أجــوب جيوبه كأنّي في أجفان عين الردى كُحلُ
كأنّ السّرى ساقٍ كأنّ الكرى طِلًى كأنّا له شَرْبٌ كأنّ المنى نَقْــلُ

---

١ - الكشاف : ٣٧/١.

٢ - خزانة الأدب: ٣٣٧/٢.

كأنّا جياعٌ والمطــــيّ لنا فــــمٌ		كأنّ الفلا زادٌ كأنّ الســـــرى أكلُ
كأنّا على أرجوحةٍ في مســــيرنا		لغــورٍ بنا تهــوي ونجدٍ بنا تعلو

ومن شواهد هذا النوع المشهورة قول الشاعر :

والطلُّ في سلك الغصون كلؤلؤ		رطب يصافحهُ النسيمُ فيسقطُ
والطيرُ تقرأُ والغديرُ صحيفــةٌ		والريحُ تكتــبُ والغمامُ ينقّطُ

تدبّر المواضع التي روعيت فيها النظائر فيما يلي:

١-دع اليراعَ لقومٍ يفخرون به		وبالطوالِ الرّدَيْنِيّاتِ فافتخرِ
فهنّ أقلامك اللاتي إذا كتبتْ		مجداً أتت بمدادٍ من دمٍ هدرِ

٢-ومن عجبٍ أن يحرسوك بخادمٍ		وخُدّامُ هذا الحسن من ذاك أكثرُ
عذارك ريحانٌ وثغرك جوهرٌ		وخدك ياقوتٌ وخالك عنبرُ

٣-كأنّ السحاب الغرّ لمّا تجمّعتْ		وقد فرّقتْ عنّا الهموم بجمعها
نياقٌ ووجه الأرض قعبٌ وثلجها		حليبةٌ وكفّ الريح حالبُ ضرعها

٤-لك مجلسٌ كملتْ ستارتُنا به		للّهو لكنْ تحت ذاك حديثُ
غنّى الذبابُ وظلّ يزمّرُ حوله		فيه البعوضُ ويرقُصُ البرغوثُ

٩ ـ الإرصـــــــــاد

أن يدلك أول الكلام على آخره ، فيوحي أول البيت بقافيته في الشعر ويرشدك إليها، وهو الكلام الذي يدل بعضه على بعضٍ فيأخذ بعضه برقاب بعض، والشعر الجيد أو أكثره مبنيٌ على هذا[1] ، وقد قال الجاحظ: خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيتـــــه[2] .

وقد يسمى التوشيح وقد يسمى أيضاً التسهيم ، فمن يسمع قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

فإنه لا يتوقع في القافية إلا كلمة واحدة وهي (يسأم) فقد دلته كلمة (سئمت) فــي الصدر على (يسأم) في القافية .

ومن يسمع قول البحتري :

أحلّت دمي من غير جرم وحرّمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي

فليس الـــذي حللتــــه بمحلّــــل وليس الذي حرّمتهِ بحرام

لا يتوقع في قافية البيت الثاني إلا كلمة (بحرام) وهكذا ، وهذا النوع كثير فـــي كلام العرب .

ومنه – شعراً – قول من قال :

عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ

ومنه أيضاً :

إذا لم تســتطعْ شــيئاً فدعْـــهُ وجــاوزه إلى مــا تســـتطيع

١- انظر سر الفصاحة: ١٥٩ .

٢ - البيان والتبيين : ١١٦/١ .

ومثاله من النثر قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠].

ثُمّ من هذا النوع قول ابن الدمينة:

وكوني على الواشين لدّاء شغبةً   كما أنا للواشي ألدُّ شغوبُ
وكوني إذا مالوا عليك صليبةً   كما أنا إن مالوا عليّ صليب

انظر كيف توقّعنا في آخر البيت الأول (ألدّ شغوب) لدلالة لدّاء شغبة عليه، وكيف توقّعنا آخر البيت الثاني (صليب) لدلالة صليبة في الشطر الأول عليه.

– **انظر إلى الإرصاد في الأمثلة التالية:**

١–لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنّني   إلى الجهل في بعض الأحايين أحوجُ
فلي فرسٌ للخير بالخير مُلجمٌ   ولي فرسٌ للشرّ بالشرّ مُسرَجُ
فمن رام تقويمي فإنّي مقوّمٌ   ومن رام تعويجي فإنّي مُعوّجُ

٢–لم يكن يومنا طويلاً بنعما   نَ ولكنْ كان البكاء طويلا
٣–أليس قليلاً نظرة إن نظرتُها   إليك وكلاّ ليس منك قليلُ
٤–هُمُ سوّدوا هجناً وكلُّ قبيلةٍ   يُبيِّن عن أحسابها مَنْ يسودها

٥–ولو أنّني أعطيتُ من دهري المنى   وما كلّ من يعطى المنى بمُسَدّدِ
لقلتُ لأيّامٍ مضين ألا ارجعي   وقلتُ لأيّامٍ أتين: ألا ابعُدي

١٠ ـ حسن الابتـــداء

أن يدلك المطلع على المعنى الذي سيق لأجله الكلام، وهو أيضاً حُسْنُ المطلع وقـد يسمّى براعة الاستهلال، فإذا تأملت فواتح السور وجدتها توقظ السامعين للإصغاء إلـى ما يرد بعدها.

وإذا سمعت أول بيت من بديعية البوصيري :

أمِن تذكر جيران بذي سلَم   مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدم

عرفت أن القصيدة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام.

وإذا سمعت أول بيت من قصيدة أبي تمام في فتح عمورية :

السيف أصدق أنباء من الكتب   في حدّه الحد بين الجد واللعبِ

أدركـت أن المعنى الذي سـيقت له القصيدة هو التحريض على الفتح وذكر مناقـب العرب وانتصارهم ومدح الخليفة .

وللمتنبي في الحكمة :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني

وله في المدح :

المجد عوفي إذا عوفيت والكرم   وزال عنك إلى أعدائك الألمُ

ومن المطالع الحسنة قول الأبيوردي :

تحيّةُ مزن بات يقرأها الرعد   على منزل جرّتْ به ذيلَها دَعْدُ

Damascus University

هذا وينبغي أن يحترز الشاعر من أن يورد في بيته الأول كلمات لا تكون مطابقـــة للفأل الحسن أو ألفاظاً يُتطيَّر منها ، فقد روي أنّ ذا الرمّة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدتـــه البائية فلما ابتدأها وقال :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنّه من كلىً مفريّة سربُ

قال هشام : بل عينُك [1] .

انظر إلى الابتداءات الحسنة فيما يلي:

١-بودّي لو يهوى العذول ويعشقُ ليعلم أسبابَ الهوى كيفَ تَعلَقُ

٢-حشاشةُ نفسٍ ودّعتْ يوم ودّعوا فلم أدرِ أيّ الظاعنين أُشيّعُ

٣-أخذتْ من شبابيَ الأيامُ وتولّى الصِّبا عليه السلام

٤-ياساكني السفحِ كمْ عينٍ بكمْ سفحتْ نزحتمُ فهي بعد البُعد ما نزحتْ

٥-يذكّرني وجدي الحمامُ إذا غنّى لأنّا كلانا في الهوى يعشقُ الغُصنَا

٦-ويـــلاه من نوميَ المشـــرّدْ أوّاه من شملـيَ المُبـــدّدْ

٧-لكَ أن تُشوّقني إلى الأوطانِ وعليّ أن أبكي بدمعٍ قانِ

٨-إذا لم يُسالمك الزمان فحاربِ وباعِدْ إذا لم تنتفعْ بالأقاربِ

---

١ - سرّ الفصاحة ١٨٣.

١١ ـ حسن الانتهـــــــاء

أن ينتهي الأديب بنهاية مناسبة تطمئن المخاطب وتجعله لا يتوقع بعدها أمراً ذا بال ،

انظر كيف ختم أبو الطيب المتنبي قصيدته في مدح سيف الدولة وكان قد أمر له بفرس وجارية فقال :

فلا حطّت لك الهيجاءُ سرجاً ولا ذاقتْ لك الدنيا فراقا

هذه نهاية لا يتوقع السامع أو المتلقي ذكر شيء بعدها ،

وانظر كيف ختم النابغة الذبياني إحدى اعتذارياته بقوله :

ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعت فإن صاحبها مشارك النكد

وممّن أجاد في هذا الباب أبو نواس، فقد قال في خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب :

وإنّي جديرٌ إذ بلغتك بالغنى وأنت بما أمّلتُ منك جديرُ

فإن تولني منك الجميل فأهلُهُ وإلاّ فإنّي عاذرٌ وشكورُ

ولأبي تمّام يعتذر :

فإن يك ذنبٌ عنَّ أو تلك هفوةٌ على خطأ منّي فعذري على عمد

وإذا أردت هذا الباب في القرآن الكريم فتلمّسه في خواتيم سوره، وقف إذا شئت عند نهاية الزلزلة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ * ﴾ أو عند نهاية عبس ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ

يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ *﴾.

تأمل الانتهاءات الحسنة فيما يلي:

١- ولازالَ لك الأيّامُ ممتعةً   بالآلِ والحالِ والعلياءِ والعُمُرِ

٢-دمتم بني أيّوب في نعمةٍ   تجوز في التخليد حدّ الزمانْ

والله مازلتم ملوك الورى   شرقاً وغرباً وعليَّ الضمانْ

٣-فلازلتَ ذا مُلْكٍ جديد مؤيّدٍ   تدين لك الدنيا وتصفو لك الأخرى

فلازال للأيّام طَوْلٌ على الورى   وما الطَوْلُ إلاّ أنْ يُطيل لك العُمْرا

٤- ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الزمر:٧٥).

Damascus University

١٢ ـ حسن التخلص

أن يحسن الأديب التخلّص من معنى إلى معنى أو من غرض إلى غرض من غير أن يشعر المخاطب بذلك شعوراً يقلقه أو ينبهه على هذا الانتقال ، وممّا يستحسن في ذلك قول البحتري :

شقائقُ يحملن النـدى فكأنّـه　　دموعُ التصابي في خدود الخرائدِ
كأنّ يد الفتح بن خاقان أرفلتْ　　تليها بتلك البارقات الرواعـد

فقد وصف الروض ثمّ انتقل إلى مدح الفتح بن خاقان هذا الانتقال العذب. ومنه قول ابن بابك :

لقد نشر النيروز وشياً على الربا　　من النّور لم يظفر به كفّ راقم
كأنّ ابن عبّادٍ سقى المزن نشره　　فجاد برشّاش من الوَبل ساجمِ

وانظر كيف انتقل المتنبي إلى مديح المغيث بن علي العجلي في القصيدة التي مطلعها :

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا　　لأهله وشفى أنّى ولا كربا

فأحسن التخلص كلّ الإحسان إذ قال[1]:

مرّتْ بنا بَيْنَ تربيها فقلتُ لها　　من أين جانس هذا الشادنُ العربا
فاستضحكتْ ثم قالتْ كالمغيث يُرى　　ليثَ الشرى وهومن عجل إذا انتسبا

١- ديوان المتنبي ١/١١٨.

هذا وقد جعل ابن سنان الخفاجي هذا النوع من صحّة النسق والنظم فقال: هو أن يستمرّ الشاعر في المعنى الواحد وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلّص إليه حتّى يكون متعلقاً بالأوّل وغير منقطع عنه ... كخروج الشعراء من النسيب إلى المدح[1]... كقول محمد بن وهيب :

ما زالَ يلثمني مراشفَه وبعلّني الإبريقُ والقدحُ

حتى استردّ الليل خلعته وبدا خلال سواده قدحُ

وبدا الصباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يُمتدح

وقول أبي تمّام :

لو رأى الله أنّ في الشيب فضلاً جاورته الأبرار في الخلد شيبا

كلّ يوم تُبدي صروفُ الليالــي خُلُقاً من أبي سعيد غريبــا

تأمّل حسن التخلّص في الأمثلة التالية:

١-لولا الرجاء لمتُّ من ألم الهوى لكنّ قلبي بالرجاء موكّلُ

إنّ الرعيّة لم تزل في سيرةٍ عُمريّة مذ ساسها المتوكّلُ

٢-آهاً لقلبٍ ماخلا من لوعة أبداً يحنّ إلى زمانٍ قد خلا

ورسوم جسمٍ كاد يحرقه الجوَى لو لم تبادرْه الدموع لأشعلا

ولقد كتمتُ حديثه وحفظتُهُ فوجدت دمعي قد رواه مُسلسَلا

أهوى التذلّل في الغرام وإنّما يأبى صلاح الدين أن أتذلّلا

٣-مالي وما للقوافي لا أسيّرها إلاّ وأقعد محروماً ومحسودا

أسكرتُهُمْ بكؤوس الراح مترعة ولم أنلْ منهمُ إلاّ العرابيدا

١- سرّ الفصاحة ٢٦٨.

سمعتُ بالجود مفقوداً فهل أحدٌ يقول لي قد وجدتُ الجود موجودا
الحمد لله لا والله ما نظرتْ عيناي بعد أبي المنصور محمودا

٤–خليلّي مالي لا أرى غير شاعر فلمْ منهمُ الدعوى ومنّي القصائدُ
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرة ولكنّ سيف الدولة اليوم واحدُ

١٣ ـ المبالغـــــــة

أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته، أو هي ادّعاء بلوغ وصف في الشدّة أو في الضعف حدّاً مستحيلاً أو بعيداً ... والعلماء فيها ثلاثة :

فريق رافض لها لمجافاتها الصدق ناظراً إلى قول حسان بن ثابت :

وإنّما الشعر لبّ المرء يعرضه على المجالس إنْ كيساً وإنْ حمقا
وإنّ أشعر بيت أنت قائلـــــه بيتٌ يقال إذا أنشدته صـــدقا

وفريق يقبلها مطلقاً ناظراً إلى فكرة كانت سائدة لديهم وهي : أعذب الشعر أكذبه،

وفريق يقبل حسنَها، ناظراً إلى وقوعها في القرآن الكريم ويرفض ما يتّجه منها نحو الكذب والغلو، أو ناظراً إلى ورودها في الشعر شعر المدح والتكسب وما يدور في فلكه •

وجمهور العلماء ينضم تحت لواء الفريق الثالث •

من أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج: ٢].

فلو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بياناً حسناً وبلاغة كاملـــــة، وإنّما خصّ المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها ، وأشفق به لقربه منها ، ولزومها له لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً وعلى حسب القرب تكون المحبة والألفة [1] .

والمبالغة ثلاثة أنواع : (تبليغ وإغراق وغلو) .

التبليغ : أن يكون المدّعى ممكناً عقلاً وعادة كقول امرىء القيس في وصف الفرس :

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكاً فلم ينضح بماء فيُغسَلِ

يقول: إن فرسه أدرك ثوراً وبقرة وحشيّين في مضمـــار واحد ولم يعرق، وهذا الادّعاء كما يُرى ممكن عقلاً وممكن عادة.

ومنه قول ابن الرومي يذم بخيلاً :

لو أنّ قصرك يابنَ يوسفَ مُمْتَلٍ إبَراً يضيق بها فِناء المنزلِ

وأتاك يوسفُ يستعيرك إبـــــرةً ليخيطَ قَدّ قميصِهِ لم تفعَـــلِ

الإغراق : أن يكون المدّعى ممكناً عقلاً ولم تجر العادة به ، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث ما لا

---

١ – الصناعتين : ٤٠٣.

ادّعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلاّ وهو يتبعه الكرم سواء أكان ذلك في قربه أم كان في بعده ، وهذا ممكن عقلاً كما قلنا لك لكن عادة الناس ألا يفعلوا ذلك .

ومنه قول المتنبي :

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل	لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

الغلّــــو: أن يكون المدعى غير ممكن لا في العقل ولا في العادة، كقول أبي نواس فـــي مدح الرشيد :

وأخفت أهل الشرك حتّى إنّه	لتخافك النطف التي لم تُخلقِ

فلا العقل يقبل مثل هذه الإخافة ولا العادة جارية بها .

ومن الغلو قول النابغة الذبياني :

أليس عجيباً بأنّ امرءاً	شديد الجدال دقيق الكلـــمْ
يموت وما علمتْ نفسُهُ	سوى علمه أنّه ما علـــمْ

قال القزويني (١) :

المقبول من الغلو ما أدخل عليه ما يقرّبه إلى الصحة نحو (يكاد) في قوله تعالــــى : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور : ٣٥].

١- التلخيص : ٣٧٣.

انظر إلى المبالغة في الأمثلة التالية:

١–وعاديةٍ إلى الغارات ضبحاً تريك لقدح حافرها الشهابا
إذا ما سابقتْها الريح فرّتْ وألقتْ في يد الريح الترابا

٢–سلبتِ عظامي لحمها فتركتِها عواريَ في أجلادها تتكسّرُ
وأخليت منها مخّها فتركتها أنابيب في أجوافها الريح تصفرُ
خذي بيدي ثمّ ارفعي الثوب فانظري ضنى جسدي لكنّني أتستّرُ
وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنّها نفس تذوب فتقطرُ

٣–فاشربْ على زهر الرياض يشوبه زهرُ الخدود وزهرةَ الصهباء
من قهوةٍ تُنسي الهموم وتبعثُ الشـــوق الذي قد ضلّ في الأحشاء
يُخفي الزجاجة لونُها فكأنّها في الكفّ قائمةٌ بغير إناء

٤–إذا ما سرى فرداً لفرط جلاله يقول الورى: قد سار جيشٌ عرمرمُ

٥–كأنّي هلالُ الشكّ لولا تأوّهي خفيتُ فلم تَهدَ العيونُ لرؤيتي
٦–فلمّا شربناها ودبّ دبيبُها إلى موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة أن يسطو عليّ شعاعُها فيطلعَ ندماني على سرّي الخفي

١٤- اللف والنشر

هو ذكر متعدّد على التفصيل أو الإجمال، ثمّ ما لكلّ واحد من غير تعيين، ثقة بأنّ السامع يردّه إليه[١].

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ [القصص: ٧٣]، فالسكون في تسكنوا راجع إلى الليل والابتغاء من فضل الله راجع إلى النهار.

وهذا اللون البديعي نوعان مرتّب وغير مرتّب.

فالمرتّب: أن يكون الأول من المتعدّد في النشر عائداً إلى الأول من المتعدّد من اللفّ، والثاني للثاني، كما في قول الشاعر:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجومُ
فيها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجومُ

أرجع معالم الهدى إلى الآراء، والمصابح للوجوه، والرجوم للسيوف.

ومنه قول الشاعر:

رأى جسدي والدمع والقلب والحشا فأضنى وأفنى واستمال وتيّما

كما أنّ منه قول الشاعر:

ألست أنت الذي من ورد نعمته وورد راحته أجني وأغترفُ

وقول الآخر مورّياً:

سألتُه عن قومه فانثنى يعجب من إفراط دمعي السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى فقال ذا خالي وهذا أخي

١- التلخيص: ص ٣٦١.

وغير المرتّب:

أن يجيء النشر فيه على غير ترتيب اللفّ كما في قول الشاعر:

كيف أسلو وأنت حقف وغصنٌ وغزالٌ لحظاً وقدّاً وردفا

إذ أرجع اللحظ إلى الغزال والقدّ إلى الغصن وأرجع الردف إلى الحقف ولم يرتّب. والمرتّب عندهم هو المقدّم لأنّه يدلّ على بلاغة صاحبه وقدرته.

تتبّع مواضع اللفّ والنشر في الأمثلة التالية:

١–ما عاينت عيناي في عطلتي أقلُّ من حظّي ولا بختي

قد بعْتُ ثوبي وحماري وقد أصبحت لا فوقي ولا تحتي

٢– يارثقةً يــــاخصَرَةْ مَنْ لي بنجدٍ أو تِهامه

٣– لاتخف عيلةً ولا تخشَ فقراً يا كثير المحاسن المختـالـه

لك عينٌ وقامةٌ في البرايــــا تلك غزّالـــةٌ وذي فتّـــاله

٤–فعلُ المدام ولونها ومذاقهــا من مقلتيه ووجنتيه وريـقهِ

٥– ولمّا أبى الواشون إلاّ فراقنا ومالهُمْ عندي وعندك من ثار

غزوتُهُمْ من مقلتيك وأدمــــعي ومن نفَسي بالسيف والسيلِ والنار

٦–وجدي حنيني أنيني فكرتي ولَهي منهمْ إليهمْ عليهمْ فيهِم بِهِم

١٥- تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه

أولاً: تأكيد المدح بما يشبه الذم:

أن تمدح ثم تأتي بأداة استثناء فيتوهم المخاطب أنك ستلجأ إلى الذم، فيفاجأ بتأكيد ذلك المدح كما تقول: زيد رجل كريم غير أنّه شجاع مقدام، ومن هذا قول الرسول عليه السلام (أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش).

قال النابغة الذبياني:

فتى كملتْ أخلاقه غير أنّه ... جواد فما يبقي من المال باقيا

وقال ابن الرومي:

وما تعتريها آفة بشرية ... من النوم إلا أنّها تتخيّر

كذلك أنفاس الرياض بسحرة ... تطيب وأنفاس الأنام تغيّر

وقال غيره مادحاً:

ويعدلُ في شرق البلاد وغربها ... على أنّه للسيف والمال ظالمُ

ومن البديع في هذا الباب:

ولا عيب فينا غير أنّ سماحنا ... أضرّ بنا والبأسَ من كلّ جانبِ

فأفنى الردى أعمارنا غير ظالمٍ ... وأفنى الندى أموالنا غير عائبِ

أبونا أبٌ لو كان للناس كلّهم ... أباً واحداً أغناهمُ بالمناقبِ

ثانياً: تأكيد الذم بما يشبه المدح:

وهو أن تذمّ ثمّ تأتي بأداة استثناء فيتوهم المخاطب أنّك ستمدح فيفاجأ بتأكيد الذّم كما في قول الشاعر:

فإنّ مَنْ لامني لا خير فيه سوى		وصفي له بأخسّ الناس كلّهمِ

وقول غيره:

لئيم الطباع سوى أنّه		جبان يهون عليه الهوانُ

وقول آخر:

صديق الغواني كثير الأعادي		سوى أنّه قاتل محترفٌ

اقرأ مواضع المدح بما يشبه الذم، ومواضع الذمّ بما يشبه المدح فيما يلي:

١-فتىً لم تسافر عنه آمالُ آملٍ		وليس لها إلاّ إليه إيابُ
ولا عيب فيه لامرئٍ غير أنّهُ		تعابُ له الدنيا وليس يُعابُ
٢-أتوني فعابوا مَنْ أحبُّ جهالةً		وذاك على سمع المحبِّ خفيفُ
فما فيه عيبٌ غير أنّ جفونَهُ		مراضٌ وأنّ الخصر منه ضعيفُ
٣-ولا عيب فيهم ظاهرٌ غير أنّني		حسبتُهُمُ -لمّا نزلتُ بهم- أهلي
٤-هو الثغر إلاّ أنّه الفجر طالعاً		على أنّه الكافور لكنّه البدرُ
٥-ذات الوشاح الذي تهبّ به		كهودج الوحش في الملاقاةِ
ما فيكِ شيءٌ من الجمال سوى		أنّكِ من أقبحِ القبيحاتِ

١٦- تجاهل العارف

وهو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة[1] مثل:

- الذمّ: كما في قول زهير بن أبي سلمى:

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

فهو - كما ترى- يستهزئ بهم في الشطر الثاني بعدما توعدهم بأنّه سيبحث عن حقيقة أمرهم.

- التعريض كما في قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾.

-قال الزمخشري: (وهذا من الكلام المنصف الذي كلّ من سمعه من موالٍ أو منافٍ قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، ..... ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق منّي ومنك، وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسّان:

- أتهجوه، ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء[2]

-التحقير: كقوله تعالى (حكاية عن الكفار): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ:٧] كأنّهم لم يعرفوا منه إلاّ أنّه رجل ما.

- التدلّه في الحبّ، كقول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ... ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر

- التوبيخ، كما في قول ليلى بنت طريف وهي ترثي أخاها:

١- تلخيص المفتاح ٣٨٥.

٢- الكشاف ٣/٢٥٩.

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتىً لا يريد العزّ إلاّ من التقى ولا الرزقَ إلاّ من قناً وسيوفِ

تبيّن مواضع تجاهل العارف فيما يلي:

١-أجفونٌ كحيلةٌ أم صفاحٌ وقدودٌ مهزوزةٌ أم رماحُ

٢-أثغركِ ياهندُ أبدى ابتساما أم البرقُ سلّ علينا حُساما

٣-أهذه سيرةٌ في المجد أم سُوَرٌ وهذه أنجمٌ في السعد أم غُرَرٌ
وأنملٌ أمْ بحارٌ والسيوفُ لها موجٌ وإفرندها في لجّها دُرَرٌ
وأنت في الأرض أم فوق السماء وفي يمينك البحرُ أم في وجهك القمرُ

٤-بدا فراع فؤادي حسنُ صورتِهِ فقلتُ هل ملِكٌ ذا الشخصُ أم ملَكُ

٥-أوميضُ برق بالأبيرق لاحا أم في ربا نجدٍ أرى مصباحا
أم تلك ليلى العامريّة أسفرتْ ليلاً فصيّرتِ المساء صباحا

من البديع اللفظي

المحسِّنات اللفظيَّة

المحسنات اللفظية: هي التي يكون التحسين فيها أو التجميل عائداً إلى اللفظ أصلاً، وإن تَبعَ ذلك تحسينُ المعنى فإنَّه غير مقصود. وسنتناول في هذا القسم المحسنات اللفظية الآتية:

١- الجناس	٨- الموازنة
٢- رد العجز على الصدر	٩- الاقتباس
٣- السجع	١٠- التضمين
٤- الموازنة	١١- العقد
٥- المماثلة	١٢- الحلّ
٦- التسميط	١٣- التلميح
٧- لزوم ما لا يلزم	

١- الجناس

يُقال له التَّجنيس، والتجانس، والمُجانسة. وهو من أشهر المحسنات اللفظية ولعله زينتها.

والجناسُ لغةً: من الجِنس: الضَرْبُ من كل شيء، وهو من الناس، ومن الطير، ومن حدود النحو والعروض، ومن الأشياء جملة. ويقال: هذا يجانس هذا، أي يشاكله ويطابقه في الجنس. وجنس الشيء: أصله الذي اشتُق منه، وتفرّع عنه.

و **الجناس اصطلاحاً**: تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى. وسبب هذه التسمية يعود إلى أنّ تركيب حروفِ ألفاظِه من جنسٍ واحد. وهو نوعان: تام ، وغير تام.

أولاً: الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور:

١- نوع الحروف.   ٣ - هيئة الحروف (حركاتها وسكناتها).

٢- عدد الحروف.   ٤- ترتيب الحروف.

والجناس التام ثلاثة أنواع:

١- **المماثل أو المتماثل:** وهو ما اتفق لفظاه في الاسمية أو الفعلية أو الحرفية.

أ- مثال الاتفاق في الاسمية، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم:٥٥]، حيث وقع الجناس التام المماثل هنا بين لفظي (ساعة)، وهما اسمان متماثلان في الأمور الأربعة التي ذكرناها مع تباين معنييها؛ فالساعة الأولى بمعنى (القيامة)، والثانية بمعنى الساعة من الزمن، أو (مطلق الوقت).

وكقول البحتري:

إذا العينُ راحتْ وهي عينٌ على الهوى   فليسَ بسرٍّ ما تُسِرُّ الأضـالعُ

(العين) الأولى بمعنى (العين الناظرة)، والثانية بمعنى (الجاسوس).

ب-ومثال الاتفاق في الفعلية؛ أي ما كان لفظاه فعلين قول أبي محمد الخازن:

قومٌ لو أنَّهُمُ ارتاضُوا لما قَرَضُوا   أو أنَّهم شعروا بالنقصِ ما شَعَروا

(شعروا) الأولى فعل بمعنى أحسُّوا، والأخرى فعل بمعنى (نظموا الشِّعْر).

ومنه القول: (لو هَويتَ الاجتهادَ ما هويت) فـ (هويت) الأولى بمعنى الحب والميول، والأخرى بمعنى السقوط والفشل.

جـ- مثال الاتفاق في الحرفية؛ أي ما كان لفظاه حرفين قولهم: (مِنَ النَّاس مَنْ يعملُ مِنْ شروق الشمس حتى غروبها)، فالجناس المماثل هنا في حرفيِّ (مِن)، الأوّل يُفيدُ (البعض)، والثاني: يُفيدُ معنى الابتداء.

والحقُّ أنَّ هذا النوع نادرُ الوقوع، وهذا ما أكَّده الصَّفديُّ بقوله: "وهذا القسم لا يُمكن تصوُّره، لأنَّ الحروف معلومةُ الصيغ مضبوطةٌ، فلا يتفق ورود كلمتين قد تساوت حروفهما وصياغتهما في الكلام العربي، كما تقدم في اتفاق الاسم والاسم، والفعل والفعل"[1].

٢-الجناس المُستَوفَى:

ويُقال له (المستوفي)، وهو ما كان لفظاه من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة، كأن يكون أحدهما فعلاً والآخرُ اسماً، أو أن يكون أحدهما حرفاً والآخرُ اسماً أو فعلاً.

أ- فالاسم والفعل كقول الشاعر في رثاء صغير له يُدعى يَحيى:

وسَمَّيْتُهُ يَحْيى ليَحيا فلَـم يَكُنْ ... إلى ردِّ أمْـرِ اللهِ فيــه سَبِيــلُ

(يحيى) الأولى اسم الفقيد، والأخرى فعل مضارع من الحياة.

ومثله قول الشاعر:

إنَّ للوَجْدِ في فؤادي تَراكُـم ... ليتَ عَيْنِي قَبْلَ المَمَاتِ تَراكُـمْ

ومنه نثراً قولهم: (ارعَ الجارَ ولو جار).

ب- والفعل والحرف: وهذا النوع قليل الوقوع، يُمثله قول الشاعر:

ولو أنَّ وَصْلاً عَلَّلوه بِقُرْبِهِ ... لما أنَّ من حَمْلِ الصَّبَابَةِ والجَوَى

جانس بين (أنَّ) الأولى، وهي حرف مُشبه بالفعل و(أنّ) الأخرى وهي فعلٌ من الأنين. ومنه قول الآخر :

علا نجمُه في عالم الشِّعْرِ فَجْأَةً ... على أنَّهُ ما زالَ في الشِّعرِ شادِيَا

(علا) الأولى فعل ماض من العُلُوِّ والارتفاع، والأخرى حرف جر.

١- جنان الجناس /٢١.

ج- والاسم والحرف: وهذا النوع أيضاً قليل، يُمثله قول الرسول ﷺ: (إنَّك لن تُنفقَ نفقةً تَبْتَغِي بها وَجْهَ الله تعالى إلا أُجِرْتَ بها حتّى ما تجعل في في امرأتك). فالجناس المستوفي بين لفظي (في)، الأول حرف، والآخر اسم بمعنى (الفم).

٣- جناس التركيب:

وهو ما كان فيه اللفظان المتجانسان مركبين، أحدهما أو كلاهما .

فالنوع الأول، وهو ماكان فيه اللفظان مركبين، ويسمونه الجناس الملفَّق. كقول الشاعر:

فلم تُضِع الأعادي قَدْرَ شاني ولا قالوا: فُلانٌ قَدْ رَشاني

جانس بين (قدر شاني) المركب من كلمتين (قدر) بمعنى المكانة، و(شاني) بمعنى حالي، وبين (قد رشاني) الثانية، وهي مركبة كذلك من كلمتين، من (قد): حرف معناه التحقيق، و(رشاني): فعل بمعني أعطاني رشوة.

والنوع الثاني: وهو ما كان فيه أحدُ اللفظين مركباً والآخر كلمة واحدة، وهو يأتي على ثلاثة أنواع: متشابه، ومفروق، ومَرْفُوّ.

أ-المتشابه أو (المقرون): وهو ما تشابه رُكناه لفظاً وخطاً، كقول البستي:

إذا مَلِكٌ لم يكُنْ ذا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُه ذاهِبَهْ

جانس بين (ذا هبه)؛ الأولى وهي مركبة من كلمتَين، من (ذا) بمعنى صاحب، و(هبه) بمعنى العطاء. والثانية كلمة واحدة بمعنى الذهاب أو الزوال.

ب-المفروق: وهو ما تشابه ركناه لفظاً لا خطاً، وسُمي مفروقاً لافتراق اللفظين في صورة الكتابة. ومثالنا عليه قول الشاعر:

لا تَعْرِضَنَّ على الرُّواةِ قصيدةً ما لم تكن بالَغْتَ في تَهْذيبها

فإذا عَرضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ   عَدُّوهُ مِنْكَ وَساوِساً تَهْذي بِها

فالجناس المفروق هنا بين اللفظين (تهذيبها) و(تهذي بها)، وهما متشابهان لفظاً لا خطّاً، مع اختلافهما في المعنى.

ونظيره قول الشاعر :

طَرقتُ البابَ حتّى كَلَّ متني   فلمّا كلَّ متّني كلَّمتني

جـ-المرَفُوّ: وهو ماكان أحدُ ركنيه كلمة واحدة، والآخر مركباً من كلمة وبعض كلمة أخرى. ومثاله قولُ الحريري:

والمكرُ مهْما اسْطَعْتَ لا تأتِهِ   لِتَقْتَني السؤدُدَ والمَكْرُمَه

فالركن الأول من الجناس مكون من كلمة (مكر) + جزء من كلمة أخرى هو (مه) من مهما، والركن الثاني قوامُه كلمة مستقلة هي (المكرمه).

ومن هذا النوع قولُ الحريري أيضاً:

ولا تلْهُ عن تَذْكارِ ذَنْبِك وابْكِهِ   بدَمْعٍ يُضاهي المُزْنَ حالَ مَصابه

وَمثِّلْ لِعيْنيكَ الحِمامَ وَوَقْعَــهُ   ورَوْعَةَ مَلْقاهُ ومَطْعَمَ صابِــهِ

ثانياً: الجناس غير التام:

وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في واحدٍ من الأمور الأربعة السابقة: نوع الحرف- عددها- هيئتها- ترتيبها.

١- الجناس غير التام الواقع في نوع الحروف:

ويُشترط فيه ألاَّ يقع الاختلافُ بأكثر من حرف واحد، فإن وقع باثنين أو أكثر مثل: (نصر ونكل)، و(ضرب وفرق)، و(نضب وسلب)، لم يكن من الجناس، لبعد ما بينهما من التشابه الجناسي.

ويأتي هذا الجناس على ضربين: مضارع ولاحق.

أ- **الجناس المضارع**: وهو ما كان حرفاه المختلفان متقاربين في المخرج، ويكونان في أول اللفظ، أو في وسطه، أو في آخره.

فالأول كقول الحريري:

"بيني وبين بَنِّي ليلٌ دامسٌ وطريقٌ طامس". فالدال في (دامس)، والطاء في (طامس) مختلفان في النوع، لكنهما متقاربان في المخرج، وهما في أول الكلمة.

والثاني: أي ما كانا في وسط اللفظ، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]. فالحرف الثالث في كلمة (ينهون) هو الهاء، ونظيره في كلمة (ينأون) هو الهمزة؛ فهما مختلفان في النوع، ومتقاربان في المخرج.

والثالث: أي ما كانا في آخر اللفظ كقوله ﷺ: "الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة". اللام في (الخيل) والراء في (الخير)، متقاربان في المخرج، وقد وقعا في نهاية الكلمة.

ب- **الجناس اللاحق**: وهو ما كان الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متباعدين في المخرج، ويقعان في أول اللفظ، أو في وسطه، أو في آخره.

فالأول؛ أي ما جاء في أول اللفظ، قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١] ؛ فالهاء في (همزة)، واللام في (لمزة) واقعتان في أول الكلمة، وهما متباعدان مخرجاً.

والثاني؛ أي ما جاء في وسط اللفظ، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:٩-١٠] فالجناس واقع بين (تقهر) و (تنهر) وهما مختلفان في حرف واحد فيهما تباعد في المخرج واقع في وسط الكلمة.

والثالث: أي ما جاء في آخر اللفظ، قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ [النساء: ٨٣]، فالراء في (أمر) والنون (أمن) متباعدان مخرجاً، وقد وقعتا في آخر الكلمة.

٢- الجناس غير التام الواقع في عدد الحروف:

ويسمونه جناساً ناقصاً؛ لنقصان حروف أحد اللفظين عن الآخر، واتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب.

وهو ثلاثة أنواع: مُطرَّف، ومُكْتَنَف، ومُذَيَّل.

أ- **المُطرَّف**: وهو ما كانت الزيادة في أحد لفظيه في أول اللفظ، كقوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠]. فالجناس في لفظي (الساق والمساق)، وقد زيدت (الميم) في أول اللفظ الثاني، وهي في أول الكلمة.

ب- **المُكْتَنَف**: وهو ما كانت الزيادة فيه في وسط اللفظ، ومثاله القول: (لم يخلق الله داءً إلا وخلق له دواء). زيدت الواو وسطاً في الثاني.

ج- **المُذَيَّل**: وهو ما كانت الزيادة فيه في آخر اللفظ ومثاله قول حسّان بن ثابت:

وكنّا متى يغزُ النبيُّ قبيلةً ... نصل جانبيها بالقَنا والقَنابِلِ

فالجناس المذيّل واقع بين اللفظين (القنا) و(القنابل)، لزيادة الثاني عن الأول بحرفين هما (الباء واللام).

٣- الجناس غير التام الواقع في هيئة الحروف:

وهو نوعان: مُحرَّف ومُصَحَّف.

Damascus University

أ- **الجناس المُحَرَّف**: وهو ما اختلف فيه اللفظان بالضبط؛ أي بالحركات والسكنات، نحو قول الرسول ﷺ: "اللهم كما حسَّنت خَلْقي فحسّن خُلُقي"، فالجناس واقع بين (خَلْقي) بفتح القاف، و(خُلُقي) بضمها.

ب- **الجناس المُصَحَّف**: وهو ما اختلف فيه اللفظان في النقط لا غير، بحيث لو أزيل إعجام أحدهما (نقطة) أو كليهما لم يُميَّز أحدهما من الآخر، كقول الشاعر:

من بَحْرِ جُودِكَ أغترِفُ   وبفضلِ علمكَ أعتَرِفُ

فالجناس في اللفظين (أغترف) و(أعترف) إذ لا خلاف بينهما إلاّ بالنقط، وكان الاتفاق تاماً في ماعدا ذلك.

٤- الجناس التام الواقع في ترتيب الحروف:

ويسمونه جناس القلب، ويكون الاختلاف فيه واقعاً في ترتيب الحروف. ويأتي على أربعة أنواع: قَلْبُ كُلٍّ- قَلْبُ جُزْءٍ- قَلْبُ بعضٍ- مُجنَّح- مُستَوٍ.

أ- **القلب الكُلِّيُّ**: وهو ما انعكس فيه ترتيب حروفه تماماً. نحو قول الشاعر:

حُسامُكَ فيه للأحبابِ فَتْحُ   ورُمْحُكَ فيه للأعداءِ حَتْفُ

فبين (فتح) و (حتف) جناس غير تام واقع في ترتيب الحروف، ونوعه قَلْب كلِّي، لأن (حتف) مقلوب (فتح).

ب- **قلب بعض**: وهو ما انعكس فيه ترتيب الحروف جزئياً؛ نحو القول: "رَحِمَ الله امرأً أمسَكَ ما بين فكَّيه وأطلق ما بين كفَّيْه". فبين (فكيه) و(كفيه) قلب بعض، لاختلاف اللفظين في ترتيب بعض الحروف، مع اتفاقهما في عدد حروفهما.

ج- **المُجنَّح**: وهو ما كان أحدُ اللفظين المتجانسين المقلوبين في أول البيت من الشعر، أو الفقرة من النثر، والآخر في آخر البيت، أو في آخر الفقرة.

وسُمي كذلك لأن اللفظين صارا للبيت كالجناحين للطائر في وقوعهما متوازيين من الطرفين المتقابلين. ومن أمثلته قول الصفدي:

قدْ لاحَ أنوارُ الهُدى   في كفِّهِ في كُلِّ حالْ

حيث الجناس في اللفظين (لاح) و(حال)، وهما واقعان في طرفي البيت.

د- المُستوِي: وهو ما يُمكن فيه قراءةُ ألفاظ البيت أو العبارة طرداً وعكساً دون أي تغيير في المعنى. نحو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء:٣٣]، و﴿رَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:٣]، إذ يُمكن قراءة كلِّ آيةٍ معكوسة من البداية إلى النهاية والعكس أيضاً دون أي تغيير في اللفظ أو في المعنى.

ومنه شعراً قول الشاعر:

أرانَـــا الإلـــه   هِـــلالاً أنـــارا

ملحقات الجناس

يُلحق بالجناس ثلاثة أنواع:

١- الجناس المُزدوَج: ويسمى كذلك المردَّد أو المُكرَّر ، وهو أن يأتي اللفظان المتجانسان متتاليين دون فاصل بينهما، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [الحشر:١١]، وقولهم: (من جَدَّ وَجَد، ومَنْ لجَّ وَلَج).

٢- جناس الاشتقاق: وهو أن يجمع الاشتقاق بين اللفظين، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:٧٩].

فالجناس واقع في لفظي (وجهت) و (وجهي) وقد جمعهما أصل لغوي واحد هو (وجه). ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم:٤٣]، وقوله: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة:١٢٧]، ومنه قوله ﷺ: "ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً"، وقوله أيضاً: "الظلم ظُلمات يوم القيامة".

٣- **شبه جناس الاشتقاق**: وهو ما يُشبه الاشتقاق وليس منه، والفرق بينهما أن معنى المشتق يرجع إلى أصل واحد كما مرّ، فكلُّ ركن منهُ يباين الآخر في المعنى، لذلك عدّهُ بعض العلماء في الجناس لا في الملحق، لأن اللفظين فيه متشابهان مع اختلافهما في المعنى.

ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]؛ فالجناس في اللفظين (قال) و(قالين)، الأولى مشتقة من القول بمعنى الكلام، والأخرى من البُغض والكراهية.

ومنه شعراً قول البحتري:

وإذا ما رياحُ جُودِكَ هَبَّتْ   صارَ قَوْلُ العَذولِ فيها هَباءَ

فالجناس هنا بين لفظي (هبت) و(هباء) وهما مختلفتان اشتقاقاً وإن تشابهتا لفظاً؛ إذ الأولى (هبت) من الهبوب، وهو حركة الرياح، والآخر (هباء) من الهَبابِ، وهو الغُبار المتطاير.

Damascus University

بلاغة الجناس وجمالياته

ترجع بلاغة الجناس وجماليته إلى أنه يثير إعجابنا من عدة نواحٍ، منها:

١- **ناحية التماثل في الصورة:** فالجناس نظام تماثل وانسجام، والنفوس تميل بالفطرة إلى اقتران الأشباه والنظائر بعضها ببعض، وتماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً، وهذا مما يأنس له الذوق، وتستكين إليه النفس، وتهتز له القلوب طرباً وفرحاً.

٢- - **ناحية ما يحويه كل ركن من المعنى الأصلي:** فاللفظ المذكور إذا حُمل على معنى، ثم جاء والمراد به معنى آخر، كان للنفس تشوق إليه، حيث يُوهم الجناس أنه يعرض على السامع اللفظ مردداً، والمعنى مكرراً لا يجني المتلقي منه غير التطويل والسآمة، فإذا هو يأتي بمعنى مستحدث يغاير ما سبقه كل المغايرة، فتأخذ الدهشةُ السامعَ ويشعر كأنّه حصل على كسب لم يتوقعه؛ فيعيش لحظة متعة ودهشة لتلك المفاجأة التي لم تقع في حسابه.

وهذا التلاعب الأخّاذ الذي يلجأ إليه المُجَنِّس لاجتلاب الأذهان، واختراع الأفكار يبيّنه عبد القاهر بقوله: إنه عندما يعيد اللفظة عليك "كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووفّاها"(١).

ومعنى كلام عبد القاهر أن الجناس لا يكون مقبولاً إلا إذا أفاد معنًى مقبولاً، وأن ما "يعطي التجنيس من الفضيلة أمرٌ لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مُستحسن، ولما وجد فيه إلاّ مُعيب مُستهجن"(٢).

١- أسرار البلاغة /٥.

٢- نفسه /٥.

Damascus University

فالمهم هنا هو رِقة الألفاظ وانسجامها، وحسن الصياغة، وصواب المعنى، والبراءة من التكلف والتعقيد، وجريانه على الطبع المواتي، وهذا ما أكّده بقوله: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته – وإن كان مطلوباً – بهذه المنـزلة، وفي هذه الصورة، وذلك كما يمثلون به أبداً من قول الشافعي رحمه الله تعالى – وقد سُئل عن النبيذ – فقال: (أجْمَعَ أهلُ الحرمين على تحريمه)، ومما تجده كذلك قول البحتري:

يَعْشَى عن المجد الغبيُ ، ولن ترى في سُؤددٍ أرَبا لِغَيْرِ أرِيب

وقوله:

ما زلْتَ تقرعُ بابَ بابَكَ بالقَنَا وتزوره في غارةٍ شَعْواءِ[٣]"

فالعرب إنما تُحسّنُ ألفاظها وتزخرفها وتنمقها عناية منها بالمعاني التي تحدّها، وكأن الكلام في حاجة إليها وإن شئت فقل لا ينبو عنها، بحيث إذا حُذف منه لم يكن له من الرونق والبهاء ما كان له من قبل. فالمزية لهما جميعاً، لا يؤثر أحدهما أن ينفرد بالأفضلية دون صاحبه.

وهذا ما قرره عبد القاهر بقوله: "أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى بعيداً، أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله:

ذهبت بمذهبه السّماحة فالتوت فيه الظُّنونُ: أمَذْهَبٌ أم مُذْهَبُ (١)

٣- نفسه /٧-٨.

واستحسنت تجنيس القائل: "حتى نجا من خوفه وما نجا"[٢]، وقول المحدث:

ناظراه فيما جنى ناظراه   أو دعاني أمُت فيما أودعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني؟ ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا سجهولة منكرة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة، كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها" [٣].

فأما حين يكون الجناس متكلفاً ومجتلباً، فإنه يثقل على السمع ويسمج في النفس، وتنفر منه الطباع، وتأباه النفوس؛ لأنه جاء مصطنعاً خالياً من ومضات الوحي، وسماحة الاسترسال.

ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام:

فاسلم سَلِمتَ من الآفات ما سَلِمت   سِلامُ سلمى ومهما أورق السَّلَم [٤]

وقول الحريري:

وازورَّ من كان لهُ زائراً   وعافَ عافي العُرْفِ عِرْفانَهُ

وقول الأعشى:

وقد غَدَوتُ إلى الحانوت يتبعني   شاوٍ مِشَلٌ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

فلا مراء في أن مثل هذا التجنيس غاية ما يصل إليه التصنّع والتكلُّف، وأنّ سماعَه مفسدَةٌ للذَّوق، وخدشٌ للحاسة الفنية.

---

١ – المذهب: بالفتح: المعتقد والطريقة، وبالضم: شيطان الجنون.

٢ – نجا الأولى بمعنى أحدث، والثانية بمعنى خلص.

٣ – أسرار البلاغة ١/٤-٥

٤ – السِّلام: الحجارة، وسلمى: اسم جبل، والسَّلَم: بفتح السين واللام: شجر.

٣- ناحية قدرته على رفد المجنس بأدوات "التجنيس المناسبة؛ فاللغة العربية لغة أناقةٍ وجزالة ومبالغة وتهويل، وفيها يتلاقى كثير من المعاني على اختلاف أصولها ومبانيها، وهذا يجعلنا نحكم بأن هذه اللغة في طاقتها وحيويتها تعين المُجنِّس على بلوغ الشأو منه، فتزداد بذلك حجته قوة وإقناعاً وتأثيراً، ويستطيع المبدعون في الشعر والنثر أن يستغلوه خير استغلال في إحداث الاستجابة الفنية المنشودة بين المتكلم والمتلقي.

يقول صلاح الدين الصفدي يذكر فضل الجناس: "... تشهد الخطباء له بفضل جماعته وجمعته، وتعترف الشعراء برفع محلِّه ومحلِّ رفعته، وتدخل به الألفاظ الفصيحة الأُذنَ بغير إذنٍ، لشفاعة حقه وحق شفعته، فله في كل خلوة جلوة، وفي كل خطوة حظوة، إن دخل في خطبة توّجها، أو قصيدة دبّجها، أو شبهة روّجها..."[1].

وهذا كله يؤكده شغف العربي بهذا اللون من الكلام، ودليل ذلك كثرة شواهده في الأدب العربي قديمه وحديثه.

٤- **ناحية الجرس الموسيقي**: فمن المعروف أن العربية لغةُ زُخرف وأناقة، والنغم والوزن من أبرز سماتها، وقد شغف العربي كثيراً بالغناء والإيقاع، والجناس شعبة من ذلك؛ لما يزخر به من موسيقية عالية تجتلب الانتباه، وتهز الوجدان، وتطرب له الآذان، فكل هذا يُحدث في النفس ميلاً إلى الإصغاء، ويجعل وَقْعَ العبارة على الآذان سهلاً مُستساغاً، وبذلك يزداد تأثيره؛ فيجد في النفس القبول، ويقع في القلب أحسن موقع.

ومما يُؤكد هذه المزية، أن الكلام قد يكون عاديًا لا يحمل أي ابتكار أو تميز، ولكنه وبتأثير النغم والإيقاع والانسجام الموسيقي يرتقي بك إلى مواقع

---

١ - جنان الجناس /٨.

جليلة؛ ويدعوك إلى التعمق في خفايا سحره وأسرار جرسه؛ فتميل إليه النفسُ وتستسيغه، فتنــزله منــزلة رفيعة، وتعده من القلائد والعيون.

من ذلك ما نقله عبد القاهر من قول الشافعي المذكور سابقاً عندما سئل عن النبيذ؛ فقال: (أجمع أهلُ الحرمين على تحريمه) فأنت تشعر بحلاوة وعذوبة لهذا التجانس بين (الحرمين) و(تحريمه) بدليل أنك لو قلت: أجمع علماء الدين، أو أهل الديار المقدسة، أو غير ذلك، لذهب كل هذا الرونق الصوتي، ولهبطت بالكلام دون الدرجة التي كان فيها.

ومنه أيضاً ما أوردته كتبُ الأدب من أن إبراهيم بن المهدي زار صديقاً له فوجده سكران؛ فترك عند رأسه رُقعة كُتب فيها: (رحنا إليك وقد راحت بك الراح). فلو حاولت أن تغير في الكلمات وتأتي بمرادفاتٍ لها، كأن تقول مثلاً: جئنا إليك وقد جاءت بك الخمر، أو أسكرتك الخمر، أو غير ذلك لأذهبت كلَّ ذلك التلاحم الموسيقي الذي ملّك عليك نفسك عند سماع العبارة.

ومنه شعراً قول أبي تمام في مستهلِّ قصيدة له:

سَعدت غربةُ النوى بسعاد فهي طوْعُ الإتهام والإنجادِ

فلو عدلت في الألفاظ، وجئت بما هو مرادف لها، فقلت مثلاً: فَرحت غربة النوى بسعاد، أو نَعمت... أو غير ذلك، لشعرت أن كثيراً من الجرس الرخيم قد زال، وأن الصدى المتجاوب بين الألفاظ قد ولّى، وأن قدراً وافراً من المتعة قد تبدّد، مع أن المعنى لم يتغير، والبيت ما يزال محتفظاً بوزنه.

تدريب محلول:

بيِّن الجناس فيما يأتي وسمِّ نوعه:

١- قال محمَّد بن عبد الله بن كناسة الأسدي الكوفي يرثي ولداً له اسمه (يحيى)؟:

وسمَّيته يحيى ليحيا فلم يكن   إلى ردِّ أمر الله فيه سبيلُ

تفاءلتُ لو يُغني التفاؤلُ باسمه   وما خِلتُ فالاً قبل ذاك يفيلُ

٢- قال الإمامُ علي ﷺ: (كلُّ شيءٍ يعزُّ حين ينْزُر إلا العلْم فإنَّه يعزُّ حين يغْزُر).

٣- قِفْ طالباً فضْلَ الإلهِ وسائلاً   واجْعَلْ فواصلَهُ إليكَ وسائلا

٤-هل لما فاتَ من تلاقٍ تلافِ؟   أمْ لشاكٍ من الصَّبابةِ شافِ

٥ قالوا: من فعلَ ما شاء، لقيَ ما ساء، ومن أحْسَن الاختيار، أحسن الاختبار.

٦-قال أحمد شوقي:

وكلُّ حُسْنٍ كامنٌ أو بادي   أودعهُ اللهُ اللسانَ البادي

٧- يا من تَدلّ بوجْنَةٍ   وأناملٍ من عَنْدَم

كفِّي، جُعِلْتُ لكِ الفِداء،   ألحاظَ عينكِ عن دَمي

٨-قال شوقي يصف البيت الحرام:

دارٌ عليها ميْسَمٌ من القِدَمْ   حجَّتْ على أوَّلِ خُفٍّ وقَدَمْ

مَهْدُ الهدى في الأوَّلين رُكْنُها   وحِصْنه في الآخرين صَحْنُها

٩-من كل ساجي الطرف أغْيَدَ أجْيَد   ومهفهفُ الكشحين أحْوى أحورُ

١٠-قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور/٣٧].

١١-قال البحتري:

وقُعودي عن التّقلب والأر ... ضُ لِمثلي رَحيبَةُ الأكْنافِ

لَيسَ عن ثَرْوةٍ بَلَغتُ مَدَاهَا ... غَيْرَ أنّي امرُؤٌ كَفاني كَفافِي

١٢- قال رسول الله ﷺ:"قَصِّر ثوبَكَ فإنّه أنقى وأتقى وأبقى".

الإجابات:

١- في البيت الأول جناس تام مستوفى بين (يحيى) اسم العلم، و (يحيا) الفعل من الحياة. وفي البيت الثاني نوعان من الجناس، الأول جناس اشتقاق بين (تفاءلت) و(التفاؤل)، والثاني شبه جناس الاشتقاق بين (الفأل): بمعنى ضد الطيرة، و(يفيل): بمعنى يخيب.

٢- فيه جناس غير تام واقع للاختلاف في نوع الحروف بين (ينزر) و(يغزر)، ونوعه جناس لاحق.

٣- فيه جناس تام مركب بين (و+سائلا) بمعنى طلب المساعدة، و(وسائلا) جمع وسيلة، وهي ما يُتقرب به إلى الله.

٤- فيه جناس غير تام واقع في نوع الحروف بين (تلاق وتلاف) وهو جناس مزدوج، وفيه كذلك جناس غير تام واقع في نوع الحروف بين (شاكٍ وشافٍ)، وهو جناس مذيل.

٥- جناس غير تام واقع في هيئة الحروف بين (شاء وساء) و(الاختيار والاختبار)، ونوعه مُصحَّف.

٦- جناس تام مماثل واقع بين الاسمين (بادي) بمعنى الظاهر للعيان، و(بادي) بمعنى الفصيح، أو الواضح.

٧- جناس تام مركب بين (عَنْدَم) و(عن دمي)، نوعه مفروق.

Damascus University

٨- جناس غير تام واقع في هيئة الحروف بين (القِدَم) و (قَدَمْ) نوعه محرَّف، وجناس آخر غير تام في البيت الثاني واقع في ترتيب الحروف بين (حصنه) و(صحنه) نوعه قلب جزئي.

٩- جناس غير تام واقع في نوع الحروف بين (أغيد) و (أجيد)، ونوعه جناس لاحق، وجناس آخر غير تام واقع كذلك في نوع الحروف بين (أحوى) و (أحور)، ونوعه كذلك لاحق، والشاهدان من الجناس المزدوج.

١٠- فيه جناس اشتقاق، وهو واقع بين لفظي (تتقلب) و(القلوب)، وهما مشتقان من مادة واحدة.

١١- جناس غير تام واقع في نوع الحروف بين (كفاني) و(كفافي) وهما مختلفان في النوع، جاء الحرف الرابع في الكلمة الأولى نوناً، وفي الثانية فاء، وهما متقاربان مخرجاً.

١٢- جناس غير تام واقع في هيئة الحروف بين الكلمات الثلاث (أنقى وأتقى وأبقى)، نوعه مصحَّف، وهو كذلك جناس مزدوج لأن الكلمات جاءت متتابعة.

تدريبٌ يُطلبُ حلُّه:

حدد نوع الجناس فيما يأتي:

١- حُكي أنَّ جاريةً من جواري المُعتَمد بن عباد قالت له وَهُمَا في سجن أغمات بمراكش: يا مولاي لقد هُنَّا هُنَا، فأعجبه كلامها هذا، فقال:

قالت: لقد هُنَّا هُنَا ... مولاي أين جاهُنَا

قلتُ لها إلى هُنَا ... صَيَّرَنَا إلَهُنَا

٢- قال ابن جبير الأندلسي:

فيا راكبَ الوجْنَاءِ هل أنت عالِمٌ ... فِداؤكَ نفسي كيفَ تِلكَ المعالِمُ

٣- قال الأهوزي : أعيَا النَّاسِ من أطَالَ الخُطبةَ وأسَاء الخِطبة .

٤- قال المعتمد بن عباس يرثي ولديه أبا خالد وأبا نصر :

لعينيَ كلَّ يومٍ فيك عَبْرَه | تصيِّرني لأهل العشق عِبْره
أرى قـدمي أراق دمي | وهان دمي فـوا نـدمي

٥- قال أبو فراس:

ما كنتَ تصبر في القديـ | ـم فلِمْ صبرت الآن عنا ؟
ولقـدْ ظَنَنت بك الظنـ | ـون لأنه من ضنَّ ظنـا

٦- قال ابن المعتز:

ألا يا نفسُ إن ترضَيْ بعونٍ | فأنت عزيزةٌ أبداً غنيَّة
دعي عنكِ المطامعَ والأماني | فكمْ أمنيةٍ جلبت منيّه

٧- قال أحدهم: إنّا نأتي من أتانا ولو أتانا (الحمار)، ونأبى من أبانا ولو أبانا.

٨- قال الحريري يصف هيام الجاهل بالدنيا:

ما يَستَفيقُ غرَاماً | بها وفَرْطَ صَبَابه
ولو دَرَى لكَفَاه | مما يرُومُ صُبَابه[1]

٩- ومما يُنسب إلى جميل بثينة:

خليليَّ إن قالت بثينــةُ ما لَهُ | أتانــا بلا وعــد، فقُولا لَهَا: لَهَا
أتى وهو مشغول لِعُظم الذي به | ومن بات طول الليل يرعى المُها سها
بثينةُ تزري بالغزالة في الضحـى | إذا برزت لم تبق يومـاً بهـا بهـا
لها مقـلةٌ كحلاء نجلاء خلقة | كأن أباهـا الظبي أو أمُّهـا المهـا
دهتني بود خاتل وهو مُتلـفي | وكم قتلت بالودِّ مَن وِدُّهـا دَهـا

---

١ – الصَّبابة: شدة العشق، والصُّبابة: البقية القليلة من الماء أو نحوه.

١٠ قال أبو الفضل الميكالي:

لقد راعني بدرُ الدُّجى بصُدوده ... ووكَّـلَ أجفاني برَعْيِ كواكبِـه

فيا جَزَعي مهلاً عسـاه يعُودني ... ويا كبِدي صبراً على ما كَواكبِه

١١ قال الشاعر:

لو كُنتَ ساعة بيننا ما بيننا ... وشهـدتَ حين نكرّرُ التوديعا

أيقنتَ أنّ من الدُّموع محدِّثًا ... وعلمتَ أنّ من الحديث دُموعًا

١٢ الشريف الرضي:

لا يَذكرُ الرملَ إلا حنَّ مغتربٌ ... لهُ بذي الرَّملِ أوطارٌ وأوطانُ

١٣- قال أحدهم:

له مَبسِمٌ كالرَّاح قد راح طعمُهُ ... ففي القلب من ذاك الرَّحيق حريقُ

١٤- وقال آخر:

إن تر الدُّنيـا أغارت ... ونجوم السَّعدِ غـارتْ

فصروفُ الدَّهرِ شتَّى ... كلَّما جارت أجارَتْ

٢- ردُّ العَجُز على الصدْر

ويُسمونه أيضاً (التَّصدير)، ويأتي في النثر وفي النظم، وإن كان موقعه في النظم أهمّ وأجلّ .

أولاً- موقعه في النثر:

وحدُّهُ فيه: أن يُجعل أحدُ اللفظين المكررين (لفظاً ومعنى)، أو المتجانسين أو الملحقين بهما (وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق) في أول الفقرة والآخر في آخرها. وإليك الأمثلة:

١- **فالمكرران**، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

فقد جعل أحد اللفظين المكررين في أول الفقرة ، والثاني في آخرها .

ومثله قولهم : (القتل أنفى للقتل) .

٢- **والمتجانسان** نحو: "سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل "، الأول من السؤال، والثاني من السيلان، وقد جاء أحد اللفظين المتجانسين في أول الفقرة، والثاني في آخرها.

ومنه أيضاً القول: (يقيني بالله يقيني).

٣- **والملحقان بالمتجانسين اشتقاقاً**، نحو قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

فاللفظان المذكوران يلتقيان في مصدرٍ واحدٍ هو (الغفران)، وقد جاء أحدهما في أول الفقرة، والآخر في آخرها.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

٤- **والملحقان بالمتجانسين بشبه اشتقاق**، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء/١٦٨]، فإن بين (قال) و(القالين) شبه اشتقاق من حيث الحروف الأصلية وهي (القافُ) و(اللام)، وإن كانا من مصدرين مختلفين مدلولاً، فالأول: مشتق من القول، والآخر مشتق من القِلى، وهو البغض والكره.

ثانياً- موقعه في الشعر:

وأما في النظم فهو أن يجعل أحد اللفظين المكررين (المتفقين لفظاً ومعنى)، أو المتجانسين، أو الملحقين بالمتجانسين في آخر البيت، والآخر في أول الصدر، أو حشوه، أو آخره، أو أول العجز أو حشوه. وبذلك يتكوّن لدينا ست عشرة حالاً، هي:

١- **المكرران:**

أ- مثالُ المكرّرين أحدهما في آخر البيت، والثاني في أول المصراع الأول قول الشاعر:

بَليغٌ متى يَشكو إلى غيرها الهوَى ... وإن هُو لاقاهَـا فغيرُ بَليغِ

ب- ومثالُ المكرّرين أحدُهما في آخر البيت والثاني في حشو المصراع الأول، قول الوطواط:

لقد حَازَ أقسامَ الفضائل كلَّها ... فأمسَى وَحيدًا في فُنون الفضائلِ

ج- ومثال المكرّرين أحدُهما في آخر البيت، والثاني في آخر المصراع الأول، قول أبي تمام:

فمَن كان بالبِيضِ الكواعبِ مُغرَما ... فمَا زلتُ بالبِيضِ القَواضِبِ مُغرَما

د- ومثال المكرّرين، أحدُهما في آخر البيت والثاني في أول المصراع الثاني، قول كُثَيِّر عزَّة:

أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كان يبْغي لَهَا الرَّدَى وجُنَّ اللواتي قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ

٢- المتجانسان:

أ-مثال المتجانسين أحدهما في آخر البيت، والثاني في أول المصراع الأول.

قول الشاعر:

ذوائبُ سُودٌ كالعناقيد أُرْسِلَتْ فَمِنْ أجلِها منَّا النُّفوسُ ذَوَائِبُ

ب-مثال المتجانسين أحدهما في آخر البيت والثاني في حشو المصراع الأول، قول الثعالبي:

وإذا البَلابِلُ أفصحتْ بِلُغاتِها فانْفِ البَلابِلَ باحتِسَاءِ بَلابِلِ[1]

ج-مثال المتجانسين أحدهما في آخر البيت والثاني في آخر المصراع الأول، قول ابن جابر الأندلسي:

زُرْتُ الدِّيارَ عن الأحبةِ سائلاً ورَجَعْتُ ذا أسَفٍ ودَمْعٍ سائلِ

ونَزَلْتُ في ظِلِّ الأراكة قائلاً والرَّبْعُ أخْرَسُ عن جواب القائلِ

د-ومثال المتجانسين أحدهما في آخر البيت والثاني في أول المصراع الثاني قول الأرجاني:

أمَّلْتُهُمْ ثُمَّ تأمَّلْتُهم فلاحَ لي أن ليس فيهم فلاح

٣- الاشتقاق:

أ- ومثال الملحقين بالمتجانسين اشتقاقاً، أحدهما في آخر البيت، والآخر في مطلع مصراع الأول، قول الشاعر:

حكَتْ لِحَاظُكِ مَا في الرِّئْم من مُلَحٍ يَوْمَ اللقاءِ وكانَ الفضلُ للحاكي

١- بلابل الأولى: جمع بُلبل، الطائر المعروف، والثانية: بلابل بالفتح، وهي الهموم والأحزان، والثالثة: جمع بُلبلة، وهو إبريق الخمر.

ب- ومثال الملحقين بالمتجانسين اشتقاقاً، أحدُهما في آخر البيت، والآخر في حشو المصراع الأول، قول أبي فراس:

وما إن شِبْتُ من كِبَرٍ ولكن   لقِيتُ من الأحِبَّةِ ما أشابَا

ج- ومثال الملحقين بالمتجانسين اشتقاقاً ، أحدُهما في آخر البيت، والآخر في آخر الصدر، قول أبي تمام :

أعاذِلَتا ما أخْشَنَ الليلَ مَركَباً   وأخْشَنُ منه في المَلِمّاتِ راكِبُهُ

د- ومثال الملحقين بالمتجانسين اشتقاقاً، أحدُهما في آخر البيت والآخر في مطلع العجز، قول أبي فراس:

ولكنَّني في ذا الزَّمانِ وأهْلِهِ   غريبٌ وأفْعالي لَدَيْه غرائبُ

٤- شبه الاشتقاق:

أ- ومثال الملحقين بالمتجانسين اللذين يجمعهما شبه اشتقاق، أحدهما في آخر البيت والآخر في مطلع الصدر، قول الشاعر:

ضرائبُ أبْدَعْتَها في السَّماح   فلسنا نرَى لَكَ فيها ضَرِيبَا[1]

ب- ومثال الملحقين بالمتجانسَين اللذين يجمعهما شبه اشتقاق، أحدهما في آخر البيت، والآخر في حشو الصدر، قول أبي فراس:

مَنَحناها الحَرائبَ غيرَ أنَّا   إذا جَاءَتْ مَنَحناها الحِرابَا[2]

ج- ومثال الملحقين بالمتجانسين اللذين يجمعهما شبه اشتقاق، أحدُهما في آخر البيت والآخر في آخر الصدر، قول الحريري:

ومُضطَلِعٍ بتلخيصِ المعاني   ومُطَّلِعٍ إلى تَخليصِ عَاني[3]

١- الضرائب: جمع ضريبة بمعنى الطباع، والضريب: المثل.

٢- الحرائب: جمع حريبة، وهي الأعطيات. والحرابا: جمع حربة وهي الرمح.

٣- مضطلع: اضطلع بالأمر إذا نهض به، والشاهد واقع بين (المعاني) و(عاني) الأولى من عنى يعني بمعنى قصد، والثانية (العاني): الأسير.

د- ومثال الملحقين بالمتجانسين اللذين يجمعهما شبه اشتقاق أحدهما في آخر البيت والآخر في مطلع العجز، قول الشاعر:

لَعَمري، لَقَد كانَ الثُّريا مَكانَهُ ثَرَاءً فَأضحَى الآنَ مَثْوَاهُ في الثَّرى[1]

بلاغة رد العجز على الصدر وجمالياته:

ترجع بلاغة هذا الأسلوب إلى أسباب، منها:

١- أنه متيسرٌ سهل المتناول، لا يصعب الخوض فيه، تأتي به النفس بلا كدٍّ ولا تعب ولا تَعَمُّل؛ لموافقته الطبع، وجريه على الفطرة، فهو ترديد لكلام سابق، اقتضاه دعم البناء، وتجميل الصيغة وتحسينها، وهذا ما أكده الحموي بقوله: إنه "ما برحت السهولة نازلة بأكناف أذياله، فإنه سهل المأخذ".

٢- أن أشكاله كثيرة متنوعة، تساعد الأديب على رفد كلامه بألفاظ متناغمة سهلة الانقياد، خالية من التكلف والتعسف، واجتلاب العبارات، واستكراه الألفاظ، وبذلك يتعاضد اللفظ مع المعنى لتحسين القالب، وصقل الهندام.

٣- أننا نلمس لهذا الضرب جمالاً تسكن إليه النفوس، وتنفرج به الصدور، منشؤه هذا التناغم الموسيقي الذي أضفاه هذا الترديد لبعض الألفاظ وبذلك يُحدِثُ في النفس مَيلاً إلى الإصغاء، وراحة وبشاشة في توقع مزيد من التجاوب الموسيقي المتناغم. وهذا ما أكده ابن رشيق بقوله: "ويُكسب البيتَ الذي فيه أُبَّهةً، ويكسوه رونقاً وديباجة، ويزيد مائيته وطلاوته".

٤- أنه يخلق لدى المتكلم والمتلقي نوعاً من المشاركة الوجدانية؛ إذ يشعر أنه يسير معه جنباً إلى جنب، حتى لَيُدرك كيف سينتهي الكلام، ويستطيع أن ينطق بالقافية الشعرية، أو بالشطر الأخير بمجرد سماعه الشطر الأول، ويعرف إلى أين سيصل، مصداقاً لقول الشاعر:

١- ثراء: أصل ألفه واوٌ من الثروة، والثرى: أصل ألفه ياء، وهو التراب.

خُذها إذا أنشَدتَ في القوم من طرَبٍ صُدُورُها عُرفت مِنها قوافيهـــا
ينسى لها الرّاكبُ العَجـلانُ حاجته ويُصبحُ الحاسدُ الغَضبانُ يَطْويهـا

خذ مثلاً قول الشاعر:

مشَينَاها خُطى كُتِبتْ علينا ومن كُتِبَت عليه خُطىً مَشاهَا

فإن السامع يتمكن من معرفة الشطر الثاني فور سماعه الشطر الأول، فيتقرر لديه المعنى في حتمية القضاء والقدر، وأن الإنسان خاضع له لا محالة، وبذلك يكمل المعنى الأول بسهولة ويسر، فتقوى لديه روابط التذكر، وأسباب الفطنة، وسرعة البديهة، وصحة الحدس، فتصيبه حالٌ من البهجة والمتعة، هي حال من توقّع فأصاب، وتفرّس فصَحّ تفرّسُه.

٥- أنه يساعد على تثبيت المعنى في الذهن، تحقيقاً لقول القائل: "إن في الإعادة إفادة"؛ فإننا حين نسمع كلاماً يونقنا مستمعه، ويسحرنا بخلابة منطقه، وسحر بيانه، نتمنى استعادته، والاستزادة منه؛ فإذا ثنى علينا في هذه الصورة البديعة المتناغمة، تضاعف حظّنا من المتعة والبهجة والطرب.

٦- أنه، وفي أكثر أحواله، لا يكون ترديداً خالصاً فحسب؛ بل كثيراً ما يتضمن حكمة بالغة، أو مثلاً سائراً، أو تعليلاً مقنعاً، وبذلك يُفحِم السامع، ويقنعه بكلام هو من جنس كلامه؛ فيثبت لديه، ويستقر في ذهنه قولاً مأثوراً.

من ذلك مثلاً قول الحطيئة:

تَزُورُ فتىً يُعطي على الحَمدِ مَالَهُ ومن يُعطِ أثمان المَحامِدِ يُحمدِ

فالشطر الثاني يشتمل على معنى الشطر الأول توكيداً له، لكنه مستقل بمعناه، ولا يتوقف فهمه على فَهْم ما قبله، وهو قول مأثور يصلح لكل زمان ومكان.

ومنه أيضاً قول عمر بن أبي ربيعة:

واستَبَدَّت مرَّةً واحدةً إنَّما العاجزُ مَنْ لا يَستَبِدّ

تدريب محلول على بحث رد العجز على الصدر:

بيِّن الحال التي جاء عليها أسلوب رد العجز على الصدر فيما يأتي:

١-محَارمك امنعها من القوم إنَّني ... أرى حِقبَةً قد ضَاع فيها المحارم

٢-سمَا وحَمَى بني سام وحسامٍ ... فليس كَمثْلِهِ سام وحسام

٣- يسارٌ من سجيَّتها المنايا ... ويُمنى من عَطيَّتها اليَسارُ

٤- حيِّ غُرباً بالخيف من حيِّ ليلى ... واقر عنّي السلام هنداً وليلى

٥- بلونا ضرائب مَنْ قد نَرَى ... فما إنْ رَأينا لفتح ضريبا[1]

٦- إذا العزَّاء حلّتْ دار قومٍ ... فليس تزولُ إلاَّ بالعزاء[2]

٧- يقولُ لي انتظر زمناً ومن لي ... بأنَّ الموتَ يَنْتَظِرُ انتظاري

٨- مع الله في ركب السَّلامة يا سَعْدُ ... يُسايرُهُ باليُمنِ طالِعُكَ السَّعْدُ

٩- دِمَنٌ ألمَّ بها فقال سلامُ ... كم حلَّ عقدة صبْره الإلمامُ

١٠-أصدُّ بأيدي العيس عن قصدِ دارها ... وإنّي إليها بالمودةِ قاصدُ

١١- غزالٌ إنسٍ يصيد أسْداً ... فاعجبْ لما يفعلُ الغزالُ

دَلالُهُ دلَّ كلَّ شوق ... عليه إذ زانه الدَّلالُ

قِتالُه لا يُطاقُ لكن ... يُعجِبُني ذلك القِتالُ

١- الفتح: هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل.

٢- العزاء بالتشديد: الشِّدة.

الإجابات:

١- وقع أحد اللفظين المكررين (المتفقين لفظاً ومعنى)، في آخر البيت (المحارم)، والآخر في مطلع صدر البيت (محارمك).

٢- وقع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت (حام)، والآخر في حشو الصدر (حمى).

٣- وقع بين لفظين مكررين، أحدهما في آخر البيت (اليسار)، والآخر في مطلعه (يسار).

٤- جاء بين لفظين مكررين، أحدهما في آخر البيت (ليلى)، والآخر في آخر الصدر (ليلى).

٥- جاء بين لفظين ملحقين بالجناس، وهو شبه الاشتقاق، أحدهما في آخر البيت (ضريباً)، والآخر في مطلعه (ضرائب).

٦- جاء بين لفظين ملحقين بالجناس، وهو شبه الاشتقاق، أحدهما في آخر البيت (العزاء)، والآخر في حشو الصدر (العزّاء).

٧- جاء بين لفظين ملحقين بالجناس، وهو شبه الاشتقاق، أحدهما في آخر البيت (انتظاري)، والآخر في مطلعه (انتظر).

٨- جاء بين لفظين متجانسين، أحدهما في آخر البيت (السعد)، والآخر في آخر الصدر (سعد).

٩- جاء بين لفظين ملحقين بالجناس، جمعهما الاشتقاق، أحدهما في آخر البيت (الإلمام)، والآخر في حشو الصدر (ألمّ).

١٠- جاء بين لفظين ملحقين بالجناس، جمعهما الاشتقاق، أحدهما في آخر البيت (قاصد)، والآخر في حشو المصراع (قصد).

١١- جاء بين لفظين مكررين في الأبيات الثلاثة، أحدهما في آخر البيت، والآخر في مطلع المصراع الأول، وهي على الترتيب:

(الغزال) و(غزال) - (الدلال) و(دلال) - (القتال) و(قتاله)

تدريب يطلب حله:

١- قال بعضهم في الشيب:

يا بَياضاً أذرى دُمُوعيَ حتَّى عادَ منها سوادُ عَيني بَياضا.

٢- قال البارودي:

فلا عينَ إلاَّ وهي عينٌ من البكا ولا خدَّ إلا للدموع به خَدُّ

٣- قال ابن نباتة:

ما بِتُّ منك بدمعٍ عيني أشْرَقُ إلاَّ وأنتَ من الغزالة أشْرَقُ[1]

٤- قال منصور بن الفرج:

شريفٌ لا ترى قولاً وفعلاً ولا خُلُقاً له إلاَّ شَرِيفا

٥- قال البحتري:

صَدَقَ الغُرابُ لقدْ رأيتُ شُمُوسَهُم بالأمسِ تَغْرُبُ عن جَوانبِ غُرَّبِ

٦- قال أبو تمام:

تَجَشَّمَ حَمْلَ العاديات وقلَّمـــا أُقِيمَتْ صُدُورُ المجدِ إلاَّ تَجَشُّما

١- أشرق: شرق، يشرق، مثل طرب يطرب بمعنى غص.

٧- قالت وقد رأتْ اصفراريَ من بهِ   وتنهّدَت فأجبتُها المُتَنَـــــــهِّدُ

٨- أمّا القُبورُ فإنّهـــــــــنّ أوانِس   بجوارِ قبرِكَ والدّيَـــارُ قُبورُ

٩- قال الأقيشر الأسدي:

سريعٌ إلى ابن العَمِّ يَلطمُ وَجْهَهُ   ولَيسَ إلى داعي النّدى بِسَريعِ

١٠- قال أبو تمام:

أَظُنُّ الدَّمعَ في خَدّي سَــيُبْقي   رُسُوماً من بُكائي في الرُّسُومِ

١١- قال البارودي:

غمامان فيّاضانِ هذا بأُفْقِه   يسيرُ وهذا في طباق الثرى يَسْري

١٢- قال العباس بن الأحنف:

وحدثتني يا سعد عنها فزدتني   جنوناً فزدني من حديثك يا سعد

٣- السجع

السَّجْعُ – لغةً – من سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً. يقال: سَجْعُ الحمام: مُوالاةُ صوتها على طريق واحد. وسَجَعَ الرَّجُل: إذا تكلَّم بكلام مُقَفًّى غير موزون.

والسَّجْعُ – اصطلاحاً – هو توافق الفاصلتين من النثر أو الشعر على حرف واحد، وهو كالقافية في الشعر.

وهذا يعني أن اتفاق الكلمتين في الحرف الأخير يُسمى سَجْعاً، والكلمةُ سَجْعَةُ، ويُطلق عليها قرينة لمقارنتها الكلمة الأخرى، وقد تسمى فِقرة.

ويأتي السجع في الكلام على أربعة أنواع:

١- السجع المُرَصَّع:

وهو ما اتفقت فيه كلُ ألفاظ القرينتين (الجملتين) أو أكثرُها في الوزن والتقفية، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار/١٣-١٤]؛ حيث كل لفظة في الجملة الأولى تقابلها لفظة على وزنها وقافيتها في الجملة الثانية.

ومنه قوله تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية/٢٥-٢٦]. ونحو قول الرسول ﷺ: "اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعطِ ممسكاً تلفاً".

ومنه قول الشاعر:

ومَكَارِمٍ أَوْلَيْتَها مُتَبَرِّعاً وجرائمٍ أَلْغَيْتَها مُتَوَرِّعا

ومن هذا النوع قول يحيى بن معاذ: "تأبى القلوبُ للأسخياء إلاّ حُبّاً، وإن كانوا فُجّاراً، وللبخلاء إلاّ بُغْضاً، وإن كانوا أبراراً".

وقد سُمي مرصعاً، من قولهم ترصيع العِقد، تشبيهاً له بعقد اللؤلؤ، حيث توضع اللؤلؤة في جانب، وتوضع مثلها في جانب آخر؛ فالفقرتان المتفقتان في الوزن والتقفية مثل هذه اللآلئ المتماثلة في جانبي العِقد.

٢- السجع المتوازي:

وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان (الكلمتان الأخيرتان من كل جملة) في الوزن والقافية، مع اختلاف ما عداهما. نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى*مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم/١-٢]؛ فالسجع واقع بين الكلمتين (هوى) و(غوى) فقد اتفقتا في الوزن والقافية، وجاءت الكلمات الأخرى في الجملتين غيرَ مسجوعة.

ومن أمثلته قول أعرابي ذهب بابنه السيل: اللَّهُمَّ إن كُنتَ قد أبليتَ فإنّك طالما قد عافيت.

ومنه شعراً قول الشاعر:

فنحنُ في جَذَلٍ والرُّومُ في وَجَلٍ والبَرُّ في شُغُلٍ والبحرُ في خَجَلِ

حيث وقع السجع في الألفاظ الأخيرة للمقاطع الأربعة (جذل - وجل - شغل - خجل) وهي جميعها مُتّفقة وزناً وتقفية.

٣- المُطَرَّف:

وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان في الوزن واتفقتا في التقفية.

وسمي مطرفاً؛ لأن التوافق بين الفاصلتين واقع في الطرف، وهو الحرف الأخير. ومثاله قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا*وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح/١٣-١٤].

فالسجع واقع بين الكلمتين: (وقاراً) و(أطواراً) وقد اتفقتا في القافية، واختلفتا في الوزن.

٤- المَشْطُور:

ويسمى أيضاً التشطير، وهو خاص بالشّعر، وهو أن يكون لكل شطر من البيت قافيتان مغايرتان للشطر الآخر في الرَّويّ. نحو قول أبي تمام:

تَدْبيرُ مُعْتَصِمٍ باللهِ مُنْتَقِمِ   للهِ مُرْتَغِبٍ في اللهِ مُرْتَقِبِ

فالسجع في الشطر الأول مبني على حرف الميم، وفي الشطر الثاني مبني على حرف الباء.

- أقسام السجع تبعاً للطول والقصر:

يأتي السجع في الكلام إما طويلاً أو قصيراً.

١- السجع القصير:

وهو ما كانت فيه كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة، وكلما كان عدد الألفاظ قليلاً، كان السجع أحسن، فإذا كانت الأطرف متقاربة استساغتها الآذان لقربها من سمع السامع. وهذا الضرب يعد أوعر أنواع السجع مسلكاً، وأصعبها مدركاً، وأخفها على القلب، وأطيبها على السمع، ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً.

وسر وعورة هذا النوع أن المعنى إذا عُبِّر عنه بألفاظ قليلة صَعُبَ تأتّي السجع فيه، لقصر تلك الألفاظ، وضيق الفرصة في استحضاره.

أما الطويل، فإن الألفاظ تطول فيه ويُستجلب له السجع بسهولة.

وأحسن أنواع السجع القصير ما كان مؤلفاً من لفظين، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر/١-٥].

ومنه ما يكون مؤلفاً من ثلاثة ألفاظ أو أربعة، وكذلك إلى العشرة. وما زاد على ذلك فهو السجع الطويل.

ومثالنا على ما جاء من ألفاظه أربعة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى/٩-١٠].

٢- السجع الطويل:

وهو ما كانت فيه كل واحدة من السجعتين مؤلفة من إحدى عشرة كلمة وحتى العشرين، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود/٩-١٠]، فالفقرة الأولى مبنية على إحدى عشرة كلمة، والفقرة الثانية مبنية على ثلاث عشرة كلمة.

تنبيهات:

٢- أنكر بعض العلماء وقوع السجع في القرآن الكريم، فمنعه قوم منهم الرماني والباقلاني، وقالوا: إنّ ما جاء على صورة السجع في كتاب الله لا يسمى سجعاً وإنما هو فواصل، وحجتهم في ذلك أن السجع ضرب من الصنعة الكلامية، يضطر صاحبه إلى سلوك طريق التكلف والتعسف، فيجعل المعنى تابعاً للفظ، وهذا -برأيهم- نقص في الكلام كبير.

وقد عوّل أهل البيان على وقوعه، ولا يفرقون فيه بين الفواصل والسجع، وحجتهم في ذلك أن كتاب الله تعالى لم تخل منه سورة من السور، وقد جاءت بعض السور مسجوعة كلها؛ كسورة الرحمن والقمر، كما أنّ كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام الخلفاء والبلغاء يزخر به، فلو كان مستكرهاً لما ورد على ألسنة الفصحاء، فلا يكاد بليغ من البلغاء يرتجل خطبة، ولا يحرر موعظة إلا ويكون أكثره مبنياً على التسجيع، وفي هذا

دلالة قاطعة على كونه مقبولاً شائعاً على ألسنة البلغاء في المقامات المشهورة، والمحافل المعهودة.

٢- قيل إن النبي ﷺ أنكره عندما قال لبعضهم منكراً عليه وقد كلّمه بكلام مسجوع: "أسَجْعاً كسجع الكهان" والرد على ذلك أن الرسول الأعظم لم يَذمّ السجع مطلقاً؛ وإنما ذم ما كان منه مثل سجع الكهان؛ لأن أكثر الجاهليين كانوا يتحاكمون إلى الكهان، وهؤلاء كانوا يتكهنون عن الأمور الكونية والأوهام الظنية على جهة السجع، وتطابق أعجاز الألفاظ.

يقول ابن الأثير مدافعاً عن السجع: "لو كره النبي ﷺ السجع مطلقاً لقال: (أسجعاً) ثم سكت، وكان المعنى يدلّ على إنكار هذا الفعل لِمَ كان، فلما قال: (أسَجْعاً كسجع الكهان) صار المعنى معلّقاً على أمر وهو إنكار الفعل لِمَ كان على هذا الوجه، فعُلم أنه إنما ذمّ من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير، (أي : أحكماً كحكم الكهان)"[1].

وقد علل الجاحظ نهي رسول الله ﷺ عن السجع بقوله: "فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها في صدور كثير منهم، فلما زالت العلة زال التحريم. وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونها"[2].

ثم نضيف أنه لم يذم السجع مطلقاً بدليل أنه قد نطق به في كثير من كلامه حتى إنه غيّرَ الكلمة عن وجهها إتباعاً لها بأخواتها من أجل السجع، فقال لابن ابنته عليهما السلام: "أعيذُه من الهامة والسامَّة وكل عين لامّة". وإنما أراد مُلمّة لأن الأصل فيها من ألَمّ فهو مُلِمّ، وكذلك قوله صلى الله عليه

١- انظر المثل السائر ١/١٩٦/١٩٧.

٢- البيان والتبيين-١/٢٩٠.

وسلم: "ارجعن مأزورات غيرَ مأجورات"، وإنما أراد موزورات من الوزر، فقال: (مأزورات) لمكان مأجورات، طلباً للتوازن والسجع، وهذا مما يدل على فضيلة السجع.

٣- السجع مبني على سكون الإعجاز؛ أي أواخر الفقرات، إذ لا يتمّ التوافق في كل الصور إلا بالوقوف والسكون، فلو أخذنا الآية: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق/١-٢].

وقرأناها دون أن نقف بالسكون في أواخر الفقرات لاستدعى منّا ذلك إجراء كل فقرة على ما يقتضيه حكم الإعراب، فتكون (القاف) في كلمة (خلق) مفتوحة، والقاف في كلمة (علق) مجرورة، وبذلك يفوت الغرض من السجع.

أو قولهم: "ما أبعد ما فاتْ، وأقرب ما هو آتْ" فلو قرأت معربة؛ أي (ما فاتَ)، و(ما هو آتٍ) لفسد السجع.

أمثلة على السجع من الأمثال والحكم:

١-الانتقامُ عدلٌ والتجاوزُ فضلٌ.

٢-أحسنُ المَقال ما صدّقه الفِعال.

٣-أحسنُ المكارم عفوُ المُقتدِر، وجُودُ المُفتقِر.

٤- جنِّب كرامتك اللئامَ، فإنك إن أحسنت إليهم لم يشكروا، وإن أساؤوا لم يشعروا.

٥-شرطُ الأُلفةِ تركُ الكُلفةِ.

٦- إذا ذهب الحياء حلَّ البلاء.

٧-لا تكن رطباً فتُعصَر، ولا يابساً فتُكسَر.

٨-المُحسِن مُعان، والمُسيء مهان.

بلاغة السجع وجمالياته

ترجع بلاغة السجع إلى تحقّق أمور منها:

١- أن يأتيَ عفو الخاطر غير متكلف، وكان اللفظ فيه تابعاً للمعنى، أو أداة للوصول إلى لب المعنى. ولذلك اشتُرِط فيه:

أ-أن تكون الألفاظ متخيرة منتقاة، حُلوة المذاق، صافية على السماع، تتحلى بالرشاقة والأناقة، تشتاق إلى سماعها الأنفس، ويلذ وَقْعُها على الأذن.

ب-أن يكون تركيبها جارياً على وجه حسن؛ أي خالياً من التكلف والتعسف، وكان عفو الخاطر لم يجتلبها تطلب السجع، فإذا ما كان السجع كذلك لقي قبولاً واستحساناً وإعجاباً بقائله. ينقل إلينا الجاحظ قولاً لأعرابية خاصمت ابنها إلى عامل الماء، فقالت : "أمَا كان بطني لك وِعَاء؟ أما كان حِجْري لك فناء؟ أما كان ثَدْيي لك سقاء؟ فقال ابنها : لقد أصبحت خطيبة رضي الله عنك!" فهذا من السجع المقبول المستحسن.

ج-أن تكون المعاني الحاصلة من تركيبه مألوفة غير غريبة ولا مستكرهة، ولا ركيكة مستبشعة، حتى لا تنفر منها الطباع، ولا تمجها الأذواق.

د-أن تستقل كل قرينة من القرينتين بدلالتها الخاصة، فتدل على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، وإلاّ كان السجع مكرراً لا فائدة منه، وكان معيباً حيث كان، ومثّلوا لهذا السجع المعيب بقول الصاحب بن عباد في وصف مهزومين: "طاروا واقين بظهورهم صدورهم، وبأصلابهم نحورهم"؛ فليس في القرينة الثانية معنى زائد يدل على القرينة الأولى.

وقول الصابي: "الحمدُ لله الذي لا تدركه الأعين بألحاظها، ولا تَحُده الألسن بألفاظها، ولا تخلقه العصور بمرورها، ولا تُهرِمُه الدهور بكرورها"، ثم انتهى إلى الصلاة على النبي ﷺ، فقال: "لم يرَ للكفر أثراً إلا طَمَسَه

ومحاه، ولا رسماً إلاّ أزاله وعفّاه". ولا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور، وكذلك لا فرق بين مَحوِ الأثر وعفاء الرسم[1].

١-أن السجع يُنشّطُ القارئ أو السامع ويُبهجه، فترتفع بذلك درجة القبول لديه، ويصبح مهيأً لتلقي المعنى وهو يقظ مستمع، دون أي شعور بالفتور والملل.

٢-أنه يسهل عملية الحفظ، وييسّر روابط التذكر؛ لأن النفس تأنس به، وتلتفت إليه التفاتة المبتهج الذي وصل إليه المعنى في أحلى حُلّة، وأبهى زينة، وقد قيل مرةً لعبد الصمد بن عيسى الرَّقاشي: لِمَ تؤثر السجع؟ قال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقلَّ خلافي عليه، ولكنني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد، وبقلة التفلت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ...

وينقل ابن جني رأياً في الخصائص يشير إلى أهمية السجع في حفظ الأمثال، فيرى أن المثل إذا كان مسجوعاً لذّ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله، ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به ولا أنقت لمستعمله، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإن لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجيء به من أجله[2].

هذا وأجمل أنواع السجع ما تساوت قرائنه في عدد الكلمات، لا تزيد إحداهما عن الأخرى، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى/٩-١٠].

أو قوله أيضاً: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة/٢٧-٣٠].

١- انظر هذه الأمثلة وغيرها في المثل السائر ١/٢٠١-٢٠٢.

٢- الخصائص ١/٢١٦.

ثم ما طالت قرينته الثانية طولاً لا يُخرج بها عن الاعتدال كثيراً، نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم/١-٢].

ثم ما طالت قرينته الثالثة، نحو قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة/٣٠-٣٢].

وقوله تعالى أيضاً : ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج/٥-٧].

ولا يحسن أن تأتي الفاصلة الثانية أقصر من الأولى؛ لأن حسن السجع يرجع أساساً إلى التوافق والتوقع، فإذا جاءت الفاصلة الثانية قصيرة أحبط هذا التوقع، وصار المطلوب ناقصاً، وانحرم ما كان يتوقعه من المماثلة بها والملائمة، فيصير كالشيء المبتور، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها.

تدريب محلول:

بيِّن مواضع السجع فيما يأتي، واذكر نوعه في كل مثال:

١- قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ [عبس/١-٣].

٢- قال تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر/١-٣].

٣- حَامي الحقيقةِ ، محمُودُ الخليقةِ   مَهديُّ الطَّريقة ، نفاعٌ وضرارُ

٤- ردوا الغليل لقلبي المشغوفِ   وخذوا الكرى عن ناظري المطروفِ

٥- قالوا: ليكن إقدامُكَ توكلاً وإحجامك توكلاً.

٦- قيل: "المؤمن غرٌّ كريم ، والفاجر خبٌّ لئيم".

٧- قال الهمذاني: "إنّ بعد الكدر لصفواً ، وإنّ بعد المطر لصحواً".

٨- قال حكيم: قوة الأشرار بلاء، وقوة الأخيار دواء، وقوة المؤمنين شفاء.

٩- قال الثعالبي : الحقد صدأ القلوب ، واللجاج سبب الحروب .

١٠ - فَحَوْضُ عندكَ عذْبٌ مُغْدِقٌ خَصِرٌ وروْضُ فَضلكَ رحْبٌ مُونِقٌ خَضِرُ

الإجابات:

١-فيه سَجْعٌ مُطَرّف، لاتفاق الفواصل (توالى -الاعمى- يزكى) بالحرف الأخير واختلافهما بالوزن.

٢-فيه سجعٌ مُطَرّف، لاتفاق الفاصلتين (عشر) و(الوتر) بالحرف الأخير، واختلافهما بالوزن.

٣-فيه سجع متوازٍ لاتفاق الفواصل (الحقيقة -الخليقة- الطريقة) بالوزن والقافية.

٤-فيه سجع متوازٍ لاتفاق الفاصلتين (المشغوف) و(المطروف) بالوزن والقافية.

٥-فيه سجع مُرّصع لاتفاق ألفاظ الجملة الأولى مع نظائرها في الجملة الثانية، (إقدامك) تناظر (إحجامك)، و(توكلا) تناظر (توكلا) وزنا وقافية.

٦-فيه سجع متوازٍ لاتفاق الفاصلتين (كريم) و (لئيم) وزناً وقافية.

٧-فيه سجع مُرَصّع لاتفاق ألفاظ الجملة الأولى (الكدر لصفوا) مع نظائرها في الجملة الثانية (المطر لصحوا) بالوزن والقافية.

٨-بين الجملة الأولى والثانية سجع مُرَصّعٌ لاتفاق ألفاظ الجملة الأولى (الأشرار بلاء) مع ألفاظ الجملة الثانية (الأخيار دواء) بالوزن والقافية، وبينهما وبين الجملة الثالثة سجع متواز لاتفاق سجعتها (شفاء) مع نظيرتيها بالوزن والقافية.

٩-فيه سجع متواز لاتفاق الفاصلتين (القلوب) و (الحروب) بالوزن والقافية.

١٠-فيه سجع مرصع لاتفاق ألفاظ الشطر الأول مع نظائرها في الشطر الثاني وزناً وتقفية.

تدريب يُطلب حلّهُ:

حدد مواقع السجع فيما يأتي، ثم بيّن نوعه في كل مثال:

١-قال تعالى: ﴿طه*مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى*إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى*تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا*الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى*لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى*وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى*اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/١-٨].

٢-قال الرسول ﷺ: "أيها الناسُ أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام".

٣-قال بعض البلغاء: الإنسان بآدابه لا بزيّه و ثيابه.

٤-فَحَريقُ جَمْرةِ سَيفِهِ للمُعْتَدي ورَحيقُ خَمْرَةِ سيبِه للمُعْتَفي

٥-قال بعض الحكماء يوصي أبناءه: يا بنيّ لا تزهدنّ في معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغب كان مرغوباً إليه، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه، واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرَ الهوان.

٦-كثيرُ الأيادي حاضرُ الصفْحِ منصف كثيرُ الأعادي غائبُ الحِقدِ مُسْعِف

٧-قال الرسول ﷺ: "اللّهمّ إنّي أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم".

٨-جاء في المقامة الجاحظية للهمذاني: "ومعنا رجل تُسافر يدُهُ على الخوان، وتُسْفِرُ بين الألوان، وتأخذ وجوهَ الرغفان، وترعى أرض الجيران".

٩-قيل لعنترة: أأنت أشجعُ العربِ وأشدُّها؟ قال: لا، قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنتُ أُقْدِمُ إذا رأيتُ الإقدام عزماً، وأُحجم إذا رأيت الإحجام

حزماً، ولا أدخل موضعاً لا أرى منه مخرجاً، وكنتُ أعتمدُ الضعيفَ الجبانَ فأضربه الضربة الهائلة، يطير لها قلب الشجاع، فأُثني عليه، فأقتله.

١٠-قالوا: من تَفَرَّدَ بالعلم لم تُوحِشْهُ خلوة، ومن تَسَلَّى بالكتب لم تَفُتْه سلوة، ومن آنَسَتْهُ قراءةُ القرآن، لم تُوحشه مفارقة الإخوان.

١١-قال حكيم: إنَّ الدُّنيا تُقبل إقْبَالَ الطَّالب، وتُدْبِرُ إدْبار الهَارب، وتَصل وصال الملول، وتُفارق فراق العَجول، فَخَيْرُها يَسِيْر، وعَيْشُها قصير، وإقبالها خديعة، ولذاتها فانية، وتبعاتها باقية، فاغتنم غفوة الزمان، وانتهز فرصة الإمكان، وخذ من نفسك لنفسك، وتَزَوَّدْ من يَوْمِك لِغدك.

١٢-يا أهلَ طيبـــةَ في مغناكم قمـــــرٌ　　　يهدي إلى كلِّ محمودِ من الطُّرق

كالغيثِ في كرمٍ ، والليث في حرم　　　والبدرِ في أفق ، والزهر في خُلق

٤- الموازنة

الموازنة **لغةً**: مصدر الفعل وازن بين الشيئين، إذا عادلَ أو سوّى بينهما.

وهي **اصطلاحاً**: تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق/٢-٤].

فـ (الطّارقُ) و(الثّاقبُ) و(حافظ)، بينهم موازنةٌ لتساويهم في الوزن دون التقفية، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ* عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية/١-٣]. وقوله كذلك: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج/٨-٩].

ومن أمثلته قولُ مسلمة بن عبد الملك: "ما حمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجزٍ، ولا لمتُها على مكروهٍ ابتدأته بحزم".

والفرق بين السّجع والموازنة وجوب قيام القافية في السجع في مجمل أنواعه: (المرصع والمتوازي والمطرف والمشطور)، وإن كان هناك اختلافٌ في الوزن (في بعض أنواعه)، في حين أن الموازنة لا قافية فيها، لكنها متساويةٌ في الوزن، لذلك يقالُ: كلُّ سجعٍ موازنةٌ، وليس كلُّ موازنةٍ سجعاً، وعلى هذا فالسجعُ أخصُّ من الموازنة.

٥- المماثلة

المماثلة **لغةً**: من مثل، يقال: مَثَلَ فلانٌ فلاناً صار مثلَه، يَسُدُّ مَسَدَّه وماثل الشيءَ شابهه، ولا تكونُ المماثلةُ إلا بين المتفقين، تقول: لونُه كلونِه، وفقهه كفقهه.

وهي **اصطلاحاً**: ما تساوت فيه ألفاظُ القرينتين أو أكثرُها في الوزنِ دون القافية، فهي بذلك أعمُّ من الموازنة التي يُشترطُ فيها وقوعُ التوازنِ في الكلمتينِ الأخيرتينِ من العبارتين فحسب.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات/١١٧-١١٨]، فالشاهد في الآية تساوي الألفاظ في القرينتين وزناً لا قافية.

وقول أبي تمام:

مَهَا الوحشِ إلاّ أنّ هاتا أوانِسٌ   قنا الخطِّ إلا أنّ تلك ذَوابِلُ[١]

وقول ابن جابر الأندلسي:

تَبَسَّمَتْ فتَبَاكى الدُّرُ مِن وَجَلٍ   وأقبلَتْ فتَوَلَّى الغُصنُ ذا عجبِ

فمعظم كلمات القرينتين أو الفقرتين في كل شطر متفقتان في الوزن:

مها _ الوحش _ إلاّ _ أنّ _ هاتا _ أوانسٌ.

↓ ↓ ↓ ↓ ↓ ↓

قنا _ الخط _ إلاّ _ أنّ _ تلك _ ذوابلٌ.

١- مها الوحش: بفتح الميم: البقرة. والخط: بالفتح: مرفأ للسفن بالبحرين، وإليه تنسب الرماح الخطية.

والقول نفسه في البيت الثاني.

وأساس الحسنِ في هذينِ المحسِّنين (الموازنةِ والمماثلةِ) يرجعُ إلى ذاك التناغمِ الموسيقيِّ الذي يحققُه التناظرُ الإيقاعيُّ في الكلمتينِ الأخيرتينِ، أو في معظم ألفاظ العبارتين، فيضفي ذلك على الكلام طلاوةً ورونقاً، فيقعُ في النفس موقع القبول والاستحسان.

وقد أثنى عليه ابن الأثير، وجعله مما يرتفع به قَدْرُ الكلام يقول: "وللكلام بذلك طلاوةٌ ورونقٌ، وسببه الاعتدال، لأنه مطلوبٌ في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلةً وقعت من النفس موقع الاستحسان، وهذا لا مراء فيه لوضوحه"[1].

وتتفوق المماثلة في هذا الميدان على الموازنة، لأنَّ التناظر الموسيقيَّ فيها أعمُّ وأشملُ بين أجزاء العبارتين.

تدريب محلول:

استخرج ما في الشواهد الآتية من أسلوبَيْ الموازنة والمماثلة:

١- قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية/١٥-١٦] .

٢- فقفْ مُسعداً فيهنَّ إن كنت عاذراً وسِرْ مبعداً عنهنَّ إن كنتَ عاذلا

٣- قالت أعرابية توصي ولدها: إيَّاكَ والنميمةَ، فإنها تزرعُ الضغينةَ، وتفرّقُ بينَ المحبين.

٤- فإذا عفَا لم يُلفَ غيرَ مُملكٍ وإذا سطا لم يلقَ غيرَ مُعفَّرِ

٥- فأحجم لمّا لم يجد فيك مطمعاً وأقدم لمّا لم يجد عنك مهربا

١- المثل السائر ١/٢٧٢.

الإجابات:

١- فيه موازنةٌ لاتفّاق الفاصلتين (مصفوفة) و(مبثوثة) بالوزن دونَ القافية.

٢- فيه مماثلةٌ لاتفاق كل أجزاء القرينتين وزناً.

٣- فيه موازنةٌ لاتفاق الفاصلتين (النميمة) و(الضغينة) بالوزنِ دونَ القافية.

٤- فيه مماثلة لاتفاق كل ألفاظ القرينتين وزناً.

٥- فيه مماثلة لاتفاق كل ألفاظ القرينتين وزناً.

تدريب يطلب حله:

استخرج ما في الشواهد الآتية من أسلوبي الموازنة والمماثلة:

١- قال إبراهيمُ بنُ أحمد الكينعيُّ لبعض إخوانه: يا أخي جدِّدِ السفينةَ فإنَّ البحرَ عميقٌ، وأكثرِ الزادَ فإنَّ الطريقَ بعيدٌ، وأخلصِ العملَ فإنَّ الناقدَ بصيرٌ.

٢- قال تعالى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه/١٠٠-١٠١].

٣- قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم/٨١-٨٢].

٤- قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج/١-٢].

٥- إنْ يواجهْ فطودٌ حلمٍ ركينٌ ... أو يُفاوِضْ فبَحْرُ علمٍ غزيرُ
أو يَجُدْ واهباً فغيثٌ مطيرٌ ... أوْ يصلْ واثباً فليثٌ هصورُ.

٦- التسميط

التسميط لغةً: مأخوذٌ من السِّمْط، وهو الخيطُ ما دام فيه خَرَزٌ، وإلا فهو سلْكٌ، والسِّمْطُ: خيطُ النظم، كأنهم جعلوا القافيةَ كالسِمطِ، والأجزاءَ المسجَّعة بمنـــزلة حبَّاتِ العِقد.

والتسميط اصطلاحاً: أن يجعلَ الشاعرُ بيتَه على أربعةِ أقسامٍ، ثلاثة على سجعة واحدة وآخر مغاير لقافية البيت.

ومثالُه قولُ جنوب الهذليَّة:

وحَرْبٍ وردْتَ وثغرٍ سددْتَ　　　وعِلْجٍ شــددْتَ عليه الحبالا

ومالٍ حَوَيْتَ وخيلٍ حَمَيْتَ　　　وضيفٍ قَرَيتَ يخافُ الوكالا.

جاءت فواصلُ البيت الأول الثلاث على سجعة واحدة: (وردت – سددت – شددت، بخلاف القافية (الحبالا)، وقلِ القولَ نفسَه في البيت الثاني.

ومنه قولُ الخنساء:

حامي الحقيقة ، محمود الخليقة مهــ　　　ـدي الطَّريقة ، نفَّاعٌ وضرّارُ .

فالبيتُ مكوّنٌ من أربع فواصل، ثلاث منه على سجعة واحدة: (الحقيقة – الخليقة – الطريقة) بخلاف قافية البيت (ضرار).

ومنه قولُ المصري:

وأسمَرَ مثمرٍ بمزهرٍ نضِرٍ　　　من مقمرٍ مُسْفرٍ عن منظرٍ حسَنٍ .

فسجع جميع أجزاء البيت على روي يخالفُ رويَّ القافيةِ .

تدريب محلول:

استخرجْ ما في الشواهدِ الآتية من تسميط:

١- في ثغرِهِ لَعَسٌ في خدِّه قبَسٌ   في قدِّه ميَسٌ في جسمِه ترَفُ.

٢- جزيلُ السَّخاء ، جميلُ العطاء   جليلُ العلاء من النَّجْم أهدى.

٣- لزمتَ السِّفارَ، وجُبتَ القِفارَ   وعفتَ النِّفارَ لأجْني الفرَحْ .

الإجابات:

١- جاءت فواصل البيت الأول الثلاث على سجعة واحدة: (لعس - قبس - ميس) بخلاف الفاصلة الرابعة التي جاءت قافيتها (ترف).

٢- جاءت فواصل البيت الثلاث الأولى على سجعة واحدة: (السَّخاء - العطَاء - العَلاء) بخلاف الفاصلة الرابعة التي جاءت قافيتها (أهدى).

٣- جاءت فواصل البيت الثلاث الأولى على سجعة واحدة: (السِّفار - القفار - النِّفار) بخلاف الفاصلة الرابعة التي جاءت قافيتها (الفرح).

جامعة دمشق Damascus University

٧- لزوم ما لا يلزم

ويسمى الإعنات، والتضييق، والتشديد، والالتزام.

ومعناهُ عند البلاغيين: أن يؤتى قبل الرويِّ في الشعر، وقبل الفاصلة في النثر بما ليس بلازمٍ في التقفيهِ.

وعلى هذا فالفرقُ بين هذا الأسلوب وأسلوب السجع أنه يلزمُ في الآخر ورودُ الفاصلتين على حرفٍ واحدٍ، أما لزومُ ما لا يلزم فيلتزمُ فيه مجيءُ حرفٍ بعينه أو أكثرَ، أو حركةٍ مخصوصةٍ قبلَ حرفِ الروي.

وهذا يعني أن الشاعر والناثر يلزمانِ نفسيهما بأشياء غير مطالبين بها ولذلك سُمِّيَ أيضاً الإعناتَ؛ لأن الشاعر يعنت نفسه، ويُكِدُّ قريحته من أجل تحسين كلامه، وإن كان غير مطالبٍ به.

وقد عبَّر ابنُ الأثير عن صعوبة هذا الأسلوب بقوله: "وهو من أشقِّ هذه الصناعة مذهباً، وأبعدها مسلكاً، وذلك لأن مؤلفَهُ يلتزمُ ما لا يلزمه"[1].

ومما ينسجم معه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:١-٢] فمجيء (اللام قبل القاف) التي هي رأس الفاصلة هي من لزوم ما لا يلزم، لصحة السجع دون هذا الكلام، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨-٢٩]، فالدال هنا بمكان حرفِ الرَّويِّ، ومجيء (الواوِ) و(الضادِ) قبلها في الفاصلتينِ،هو لزومُ ما لا يلزم.

ومنه شعراً قول أبي العلاء المعري:

لا تطلُبَنَّ بآلةٍ لك حاجـــةً   قلمُ البليغِ بغيرِ جدٍّ مِغْزَلُ

١- المثل السائر ٢٦١/١.

سكَنَ السِّماكان السماءَ كِلاهُما   هذا لهُ رُمْحٌ وهــذا أعْزَلُ

ومنه قولُ أبي تمام:

خَدَمَ العُلا فَخَدَمْنَهُ وهي التي   لا تَخْدِمُ الأقوامَ مالم تُخدَمِ

فإذا ارتقى في قُلَّةٍ من سُؤدَدٍ   قالت له الأُخْرى بلَغْتَ تَقَدَّمِ

ومنه قصيدة كُثَيِّر عزّة المشهورة التي منها:

خَلِيلَيَّ هــذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلا   قَلُوصَيْكُما ثُمَّ ازْلا حَيْثُ حَلَّتِ

وما كُنتُ أدري قَبْلَ عَزَّةَ ما البكا   ولا مُوجِعاتِ القَلْبِ حتى تَوَلَّتِ

فما أنــا بالداعي لعزّةَ بالجوَى   ولا شـامِتٍ إن نَعْلُ عَزّةَ زلَّتِ

وإني وتَهيامي بعزَّةَ بعدمــا   تخلَّيْتُ عمّا بيننــا وتخــلَّتِ

لكالمرتجي ظِلَّ الغمامةِ كُلَّمــا   تَبَوّأَ منهــا للمَقِيلِ اضمحلَّتِ

ولأبي العلاء المعري الباعُ الطويل في هذا النوع، فقد صنعَ في ذلك ديواناً كاملاً سماه (اللزوميات) فأتى فيه بالجيدِ الذي يُحْمَدُ، والرديء الذي يُذَمُّ.

ومن التزام الحركة الواحدة قبلَ حرف الرويّ قول ابن الرومي:

لِمَا تُؤْذِنُ الدنيا به من صُرُوفِها   يكون بكاءُ الطفلِ ساعةَ يُولَدُ

وإلاّ فما يُبكيه منهـا وإنَّه   لأوْسَعُ مما كان فيه وأرْغَـدُ

إذا أبصرَ الدنيا استهلَّ كأنَّه   بما سوف يَلْقى من أذاها يُهَدَّدُ

بلاغة هذا الفن:

يبدو أنَّ بلاغة هذا المحسِّن اللفظيّ تعتمدُ في جوهرها على الانسجام والتناغم، وخلق المزيد من التلاحم الصوتيِّ في تناسق الحروفِ، وهذه أمورٌ كلُّها تبعثُ على إيقاظ الحسِّ الجماليِّ، فإذا جاء هذا التناسق في فقرة من

المنثور، أو في قصيدة أو قصيدتين دون كَدٍّ أو تكلُّف، فإنه يُعبِّر عن قدرةِ المبدع على التصرف في وجوه الكلام، وهذا ما أكَّده ابن مالك عندما قال: "ويُحمدُ منه عدمُ الكُلْفةِ فيه لدلالته على الاقتدار وقوّةِ المادة"[1].

أما إذا أصبح غايةً وهدفاً ، فإنه لا محالة سيقع في مغبَّة التصنُّع والتكلُّف.

والكلفةُ تُذهبُ رونق الصنعة، وتُفسدُ العمل الأدبيَّ، وهي مذمومة عند جميع العلماء، وقد عبر عن ذلك ابن سنان بقوله: "وليس يُغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي، لأنه إنَّما فعل ذلك طَوْعاً واختياراً من غير إلجاء ولا إكراه، ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق، وأقربِ السُّبُل، وليس بنا حاجة إلى المتكلِّف المطَّرح، وإن ادَّعى علينا قائلُه أنَّ مشقةً نالته، وتعباً مرَّ به في نظمه"[2].

أمثلة على أسلوب لزوم ما لا يلزم:

١- قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف/٢٠١-٢٠٢].

٢- سأشكُر عَمْراً إن تَراخَتْ مَنيتي أيادِيَ لم تُمْنَن وإن هي جَلَّتِ
فتى غيرُ مَحجوبِ الغِنى عن صَديقِهِ ولا مُظْهِرِ الشكوى إذا النَعْلُ زلَّتِ
رأى خَلّتي مِنْ حيثُ يَخفَى مَكانُها فكانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حتَّى تَجلَّتِ

٣- إنَّ التي زعمتْ فؤادَك مَلَّها خُلِقَتْ هَواكَ كما خُلِقْتَ هوى لها
بَيْضاءُ باكَرَها النعيمُ فَصاغَها بلباقةٍ فأدَقَّها وأجَلَّها

١- المصباح /٨١.

٢- سرّ الفصاحة /١٧٢.

حَجَبَتْ تَحِيَّتَها فقُلْتُ لصاحبي ما كان أكثرَها لنا وأقلَّها

وإذا وَجَدْتُ لها وَساوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضميرُ إلى الفؤادِ فَسَلَّها

٤- ولا أُدَوِّمُ قِدْري بَعْدَما نَضِجَتْ بُخلاً فتمنعَ ما فيها أثافيها

حتى تُقَسَّمَ شتّى بين ما وَسِعَتْ ولا يُؤنَّبُ تحتَ الليل عافيها

٥- قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ [الطور: ١-٢].

٦- وقال أيضاً: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٢٩-٣٠].

٧- وقال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥-٤٦].

٨- كُن كيفَ شِئتَ مُهجَّناً أو خالصاً فإذا رُزِقتَ غِنىً فأنتَ السيدُ

واصمتْ فما كثُرَ الكلامُ من امرئٍ إلاّ وقالوا: إنَّهُ مُتزيِّدُ

٩- ولمّا وقفْنا كي نُودِّعَ من نأى ولم يبقَ إلاّ أن تُحثَّ الركائبُ

بكينا ، وحقٌّ للمحبِّ إذا بكى عشيةَ سارت عن حِماهُ الحبائبُ

١٠- ضحكنا وكان الضحكُ منّا سفاهةً وحقٌّ لسكّان البسيطة أن يبكوا

يحطّمنا صرفُ الزمان كأنّنا زجاجٌ ولكن لا يُعاد لنا سبكُ

٨- المُواربة

المُواربةُ لغةً: المُداهاةُ والمخاتلةُ والمخادعةُ، وهي مأخوذةٌ من الإِرْبِ، وهو الدهاء.

واصطلاحاً: أن يجعل المتكلمُ كلامه على نحو يُمكِّنُهُ من تغيير معناه بتحريفٍ أو تصحيفٍ أو غيرها؛ لكيلا يلام.

ويمثلون له بقول أبي نُواس مخاطباً الخليفةَ الرشيد:

لقد ضاعَ شِعري على بابِكُمْ كما ضاعَ عِقْدٌ على خالِصة

فلما رأى الخليفة يستشيطُ غضباً ، استدرك نفسه قائلاً: لم أقل إلا:

لقد ضاء شِعري على بابِكُمْ كما ضاء عِقْدٌ على خالِصة

فاستطاع بحذقِه أن يستحضرَ وجهاً من وجوه التحريفِ أوصله إلى غرضه مع سلامة العاقبة.

ومن أمثلة هذا النوع ما يُروى أنَّ عبد الملك بن هشام أُحضر إليه رجل كان يرى رأيَ الخوارج، وهو عِتبان بن وصيلة، فقال له: ألست القائلَ يا عدوَّ الله:

وأبْـلِغ أميرَ المؤمنين رسالــة وذُو النُّصح لو يُدْعَى إليه قريبُ

فلا نُصحَ ما دامتْ منابرُ أرْضِنا يقومُ عليها من ثقيفَ خطيــبُ

وإنك إلا ترضَ بكر بن وائــل يكُنْ لك يومٌ بالعراق عصيــبُ

فإن يكُ منكم كان مروانُ وابنه وعمرو ، ومنكم هاشمٌ وحبيبُ

فمنا حُصينٌ والبُطينُ وقُعْنُــبٌ ومنّــا أميرُ المؤمنيــن شبيــبُ

فقال عتبانُ: لم أقل كذاً يا أمير المؤمنين، وإنما قلت: ومنا أميرَ المؤمنين شبيب، فنصب لفظ (أمير المؤمنين) بعدما كان مرفوعاً، فاستحسن الخليفة قوله، وأمر بتخليته.

وهذا الجوابُ في نهاية الحسنِ، إذ استطاع بتحريف يسير في حركة الكلمة أن يتخلص من موقف كاد يودي به إلى سوء العاقبة؛ لأنه إذا كان لفظ (أمير) مرفوعاً كان مبتدأً، فيكونُ (شبيب) هو أميرَ المؤمنين، وإذا كان منصوباً، فقد حذف فيه أداة النداء، ومعناه: يا أمير المؤمنين منّا شبيبٌ، فلا يكونُ (شبيبٌ) أمير المؤمنين، بل يكونُ منهم.

ومن أمثلته أيضاً أنه اجتمع الصوفية على علوية الشاعر، وقالوا له: أنتَ أنشدْتَ:

طَابَ لنا الرفضُ بعد حِشمة

فقال: إنّما قلتُ: طاب لنا الرّقصُ، فرضوا عنه.

ومنه قولُ اليهودِ عند السلام: (السّام عليكم)، يوهمون أنّهم يقولون: السلامُ عليكم، وهم يقصدون: الموت، لأن السّام بمعنى الموت.

بلاغة المواربة وجمالياتها:

ترجع بلاغة المواربة وقيمتها الفنية إلى ما يأتي:

١- أنّ فيها دلالة على مقدرة المنشئ وتمكنه من ناصية الكلام، بحيث يستطيع أن ينتقي كلمات بعينها، ويستطيع في مواقف معينة، أو إذا ما اضطر إلى ذلك، أن يغير بمدلولها ومعناها، فيصرفها عن مسارها الذي عليه، وبذلك يصبح سبيلاً لتخليصه مما يخشى عواقبه، فينأى بنفسه عنه.

٢- الإعجاب والإدهاش اللذان يحدثان للذهن عند إدراك المعنى المواربِ؛ فترتفع بذلكَ منزلة الكلام والمتكلم على حد سواء، فتُحفظ شواهدُه، وتستثمر المواقف والمجالس في نوع من البهجة والتندر والحبور.

٣- أنها تمكن صاحبها من أن يشفي غليله من خصمه دون أن يكون له دليل على ذلك، ودون أن يؤاخذ عليه.

وأخيراً نقول: إن المواربة مسلكٌ من مسالك القول لا يجود فيه إلا الأفذاذ البُصَراء بمآخذ الكلام، ودقائق التعبير.

أمثلة على المواربة:

١- رُوي أنَّ المتوكِّل رمى عصفوراً فأخطأه، فقال ابن حمدون النديم: أحسنتَ والله ياسيدي، فاستشاط المتوكلُ غيظاً، وقال: ويحك أتهزأ بي؟ كيف أحسنتُ؟ فقال: إلى العصفورةِ يا أميرَ المؤمنين، فَسكَن غيظُه وضحك. فغيَّر ظاهرَ كلامه بجعلِ (أحسنت) بمعنى أسديْتَ الإحسانَ إلى العُصفور بعدم إصابتِكَ له.

٢- رُوي أيضاً أن أسعدَ بن مماتي القاضي دخل يوماً على عبدِ الرحيم الفاضل، قاضي قُضاة مصرَ آنذاك، وصاحب النفوذ عند عبد الملك يوسف صلاح الدين، وكان قاضي القضاة أحدبَ، وأمامه أترجة كبيرةٌ مساويةٌ لرأسه، فأخذ أسعدُ يتأملُ تلكَ الحالةَ ويفكرُ فيها، فقال له الفاضل عبد الرحيم: ما بالك تفكر؟ فقال حضرني شيءٌ، فقال: هَاتِ، فقال:

لله بَلْ للحُسْنِ أُتْرجَّــةٌ تُذَكِّرُ النَّــاسَ بأمْــرِ النَّعيمْ
كأنَّهَا قدْ جمعتْ نفْسَها منْ هَيبَةِ الفَاضلِ عبدِ الرحيمْ

فاستحسنه منه، ولما خرج قال له بعضُ من كان حاضراً: أما خشيت أن يصحف(هيبة) بهيئةٍ، فتكون قد جلبت على نفسك الويل؟ فقال أسعد: هذا ما قصدت، ولكنَّ الله سلَّمْ.

٣- ومن هذا النوع بيتُ صفيِّ الدين الحلِّيِّ :

لأنْتَ عندي أخَصُّ النّاس منزلةً   إذ كنتَ أقْدَرَهُم عندي على السلم .

فالموارية في (أخص) يريدها (أخس)، بالسين المهملة. و(أقدرهم) يريد بها (أقذرهم) بالذال المعجمة.

جامعة دمشق Damascus University

٩ - الاقتباس

الاقتباس **لغةً**: من قَبَسَ، يقال : قَبَسَ النار، أوقدها وطلبها، وقَبَسَ العلم: استفادة، فالاقتباس هو الأخذ والاستفادة.

وهو **اصطلاحاً** أن يُضمِّنَ المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف على وجه لا يشعر بأنه منهما، ويجوز أن يُغيِّرَ في الأثرِ المقتبسِ قليلاً.

أولاً: الاقتباس من القرآن الكريم:

نحو قول أبي القاسم بن الحسَن الكاتبي:

إن كنتَ أزمَعتَ على هَجْرِنا   من غيْرِ ما جُرْمٍ " فصبرٌ جميل "

وإن تبدَّلْتَ بنـــا غيرَنـــا   " فحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيل "

حيث الاقتباس في البيت الأول من قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣].

وفي البيت الثاني من الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ومنه قول أبي محمدٍ العبدلكاني:

إذا كنتَ متخذاً ضَيْعَةً   فإياك والشركاء الوجُوهَا

ودارِ الملوكَ فإنّ الملوكَ   إذا دخلوا قريْةً أفسدوها

وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾[النمل: ٣٤].

وقول الأحْوص:

إذا رمتُ عنها سلوةً قالَ شافعٌ   من الحبِّ : ميعادُ السلوِّ المقابرُ

ستَبْقى لها في مُضمَرِ القلبِ والحشا   سَرِيْرَةُ ودٍ " يومَ تُبلى السرائرُ "

فالاقتباس واقع في آخر البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩-١٠].

وقول الأبيوردي:

وقصائد مثلُ الرِّياضِ أضعتُها | في بَاخِلٍ ضاعتْ به الأحسابُ
فإذا تناشدها الرواةُ وأبصروا الـ | ـممدوحَ قالوا: "ساحرٌ كذّاب"

فالاقتباس في آخر البيت الثاني، وهو من قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٤].

ومن هذا الفنّ قول أبي منصور عبد الرحمن بن سعيد:

خلّةُ الغانياتِ خلّةُ سَوْءٍ | فاتّقوا اللّهَ يا أولي الألبـــابِ
وإذا ما سألتموهنّ شيئاً | " فاسألوهنّ من وراءِ حجابِ "

فالشطر الأخير في سورة الأحزاب /٥٣.

ثمّ من أمثلته نثراً قولُ الحريري: "فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب" فالعبارة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

و قولُ القاضي الفاضل وقد ذكر الإفرنج: "وغضبوا زادهم الله غضباً، و(أوقدوا ناراً للحرب) جعلهم الله لها حطباً"، فالاقتباس واقع من قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومثله قول عبد المؤمن الأصفهاني: لا تغرّنْك من الظلمة كثرةُ الجيوش والأنصار: "إنما نؤخّرهم ليوم تشخصُ فيه الأبصار"، فالاقتباس واقعٌ في العبارة الأخيرة، وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

ثانياً: الاقتباسُ من الحديث الشريف:

ومثال الاقتباس من الحديث الشريف في مجال الشعر قول أبي جعفر الأندلسي:

لا تعادِ الناسَ في أوطانهم قلّما يُرعَى غريبُ الوَطَنِ

وإذا ما شئت عيشاً بينهمْ " خالق الناسَ بخُلُقٍ حَسَنِ "

فقد اقتبس الشاعرُ عَجُزَ البيت من حديث رسول الله ﷺ: "خالق الناس بخُلُق حسن".

ومنه أيضاً قول الحريري : قلنا:"شاهت الوجوهُ، وقُبّحَ اللُّكَعُ ومن يرجوه".

فإن قوله:"شاهت الوجوه"[1] لفظ حديث.

- **الاقتباسُ المحرّف:**

ومن الاقتباس ما يُنقَل مُحرّفاً في لفظه عن الأصل قليلاً، كأن يُضاف حرفٌ أو كلمةٌ، أو يُقدّم شيءٌ ويؤخّرُ آخرُ، وذلك لضرورة الشعر، أو إتمام السجع، أو غير ذلك.

ومثالنا عليه قول الشاعر محمد الشجاعي:

لا تُعاشِرْ مَعْشَراً ضلّوا الهُدى فَسَواءٌ أقْبلوا أو أدْبَروا

بَدَتِ البَغْضاءُ مِن أفواهِهِم والذي يُخْفونَ مِنه أكبرُ

فالشاهد في البيت الثاني، حيث اقتبسه الشاعر من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ومنه قول ابن عبّاد:

١- قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ كفاً من الحصباء يوم اشتدت الحرب يوم حنين، فرمى بها في وجوه المشركين، وقال شاهت الوجوه! أي قُبحت، و(اللكع) اللئيم، وقيل هو العبدُ.

قـــال لي: إنّ رقيبـــــي سَيّءُ الخُلْـــق فداره

قلتُ :دَعْني ،" وجْهُك الجنـــ ـــةُ حُفَّتْ بالمكـــاره"

حيث الاقتباس واقعٌ في قوله (وجهُك الجنةُ حُفّت بالمكاره) وقد اقتبَسها من لفظ الحديث: "حُفّتِ الجنةُ بالمكاره، وحُفّتِ النارُ بالشهواتِ" فانظر إلى تركيب الجملة كيف عدل فيه، وغيّر في مواقع كلماته، وما ذلك إلا لضرورة اقتضاها نقلُ اللفظ واستعمالُه في غير ما وُضع له أصلاً.

ومن الأمثلة المحرّفة قليلاً قولُ أبي تمام يرثي ابناً له:

قَدْ كان ما خِفتُ أنْ يكونا "إنا إلى الله راجعونـــا"

وهو مقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] .

ومنه ما جاء في قول أحدهم:

واستَجِبْ في الهَوَى دُعائيَ إني " لم أكن بالدعاء ربِّ شَقِيًا "

وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم: ٤].

ومنه أيضاً قول أبي الحسن الباخرزيّ، صاحبِ دمية القصر:

يا حاديَ العيس رفقاً بالقواريرِ وقِفْ فليسَ بعسارٍ وقفةُ العيـــرِ

واحلبْ مآقي عَيْنٍ طالما قطَرَتْ حُمْرَ الدُّموعِ على البيضِ المقاصيرِ

اقتبسه من قول رسول الله ﷺ لأنجشَةَ، وكان يحدو بالإبل التي عليها نساءُ الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "يا أنجشَةُ! رُويدك بسوقِكَ بالقواريرِ".

بلاغة الاقتباس وجمالياته:

تتمثل بلاغة الاقتباس وقيمته الفنية في أمور كثيرة؛ منها:

١- أنه يُضفي على النص شيئا من القداسة الدينية، فيمد المتلقي بشعور من السكينة والهيبة والاطمئنان.

٢- أنه يمنح النص مظهراً من مظاهر القوة والمتانة، ومردّ ذلك يعود إلى أن المنشئ يستعير قوة من قوة ذلك النص، فينتصر لرأيه، ويقوي فكرته، ويدعم قوله، وبذلك يزداد التأثير، وترتفع منزلة الكلام وصاحبه.

٣- أن استخدام الاقتباس يرفع من قيمة النص الفنية والمعنوية؛ ومن هنا أوجب العلماء حسن استخدامه في المواقع التي يصلح فيها، ورفضوا منه ما جاء في نظم بعض الشعراء على طريق الفحش والمجون، وهنا تنقل لنا المصادر بعض هذه الشواهد، منها قول ابن النبيه في قصيدة يمدح فيها القاضي الفاضل:[1]

قمت ليل الصدود إلا قليلاً ثم رتّلتُ ذِكرَكُم ترتيلاً
ووصلت السهاد أقبح وصلٍ وهجرت الرقاد هجراً جميلا
مَسمعٌ قلّ من سماعِ عذولٍ حين ألقي عليه قولاً ثقيلاً
لا تسمه وعداً بغير نوالٍ إنه كان وعده مفعولاً
جلّ عن سائر الخلائق قدراً فاخترعنا في مدحه التنزيلا

١- انظر هذا الشاهد وشواهد أخرى مماثلة في معاهد التنصيص ٤/٢٤٥.

تدريب محلول:

استخرج من الشواهد الآتية الاقتباسَ وبيّن نوعَه:

١-وثغرٍ تنضّدَ من لُــــؤلـــــؤ　　بألبَاب أهلِ الهوى يلعبُ

إذا ما ادلَهَمَّت خُطوبُ الهوى　　"يكادُ سَـنَا بَرْقِهِ يذهبُ"

٢-سبقتُ العالمينَ إلى المعالــــي　　بصائبِ فِكْرَةٍ وعُلوِّ هِمَّةْ

ولاحَ بحكمتي نورُ الهدى في　　ليـــالٍ للضلالةِ مُدْلَهِمَّةْ

يريد الجاهلــــون لِيُطفِئُــوهُ　　" ويأبى الله إلاَّ أن يُتِمَّه "

٣- قال الحريريُ: أنا أنبئكم بتأويله، واميزُ صحيحَ القولِ من عليله.

٤-رَحلوا فلَستُ مُسائلاً عن دَارِهِمْ　　أنا " باخعٌ نفْسي على آثارِهم"

٥-لا تكن ظَالمـاً ولا ترضَ بالظُلْــ　　ـم و أنكر بِكُلِّ ما يُستطاع

يَوْمَ يَأْتي الحِسَابُ "ما لِظَلُـــــومٍ　　من حَميمٍ ولا شَفيعٍ يُطـاعُ "

٦-إن كانت العشاق من أشواقهم　　جعلوا النسيم إلى الحبيب رســولا

فَأنا الذي أتلــو لَهُمْ " يا ليْتَني　　كُنتُ اتّخذْتُ مَعَ الرّسُولِ سَبيْلا "

٧-أيُّها السَائِلُ قَوْمــاً　　ما لَهُمْ في الخَيْرِ مَذْهَبْ

اتْرُكِ النَّاسَ جَمِيْعاً　　"وإلى رَبِّكَ فارْغَـبْ "

٨- قال ابنُ نباتةَ الخطيب: فيا أيها الغفلةُ المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدّقون ما لكم لا تشفقون؟ "فوربِ السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون"

٩- قال الحريري: وكتمانُ الفقرِ زهاده ، " وانتظار الفرجِ بالصبرِ عباده ".

١٠-يا نَظرَةً ما جلَتْ لي حُسْنَ طلعتِهِ　　حتّى انقضَـــتْ وأدامتْني على وَجَلِ

عاتبتُ إنسانَ عيني في تَسَـرُّعِه　　فقالَ لي: "خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلِ"

الإجابات:

١- الاقتباس واقع في عجز البيت الثاني، وهو من قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣].

٢- الشاهد في البيت الثالث وهو مقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

٣- الاقتباس واقع في قوله: "أنا أنبئكم بتأويله" وهو مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥].

٤- الاقتباس واقع في قوله: "باخع نفسي على آثارهم"، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ [الكهف: ٦].

٥- الاقتباس واقعٌ من قوله: "ما لظلوم من حميم ولا شفيع يُطاعُ"، وهو مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وفيه بعضُ التحريفِ في كلمة (الظالمين) كما ترى.

٦- الاقتباس واقع في قوله: "يا ليتني كنتُ اتخذتُ مع الرسولِ سبيلاً"، وهو مقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٢٧]. وهو اقتباسٌ محرَّفٌ؛ لأنه أضاف كلمة (كنت) في شعره.

٧- عجْزُ البيت الثاني مقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨].

٨- العبارة الأخيرة مقتبسةٌ بتمامها، وهي في سورة الذاريات / ٢٣ .

٩- العبارة الأخيرة هي لفظُ حديثِ الرسول ﷺ: "انتظارُ الفرج بالصبرِ عبادةٌ".

١٠- العبارة الأخيرة في عجْزِ البيت الثاني مقتبسةٌ بتمامها، وهي في سورة الأنبياء /٣٧.

تدريب يطلب حله:

تحدّث عن الاقتباس في الشواهد الآتية وبيِّن نوعه:

١- اعبُدِ اللهَ ودَعْ عنـــ ـــكَ التَّوانِي بالهُجُودِ
"ومن الليلِ فسبِّحـ ـــهُ وأدبارَ السُّجُودِ"

٢- لئن أخطأتُ في مدْحيـ ـــكَ ما أخطأتَ في منْعي
لَقدْ أنزلْتُ حاجاتي "بوادٍ غيرِ ذي زَرعٍ"

٣- قال ابنُ نباتةَ الخطيبُ يذكر فيها يوم القيامة: هناك يُرفعُ الحجابُ ويُوضَعُ الكتابُ ويُجمَعُ من وجبَ له الثوابُ وحقَّ عليه العقابُ، فيضربُ بينهم بسورٍ له بابٌ باطنُه فيه الرحمةُ وظاهرُه من قِبَلِه العذابُ.

٤- رُبَّ بَخيلٍ لو رأى سـائلاً لَظَنَّــهُ رُعْباً رسُــولَ المنُونْ
لا تطْمَعُوا في النَّزْرِ من نَيْلِهِ "هيهاتَ هيهاتَ لما توعدون"

٥- يَتَمنَّى المرءُ في الصيفِ الشِّتا فإذا جاءَ الشِّتا أنْكَرَهْ
لا بذَا يَرْضَى ولا يَرْضَى بذَا "قُتِلَ الإنسانُ ما أكفره"

٦- جاء في كتاب لمحيي الدين عبد الظاهر: "لا عدمَتِ الدَّولةُ بيضَ سيوفه التي "ترى بها الذين كَذَبوا على الله وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّة".

٧- أقولُ وقد رأيتُ لَهُ سَحَابَا من الهِجْـرَانِ مُقْبِلَـــةً إلَيْنَـــا
وقَدْ سَحَّتْ غَوَادِيهَا بِهَطْلٍ "حوالينا" الصدودُ "ولا علينا"

٨- أشكو الأقاربَ لا يغبُّ جفاهم يبغي أذاي صغيرُهم وكبيرُهم
هم يعلنونَ لدى اللقـاءِ مودّتي واللهُ يعلمُ ما تكنُّ صدورُهُم

١٠- التضمين

التضمين **لغةً**: من ضمَّن الشيء الشيءَ: جعله فيه و أودعه إيَّاه، وتضمينُ الوعاء ونحوه الشيء: احتواؤه واشتماله عليه.

وهو **اصطلاحاً**: أن يُضمِّن الشاعر كلامَه شيئاً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند الفصحاء، فإنَّ شهرتَه تكفي للتنبيه عليه. فإذا لم يكن مشهوراً، ولم يُنبه عليه كان سرقةً.

ويقسم التضمينُ بهذا المعنى إلى:

١- **التضمين التام**:

وهو أن يُضاف بيت كاملٌ إلى قصيدةٍ على نحو أنه منها، وهو ليسَ كذلك، نحو قول إبراهيمَ بن عباسٍ الصوليّ:

أولى البريّة طرّاً أن تواسيهُ عند السُّرور الذي واساكَ في الحَزَنَ

" إن الكرام إذا ما أيْسَرُوا ذكروا من كان يألَفُهُمْ في المنـزلِ الخَشِنِ"

فالبيتُ الأخيرُ ليس للصولي، بل هو لأبي تمام، وهو تضمينٌ تامٌّ، لأنه أضاف بيتاً كاملاً إلى قصيدته، دون أن يغيّر فيه.

ومنه قول ابن التلميذ الطبيب النصراني:

كانت بُلَهْنِيَةُ الشبيبةِ سكرةً فصحوتُ فاستبدلتُ سيرةَ مجملِ[1]

"وقعدتُ أنتظرُ الفَنَاءَ كراكبٍ عَرَفَ المحلَّ فبَاتَ دُونَ المنـزلِ"

فالبيت الأخير لمسلمِ بنِ الوليدِ الأنصاريّ.

---

١ - بلهنية: سعة العيش، والسيرة: الطريقة، والمجمل: الآتي بالشيء الجميل.

ومنه قول مجير الدين بن تميم، الذي يعد أكثر المتأخرين شغفاً بالتضمين:(١)

أزهرَ اللوزِ أنــتَ لكل زهْــرٍ ... مــن الأزهــارِ يأتــينا إمَــامُ
"لقد حَسُنت بك الأيامُ حتى ... كأنَّك في فمِ الدنيا ابتســـامُ"

ومثالُ تضمين البيت مع التنبيه عليه قول عبد القاهر التميميّ:

إذا ضاقَ صَدري وخفتُ العدا ... تَمثَّلْــتُ بيتاً بحالي يليقُ
"فــباللهِ أبلُــغُ مــا أرتجــي ... وباللهِ أدفعُ ما لا أُطيقُ"

فقوله: "تمثَّلت بيتاً بحالي يليقُ" اعترافٌ صريحٌ أن البيت ليس له.

ومن هذا النوع قول ابن العميد:

وصاحبٍ كنتُ مَغبوطاً بصُحبتِه ... دَهراً فغادَرَني فرداً بلا سَــكنِ
هبَّتْ له ريحُ إقبالٍ فطــارَ بها ... نحوَ السُّرورِ وألجــأني إلى الحَزَنِ
كأنَّــهُ كان مَطْوِياً على إحَنٍ ... ولم يكنْ في ضُرُوبِ الشِّعر أنشدني
"إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم بالمنــزل الخشن"

فالبيت الأخير ليس لابن العميد؛ بل هو لأبي تمام، وقد ضمنه قصيدته، منبهاً على أنه ليس له بقوله: "ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني".

٢- **التضمين المجزوء:**

وهو أن يُضاف مصراعٌ من بيت إلى القصيدة ليلاقيَ أخاه على نحو أنه منها، وهو ليس كذلك. ومثالنا عليه قول ابن السرّاج الورّاق:

توارتْ من الواشي بليلِ ذوائبٍ ... له من جَبينٍ واضحٍ تحتــه فَجرُ
فَدلَّ عليها شَعْرُهــا بِظلامِــه ... "وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البدرُ"

---

١ – هو القائل: أطالعُ كلَّ ديــوانٍ أراه ... ولم أزجر عن التضمين طيري
أُضمِّنُ كلَّ بيتٍ فيه معنى ... فشِعْري نصفه من شعر غيري

فقد ضمَّن الناظمُ شعرَه عجز بيتٍ لأبي فراس الحمداني، ومطلعُه: "سيذكرني قومي إذا جدّ جدهم".

ومن هذا النوع قول ابن أبي الإصبع المصريّ:

إذا الوَهمُ أبدَى لي لَماها وثَغرَهَا … "تَذَكَّرتُ ما بينَ العُذَيبِ وبَارِق

ويذكِرُني من قَدِّهَا و مَدامعي … مَجَرُّ عسواليِنا ومجرى السوابِـق"[١]

المصراعانِ الأخيرانِ هما مطلعُ قصيدة لأبي الطيب المتنبي يمدحُ بها سيف الدولة، والبيت هو:

تذكرتُ ما بينَ العُذيبِ وبارق … مجرُّ عسوالينا ومجرى السوابــق.

ومثال تضمين شطر بيت مع التنبيه عليه قولُ البارودي:

فلو كنتُ في عَصرِ الكلامِ الذي انقَضَى … لَباءَ بفضلي جرولٌ وجَريرُ

ولو كنتُ أدركتُ النُّواسي لم يقُل … "أجَارة بَيتينا أبوكِ غَيورُ"

فقد صرح الشاعر بنسبة عجز البيت لأبي نواس.

٣- **التضمين المحرف:**

وهو أن يضمِّن الشاعرُ شيئاً من شعر غيره بعد أن يغيِّرَ في أحد ألفاظه أو بعضها، شرطَ أن لا يكونَ هذا التغييرُ سبباً لضياع المعنى.

ومثالنا عليه قول الشاعر:

أقولُ لمَعشرٍ غَلِطوا وغضّوا … عن الشَّيْخ الرَّشيد وأنكَروه

هو ابنُ جَــلاَ وطَــلاَّعُ الثنــايا … متَى يضعِ العَمَامَــةَ تَعرِفوه .

فالبيت الثاني لسحيمِ بن وثيلٍ، وأصلُه:

أنا ابنُ جَلاَ وطلاَّعُ الثنايا … متَى أضعِ العَمَامَـةَ تَعرِفوني.

١- العوالي: جمع عالية وهو ما يلي السنان من الرمح. والسوابق جمع سابق والمراد الفرس.والعذيب وبارق موضعان.

لكنَّ الشاعرَ أورده مع قليل من التحريف، فنقله من طريقة التكلم إلى طريقة الغيبة.

ومن هذا النوع قول أبي نواس:

دارتْ على فِتيَةٍ ذَلَّ الزمانُ لَهُم فما يُصيبُهُمُ إلاَّ بما شاؤوا.

وهو مأخوذ من قول أبي الفرج الأصفهاني:

لهفي على فِتيَةٍ ذَلَّ الزمانُ لَهُم فما أصابهُمُ إلاَّ بما شاؤوا

فحرَّفَ أبو نواسٍ فيه قليلاً في لفظي "دارت" و"يصيبهم".

بلاغة أسلوب التضمين وجمالياته:

يبدو أن بلاغة هذا الأسلوب تعتمد في كثير منها على ما في الاقتباس من بلاغة وتأثير، وإن كان ميدان كلٍّ منهما مختلفاً عن الآخر، فالاقتباس مختصٌ بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والتضمين مختص بالمنظوم من الكلام.

ولا جدال في أن هذا الأسلوب ينشط الفعالية الإدراكية لدى المتلقي، ومرد ذلك يعود إلى أن المتكلم قد وجد تجارب مشابهة لتجربته الشعرية الخاصة، فحاكاها محاوراً ومستلهماً، وفي ذلك تأكيد لصوته من جهة، وتأكيد لوحدة التجربة الإنسانية من جهة أخرى، وهذا يدلل على التفاعل الأكيد بين أجزاء التاريخ الروحي والفكري للإنسان.

تدريب محلول:

تحدَّث عن التضمينِ وأشكالهِ فيما يأتي:

١-على أنّي سأُنشِدُ عندَ بيعي "أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا"

٢- قال إبراهيم ناجي يصفُ تائهاً في الصحراء يبحث عن ماء، فيقعُ على كنـز:

أريدُ من زمني ماءً فيَمنَحَــني مالاً فمَــا ذلك التَّنغيصُ يــا زمَنُ

"ما كل ما يتمنى المرءُ يُدرِكُهُ تَجري الرياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ"

٣- قال الغواص التنوخي يرثي مجد العرب:

بَكيتُ على قومي وسالفِ مجدهم ولا يَشتكي الأحــرارُ غيرَ تَغَمغُمِ

حَضَارتُهم غابت كأنّي لذِكرهــا يَمُرُّ عَرفــتُ الــدارَ بعدَ تَوهُّمِ

٤-أتَعدِلُ أحساباً كراماً حُماتُها بأحسابِكُم، إنِي إلى اللهِ راجعُ

٥-قد قلــتُ لمّا أطلَعَت وجناتُهُ حولَ الشقيقِ الغضِّ رَوضَةَ آسِ:

أعِذاره الساري العَجُولَ تَرَفَّقاً "ما في وقوفك ساعة من باسِ"

الإجابات:

١- ضمَّنَ الحريريُّ بيته مصراعاً لأميَّةَ بن الصَّلت، وتمامهُ: "ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغرِ"، وهو من التضمين المجزوء.

٢- هو من التضمين التام، فالبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي.

٣- البيت الأولُ مأخوذٌ من قول عنترةَ مع شيء من التَّصرف والتحريف:

في حَومَةِ الحربِ التي لا تشتكي غمَراتِها الأبطالُ غير تغمغم

٤-أورد الفرزدق هذا البيت في شعره بعد أن أوقع فيه تحريفاً في لفظي "اللئام" و"بأحسابِكم". إذ قال:

أتعدل أحساباً لئاماً حُماتُها بأحسابنا، إني إلى الله راجعُ

٥- المصراع الأخير المُضَمَّن من مطلع قصيدة لأبي تمام، جاء فيها:

ما في وُقوفِكَ ساعةً من باسِ نقضي حقوقَ الأربعِ الأدراسِ

تدريب يطلب حله:

تحدث عن التضمين وأشكاله فيما يأتي:

١- قال أبو الحسن حازمٌ في مدح النبي ﷺ مضمنًا أعجاز معلقة امرئ القيس:

لِعَينيكَ قل إن زُرتَ أفضلَ مُرسَلِ — قِفَا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
وفي طيْبةٍ فانزلْ ولا تَبْغِ منزلاً — بسقط اللوى بين الدّخول فحوملِ
نَبِيٌّ هُدى قد قال للكُفرِ نورُه — ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ

٢- قال الشهابُ الحلبيُّ مضمناً بيتاً للنابغة:

وبتنا على حكمِ الصبابة مَطعمي — زفيري وأشجاني وشربي المدامعُ
وخِلّي يعاطيني كؤوس مدامة — وينشدني، والهم للقلب صادعُ
أتطمعُ من ليلي بوصل، إنما — تقطّع أعناق الرجال المطامعُ
"فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة — من الرقش في أنيابها السم ناقعُ"

٣- له شَفَةٌ أضاعوا النَّشْرَ منها — بلثمٍ حينَ سدّتْ ثغرَ بدرِي
فما أشهى لقلبي ما أضاعوا — "ليوم كريهة وسدادِ ثغرِ"

٤-جلا ثغراً وأطلع لي ثنايا — يشوّق بها المحبّ إلى المنايا
فأنشدَ ثغرهُ يبغي افتخاراً — "أنا ابنُ جلا وطلّاع الثنايا".

٥-تنقّلْ فلذّاتُ الهوى في التنقّلِ — وَرِدْ كلَّ صافٍ لا تقفْ عند منهلِ
وإن سار من تهوى فَسِرْ عن جنابه — ولا تسكُبَنْ دمعاً على متَرحِّلِ
ولا تعتبرْ قولَ امرئ القيس إنه — ضليلٌ ومن ذا يقتدي بالمُضلّلِ
ففي الأرضِ أحبابٌ وفيها منازلٌ — "فلا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ"

نصّان من التراث

الأوّل: الفرق بين التشبيه والاستعارة

من كتاب *أسرار البلاغة*" لعبد القاهر الجرجاني

(ت ٤٧٠ هـ).

الثاني: سرقات الشعر وما يتبع ذلك

من كتاب *الإشارات والتنبيهات*" لمحمد بن علي الجرجاني

(ت ٧٢٩هـ).

أولاً: الفرق بين التشبيه والاستعارة

من كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٠ هـ

فصل

في الفرق بين التشبيه والاستعارة

إنّ الاسم إذا قصد إجراؤه على غير ما هو له لمشابهة بينهما كان ذلك على ما مضى من الوجهين: (أحدهما) أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته وذلك أن تقول ((عنت لنا ظبية)) وأنت تريد امرأة، ((ووردنا بحراً)) وأنت تريد الممدوح، فأنت في هذا النحو من الكلام إنما تعرف أن المتكلم لم يرد ما الاسم موضوع له في أصل اللغة بدليل الحال أو إفصاح المقال بعد السؤال أو بفحوى الكلام وما يتلوه من الأوصاف. مثال ذلك أنك إذا سمعت قوله:

ترنح الشرب واغتالت حلومهم   شمسٌ ترجل فيهم ثم ترتحل

استدللت بذكر الشرب واغتيال الحلوم والارتحال أنه أراد قينة، ولو قال ترجلت شمس ولم يذكر شيئاً غيره من أحوال الآدميين لم يعقل قط أنه أراد امرأة إلا بإخبار مستأنف أو شاهد آخر من الشواهد.

ولذلك تجد الشيء يلتبس حتى على أهل المعرفة، كما روي أن عديّ ابن حاتم اشتبه عليه المراد بلفظ الخيط في قوله تعالى: ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ وحمله على ظاهره، فقد روى أنه قال: لما

نزلت هذه الآية أخذتُ عقالاً أسود وعقالا أبيض فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبيّن، فذكرت ذلك للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: ((إن وسادك لطويل عريض إنما هو الليل والنهار)).

(والوجه الثاني) أن يذكر كل واحد من المشبه والمشبه به، فتقول: زيد أسد، وهند بدر، وهذا الرجل الذي تراه سيف صارم على أعدائك.

وقد كنت ذكرت فيما تقدم أن في إطلاق الاستعارة على هذا الضرب الثاني بعض الشبهة ووعدتك بكلام يجيء في ذلك وهذا موضعه.

اعلم أن الوجه الذي يقتضيه القياس وعليه يدل كلام القاضي في الوساطة أن لا تطلق الاستعارة على نحو قولنا: ((زيد أسد وهند بدر)). ولكن تقول هو تشبيه، فإذا قال: هو أسد، لم تقل استعار له اسم الأسد، ولكن تقول شبّهه بالأسد، وتقول في الأول إنه استعارة لا تتوقف فيه ولا تتحاشى البتة، وإن قلت في القسم الأول إنه تشبيه كنت مصيباً، من حيث تخبر عمّا في نفس المتكلم وعن أصل الغرض، وإن أردت تمام البيان قلت: أراد أن يشبه المرأة بالظبية فاستعار لها اسمها مبالغة. فإن قلت فكذلك فقل في قولك (زيد أسد) إنه أراد تشبيهه بالأسد فأجرى اسمه عليه، ألا ترى أنك ذكرته بلفظ التنكير فقلت: زيد أسد، كما تقول زيد واحد من الأسود فما الفرق بين الحالين، وقد جرى الاسم في كل واحد منهما على المشبه؟ فالجواب أن الفرق بيّن، وهو أنك عزلت في القسم الأول الاسم الأصلي عنه واطرحته وجعلته كأن ليس باسمٍ له، وجعلت الثاني هو الواقع عليه والمتناول له، فصار قصدك التشبيه أمراً مطوياً في نفسك، مكنوناً في ضميرك، وصار في ظاهر الحال وصورة الكلام وقضيته، كأنّه الشيء الذي وضع له الاسم في اللغة وتصور أن تعلقه الوهمُ كذلك. وليس كذلك القسم الثاني لأنك قد صرحت فيه بالمشبه وذكرك

له صريحاً يأبى أن تتوهم كونه من جنس المشبه به. وإذا سمع السامع قولك: ((زيد أسد وهذا الرجل سيف صارم على الأعداء)) استحال أن يظن- وقد صرحت له بذكر زيد- أنك قصدت أسداً وسيفاً، وأكثر ما يمكن أن يدّعي تخيّله في هذا أن يقع في نفسه من قولك: زيد أسد، حال الأسد في جراءته وإقدامه وبطشه، فأما أن يقع في وهمه أنه رجل وأسد معاً بالصورة والشخص فمحال.

ولما كان كذلك، كان قصد التشبيه من هذا النحو بيّناً لائحاً، وكائناً من مقتضى الكلام، وواجباً من حيث موضوعه، حتى إن لم يحمل عليه كان محالاً، فالشيء الواحد لا يكون رجلاً وأسداً، وإنما يكون رجلاً وبصفة الأسد فيما يرجع إلى غرائز النفوس والأخلاق، أو خصوص في الهيئة كالكراهة في الوجه، وليس كذلك الأول، لأنه يحتمل الحمل على الظاهر على الصحة، فلست بممنوع من أن تقول: عنّت لنا ظبية، وأنت تريد الحيوان، وطلعت شمس، وأنت تريد الشمس، كقولك: طلعت اليوم شمس حارة، وكذلك تقول: هززت على الأعداء سيفاً، وأنت تريد السيف، كما تقوله وأنت تريد رجلاً باسلاً استعنت به، أو رأياً ماضياً وفقت فيه، وأصبت به من العدو فأرهبته وأثّرت فيه.

وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن يفصل بين القسمين، فيسمى الأول استعارة على الإطلاق، ويقال في الثاني إنه تشبيه، فأما تسمية الأول تشبيهاً فغير ممنوع ولا غريب، إلا أنه على أنك تخبر عن الغرض وتنبئ عن مضمون الحال، فأما أن يكون موضوع الكلام وظاهره موجباً له صريحاً فلا، فإن قلت: فكذلك قولك ((هو أسد)) ليس في ظاهره تشبيه لأن التشبيه يحصل بذكر الكاف أو ((مثل)) أو نحوهما – فالجواب أن الأمر وإن كان

كذلك فإن موضوعه من حيث الصورة يوجب قصدك التشبيه لاستحالة أن يكون له معنى وهو على ظاهره، وله مثال من طريق العادة وهو أن مثل الاسم مثل الهيئة التي يستدل بها على الأجناس كزيّ الملوك وزي السوقة، فكما أنك لو خلعت من الرجل أثواب السوقة ونفيت عنه كل شيء يختص بالسوقة وألبسته زي الملوك فأبديته للناس في صورة الملوك حتى يتوهموه ملكاً وحتى لا يصلوا إلى معرفة حاله إلا بإخبار أو اختبار واستدلال من غير الظاهر – كنت قد أعرته بالحقيقة هيئة الملك وزيّه على الحقيقة، ولو أنك ألقيت عليه بعض ما يلبسه الملك من غير أن تعريه من المعاني التي تدل على كونه سوقة لم تكن قد أعرته بالحقيقة هيئة الملك، لأن المقصود من هيئة الملك أن يحصل بها المهابة في النفس وأن يتوهم العظمة، و لا يحصل ذلك مع وجود الأوصاف الدالة على أن الرجل سوقة.

افرض هذه الموازنة في الشيء الواحد كالثوب الواحد يعاره الرجل فيلبسه على ثوبه أو منفرداً، وإنما اعتبر الهيئة وهي تحصل بمجموع أشياء، وذلك أن الهيئة هي التي يشبه حالها حال الاسم لأن الهيئة تخص جنساً كما أن الاسم كذلك، والثوب على الاطلاق لا يفعل ذلك إلا بخصائص تقترن به وتراعى معه، فإذا كان السامع قولك ((زيد أسد)) لا يتوهم أنك قصدت أسداً على الحقيقة لم يكن الاسم قد لحقه ولم تكن قد أعرته إياه إعارة صحيحة، كما أنك لم تعر الرجل هيئة الملك حين لم تزل عنه ما يعلم به أنه ليس بملك.

هذا- وإذا تأملنا حقيقة الاستعارة في اللغة والعادة كان في ذلك أيضاً بيان لصحة هذه الطريقة ووجوب الفرق بين القسمين، وذلك أن من شرط المستعار أن يحصل للمستعير منافعه على الحد الذي يحصل للمالك، فإن كان ثوباً لبسه كما لبسه، وإن كان أداة استعملها في الشيء تصلح منه، حتّى إن

الرائي إذا رآه معه لم تنفصل حاله عنده من حال ما هو ملك يد ليس بعارية وإنما يفضله المالك في أن له أن يتلف الشيء جملة أو يدخل التلف على بعض أجزائه قصداً وليس للمستعير ذلك، ومعلوم أن ما هو كالمنقعة من الاسم أن يوجب ذكره القصد إلى الشيء في نفسه، فإذا قلت ((زيد)) علم أنك أردت أن تخبر عن الشخص المعلوم، وإذا قلت ((لقيت أسداً)) علم أنك علقت بواحد من هذا الجنس، وإذا كان الأمر كذلك ثم وجدنا الاسم في قولك ((عنّت ظبية)) يعقل من إطلاقه أنك قصدت الجنس المعلوم، ولا يعلم أنك قصدت امرأة، فقد وقع من المرأة في هذا الكلام موقعه من ذلك الحيوان على الصحة، فكان ذلك بمنزلة أن المستعير ينتفع بالمستعار انتفاع مالكه فيلبسه لبسه، ويتجمل به تجمله، ويكون مكانه عنده مكان الشيء المملوك، حتى يعتقد من ينظر إلى الظاهر أنه له، ولما وجدنا الاسم في قولك ((زيد أسد)) لا يقع من زيد ذلك الموقع من حيث أن ذكره باسمه يمنع من أن يصير الاسم مطلقاً عليه ومتناولاً له على حد تناوله ما وضع له، وزانَ ذلك وزان أن يضع الرجل عند الرجل ثوباً ويمنعه أن يلبسه أو بمنزلة أن تطرح عليه طرف ثوب كان عليك فلا يكون ذلك عارية صحيحة لأنك لم تدخله في جملته، ولم تعطه صورة ما يختص به ويصير إليه ويخفى كونه لك دونه، فاعرفه.

***

وههنا فصل آخر من طريق موضوع الكلام يبيّن وجوب الفرق بين القسمين، وهو أن الحالة التي يُختلف في الاسم إذا وقع فيها أيسمى استعارة أم لا يسمى هي الحالة التي يكون الاسم فيها خبر مبتدأ أو متنزلاً منزلته، أعني أن يكون خبر **كان** ومفعولا ثانياً لباب علمت، لأن هذه الأبواب كلها أصلها مبتدأ وخبر، **ويكون** حالا لأن الحال عندهم زيادة في الخبر فحكمها حكم الخبر فيما قصدته ههنا خصوصا، والاسم إذا وقع في هذه المواضع فأنت واضع كلامك لإثبات معناه وإن أدخلت النفي على كلامك تعلّق النفي بمعناه.

تفسير هذه الجملة أنك إذا قلت ((زيد منطلق)) فقد وضعت كلامك لإثبات الانطلاق لزيد. ولو نفيت فقلت ((ما زيد منطلقاً)) كنت نفيت الانطلاق عن زيد. وكذلك ((كان زيد منطلقاً، وعلمت زيداً منطلقاً، ورأيت زيداً منطلقاً)). أنت في ذلك واضع كلامك ومُزْجٍ له لتثبيت الانطلاق لزيد ولو خولفت فيه انصرف الخلاف إلى ثبوته. وإذا كان الأمر كذلك فأنت إذا قلت: زيد أسد، ورأيت أسداً، فقد جعلت اسم المشبه به خبراً عن المشبه. والاسم إذا كان خبراً عن **الشيء كان** خبراً عنه إمّا لإثبات وصف هو مشتق منه لذلك الشيء كالانطلاق في قولك ((زيد منطلق)) أو إثبات جنسية هو موضوع لها كقولك: هذا رجل. فإذا امتنع في قولنا ((زيد أسد)) أن تثبت شبه الجنسية لزيد على الحقيقة كان لإثبات شبه من الجنس له، وإذا كنّا إنما نثبت شبه الجنس فقد اجتلبنا الاسم لنحدث به التشبيه الآن ونقرره وندخله في حيز الحصول والثبوت، وإذا كان كذلك كان خليقاً بأن نسميه تشبيهاً إذا كان إنما جاء ليفيده ويوجبه.

وأما الحالة الأخرى التي قلنا إن الاسم فيها يكون استعارة من غير خلاف فهي حالة إذا وقع إذا وقع الاسم فيها لم يكن الاسم مجتلباً لإثبات معناه

للشيء ولا الكلام موضوعا لذلك، لأن هذا حكم لا يكون إلاّ إذا كان الاسم في منزلة الخبر من المبتدأ. فأما إذا لم يكن وكان مبتدأ بنفسه أو فاعلا أو مفعولا أو مضافا إليه فأنت واضع كلامك لإثبات أمر آخر غيرما هو معنى الاسم.

بيان ذلك أنك إذا قلت: جاءني أسد ورأيت أسدا ومررت بأسد، فقد وضعت الكلام لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية والمرور واقعين منك عليه. وكذلك إن قلت: الأسد مقبل، فالكلام موضوع لإثبات الإقبال للأسد لا لإثبات معنى الأسد. وإذا كان الأمر كذلك ثم قلت: عنت لنا ظبية وهزت سيفا صارما على الأعداء – وأنت تعني بالظبية امرأة وبالسيف رجلا، لم يكن ذكرك للاسمين في كلامك هذا لإثبات الشبه المقصود الآن. وكيف يُتصوّر أن يقصد إلى إثبات الشبه منهما لشيء وأنت لم تذكر قبلهما شيئا ينصرف إثبات الشبه إليه، وإنما يثبت الشبه من طريق الرجوع إلى الحال والبحث عن خبيء في نفس المتكلم وإذا كان كذلك بان أن الاسم في قولك: زيد أسد – مقصود به إيقاع التشبيه في الحال وإيجابه.

وأما في قولك: عنت لنا ظبية، وسللت سيفاً على العدو، فوَضع الاسم هكذا انتهازاً واقتضاباً على المقصود وادعاء أنه من الجنس الذي وضع له الاسم في أصل اللغة. وإذا افترقا هذا الافتراق وجب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة، كما أنا نفصل بين الخبر والصفة في العبارة لاختلاف الحكم فيهما بأن الخبر إثبات في الوقت للمعنى، والصفة تبيين وتوضيح وتخصيص بأمر قد ثبت واستقر وعرف، فكما لم نرض لاتفاق الغرض في الخبر والصفة على الجملة واشتراكهما إذا قلت ((زيد ظريف وجاءني زيد الظريف)) في التباس زيد في الظرف واكتسابه له أن نجعلهما في الوضع الاصطلاحي شيئاً واحداً ولا نفرق بتسميتنا هذا خبراً وذاك صفة، كذلك

ينبغي أن لا يدعونا اتفاق قولنا: جاءني أسد: وهززت سيفاً صارماً، وقولنا: زيد أسد وسيف صارم في – مطلق التشبيه- إلى التسوية بينهما وترك الفرق من طريق العبارة، بل وجب أن نفرق فنسمي ذلك استعارة وهذا تشبيها فإن أبَيْتَ إلا أن تطلق الاستعارة على هذا القسم الثاني فينبغي أن تعلم أن إطلاقها لا يجوز في كل موضع يحسن دخول حرف التشبيه عليه بسهولة وذلك نحو قولك: هو الأسد وهو شمس النهار، وهو البدر حسنا وبهجة، والقضيب عطفاً، وهكذا كلّ موضع ذكر فيه المشبه به بلفظ التعريف. فإن قلت: ((هو بحر وهو ليث ووجدته بحراً)) وأردت أن تقول إنه استعارة كنتَ أعذرَ، أشبه بأن تكون على جانب من القياس، ومتشبثاً بطرف من الصواب، وذلك أن الاسم قد خرج بالتنكير عن أن يحسن إدخال حرف التشبيه عليه، فلو قلت هو كأسد وهو كبحر، كان كلاماً نازلاً غير مقبول كما يكون قولك هو كالأسد، إلا أنه وإن كان لا تحسن فيه الكاف فإنه يحسن فيه ((كأن)) كقولك كأنه أسد، أو ما يجري مجرى ((كأن)) في نحو ((تحسبه أسدا وتخاله سيفا)) فإن غمض مكان الكاف وكأن بأن يوصف الاسم الذي فيه التشبيه بصفة لا تكون في ذلك الجنس وأمر خاص غريب فقيل: هو بحر من البلاغة، وهو بدر يسكن الأرض، وهو شمس لا تغيب. كقوله:

شمسٌ تألّقُ والفراق غروبها　　　عنّا وبدرٌ والصدود كسوفُهُ

فهو أقرب إلى أن تسمّيه استعارة لأنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه إذ لا تصل إلى الكاف حتى تبطل بنية الكلام وتبدل صورته فتقول: هو كالشمس المتألقة إلا أن فراقها هو الغروب وكالبدر إلا أن صدوده الكسوف.

وقد يكون في الصفات التي تجيء في هذا النحو والصلات التي توصل بها ما يختل به تقدير التشبيه فيقرب حينئذ من القبيل الذي تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه وذلك مثل قوله:

أسدٌ دمُ الأسدِ الهزبر خضابُهُ　　　　موتٌ فريصُ الموت منه تُرعِدُ

لا سبيل لك إلى أن تقول هو كالأسد وهو كالموت، لما يكون في ذلك من التناقض لأنك إذا قلت هو كالأسد فقد شبهته بجنس السبع المعروف، ومحال أن تجعله محمولاً في الشبه على هذا الجنس أولاً ثم تجعل دم الهزبر الذي هو أقوى الجنس خضاب يده، لأن حملك له عليه في الشبه دليل على أنه دونه، وقولك بعد ((دم الهزبر من الأسود خضابه)) دليل على أنه فوقها. وكذلك محال أن تشبهه بالموت المعروف ثم تجعله يخافه، وترتعد منه أكتافه، وكذا قوله:

سحابٌ عداني سيله وهو مسبلٌ　　　　وبحرٌ عداني فيضه وهو مفعمُ
وبدرٌ أضاء الأرض شرقاً ومغرباً　　　　وموضع رحلي منه أسود مظلمُ

إن رجعت فيه إلى التشبيه الساذج فقلت هو كالبدر ثم جئت تقول: أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رحلي مظلمٌ لم يضئ به، كنت كأنك تجعل البدر المعروف يلبس الأرض الضياء ويمنعه رحلك، وذلك محال وإنما أردت أن تثبت من الممدوح بدراً مفرداً له هذه الخاصة العجيبة التي لم تعرف للبدر، وهذا إنما يأتي بكلام بعيد من هذا النظم، وهو أن يقال هل سمعت بأن البدر يطلع في أفق ثم يمنع ضوؤه موضعاً من المواضع التي هي معرضة له وكائنة في مقابلته حتى ترى الأرض الفضاء قد أضاءت بنوره وفيهما بينهما قدر رحل مظلم يتجافى عنه ضوؤه ؟ ومعلوم بعد هذا من طريقة

البيت، فهذا النحو موضوع على تخييل أنّه زاد في جنس البدر واحد له حكم وخاصة لم تعرف. وإذا كان الأمر كذلك صار كلامك موضوعاً لا لإثبات الشبه بينه وبين البدر، ولكن لإثبات الصفة في واحد متجدد حادث من جنس البدر لم تعرف تلك الصفة للبدر، فيصير بمنزلة قولك: زيد رجل يقرى الضيوف ويفعل كيت وكيت. فلا يكون قصدك إثبات الصفة التي ذكرتها له، فإذا خرج الاسم الذي يتعلق به التشبيه من أن يكون مقصوداً بالإثبات تبيّن أنه خارج عن الأصل الذي تقدم من كون الاسم لإثبات الشبه. فالبحتري في قوله: ((وبدر أضاء الأرض)) قد بنى كلامه على أن كون الممدوح بدراً أمر قد استقر وثبت، وإنما يعمل في إثبات الصفة الغريبة والحالة التي هي موضع التعجب. وكما يمتنع دخول الكاف في هذا النحو كذلك يمتنع دخول ((كأن وتحسب وتخال)) فلو قلت: ((كأنه بدر أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رحلي منه مظلم)) كان خلفا من القول. وكذلك إن قلت (تحسبه بدراً أضاء الأرض ورحلي منه مظلم) كان كالأول في الضعف.

ووجه بُعدِهِ من القبول بيّن وهو أن ((كأن وحسبت وخلت وظننت)) تدخل إذا كان الخبر والمفعول الثاني أمراً معقولاً ثابتاً في الجملة إلا أنه في كونه متعلقاً بما هو اسم كأن أو المفعول الأول من حسبت مشكوك فيه كقولنا ((كأن زيداً منطلق)) أو مجاز يقصد به خلاف ظاهره نحو ((كأن زيداً أسد)) فالأول على الجملة ثابت معروف، والغريب هو كون زيد إياه ومن جنسه. والنكرة في نحو هذه الأبيات موصوفة بأوصاف تدل على أنك تخبر بظهور شيء لا يعرف ولا يتصور. وإذا كان كذلك كان إدخال ((كأن وحسبت)) عليه كالقياس على المجهول:

وتأمل هذه النكتة فإنه يضعف ثانياً إطلاق الاستعارة على هذا النحو أيضاً لأن موضوع الاستعارة كيف دارت القضية على التشبيه، وإذا بان بما ذكرت أن هذا الجنس إذا قلبت عن سرّه ونقرت عن خبيئه فمحصوله أنك تدّعي حدوث شيء هو من الجنس المذكور إلا أنّه اختص بصفة غريبة وخاصية بعيدة لم يكن يتوهم جوازها على ذلك الجنس كأنك تقول: ما كنا نعلم أن ههنا بدراً هذه صفته – كان تقدير التشبيه فيه نقضاً لهذا الغرض، لأنه لا معنى لقولك أشبهه ببدر حدث خلاف البدور ما كان يعرف.

وهذا موضع لطيف جداً لا تنتصف منه إلا باستعانة الطبع عليه، ولا يمكن توفية الكشف فيه حقه بالعبارة لدقّة مسلكه، ويتصل به أن في الاستعارة الصحيحة ما لا يحسن دخول كلم التشبيه عليه، وذلك إذا قوي الشبه بين الأصل والفرع حتى يتمكن الفرع في النفس بمداخلة ذلك الأصل والاتحاد به وكونه إياه، وذلك في نحو النور إذا استعير للعلم والإيمان والظلمة للكفر والجهل، فهذا النحو لتمكّنه وقوة شبهه ومتانة سببه قد صار كأنه حقيقة ولا يحسن لذلك أن تقول في العلم: كأنه نور، وفي الجهل كأنه ظلمة، ولا تكاد تقول للرجل في هذا الجنس ((كأنك قد أوقعتني في ظلمة)) بل تقول: أوقعتني في ظلمة. وكذلك الأكثر على الألسن والأسبق إلى القلوب أن تقول: فهمت المسألة فانشرح صدري وحصل في قلبي نور، ولا تقول: كأن نوراً حصل في قلبي، ولكن إذا تجاوزت هذا النوع إلى نحو قولك: سللت منه سيفاً على الأعداء، وجدت ((كأن)) حسنة هناك كثيراً كقولك: بعثته إلى العدو فكأني سللت سيفاً، وكذلك في نحو: زيد أسد ((كأن زيداً أسد)) وهكذا يتدرج الحكم فيه حتى كلّما كان مكان الشبه بين الشيئين أخفى وأغمض وأبعد من العرف كان الإتيان بكلمة التشبيه أبين وأحسن وأكثر في الاستعمال.

ومما يجب أن تجعله على ذُكر منك أبداً وفيه البيان الشافي أن بين القسمين تبايناً شديداً، أعني بين قولك: زيد أسد، وقولك: رأيت أسداً.

وهو ما قدمته لك من أنك قد تجد الشيء يصلح في نحو: زيد أسد، حيث يذكر المشبه باسمه أولاً ثم يجري اسم المشبه به عليه، ولا يصلح في القسم الآخر الذي لا يذكر فيه المشبه أصلاً وتطرحه. ومن الأمثلة البيّنة في ذلك قول أبي تمام:

وكان المطلُ في بدء وعود دخاناً للصنيعة وهْي نارُ

قد شبه المطل بالدخان، والصنيعة بالنار، ولكنه صرح بذكر المشبه وأوقع المشبه به خبراً عنه، وهو كلام مستقيم.ولو سلكت به طريقة ما يسقط فيه ذكر المشبه فقلت مثلاً: ((أقبستني ناراً لها دخان)). كان ساقطاً. ولو قلت: (أقبستني نوراً أضاء أفقي به)). تريد علماً، كان حسناً حسنةً إذا قلت: ((علمك نور في أفقي)). والسبب في ذلك أن اطراح ذكر المشبه والاقتصار على اسم المشبه به وتنزيله منزلته وإعطاءه الخلافة على المقصود، إنما يصح إذا تقرر الشبه بين المقصود وبين ما تستعير اسمه له وتستنيبه في الدلالة.

وقد تقرر في العرف الشبه بين النور والعلم وظهر واشتهر، كما تقرر الشبه بين المرأة والظبية، وبينها وبين الشمس، ولم يتقرر في العرف شبه بين الصنيعة والنار، وإنما هو شيء يضعه الآن أبو تمام، ويتمحله ويعمل في تصويره، فلا بد له من ذكر المشبه والمشبه به جميعاً، حتى يعقل عندما يريده، ويبيّن الغرض الذي يقصده، وإلا كان بمنزلة من يريد إعلام السامع أن عنده رجلاً هو مثل زيد في العلم مثلاً فيقول له: ((عندي زيد)) ويسومه

أن يعقل من كلامه أنه أراد أن يقول: عندي رجل مثل زيد أو غيره من المعاني، وذلك تكليف علم الغيب، فاعرف هذا الأصل وتبيّنه فإنك تزداد به بصيرة في وجوب الفرق بين الضربين، وذلك أنهما لو كانا يجريان مجرى واحداً في حقيقة الاستعارة لوجب أن يستويا في القضية، حتى إذا استقام وضع الاسم في أحدهما استقام وضعه في الآخر فاعرفه.

فإن قلت: فما تقول في نحو قولهم: لقيت به أسداً ورأيت به ليثاً؟ فإنه مما لا وجه لتسميته استعارة، ألا تراهم قالوا: لئن لقيتَ فلاناً ليلقينك منه الأسد، فأتوا به معرفة على حدّه إذا قالوا: احذر الأسد، وقد جاء على هذه الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه فيظن أنه استعارة وهو قوله عز وجل: (لهم فيها دار الخلد) والمعنى – والله أعلم – أن النار هي دار الخلد وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يقال إن النار شبهت بدار الخلد إذ ليس المعنى على تشبيه النار بشيء يسمى دار الخلد كما تقول في زيد: إنه مثل الأسد. ثم تقول: هو الأسد، وإنما هو كقولك: النار منزلهم ومسكنهم، نعوذ بالله منها.

وكذا قوله:

يأبى الظلامة منه النوفلُ الزفر

المعنى على أنه النوفل الزفر، وليس النوفل الزفر باسم لجنس غير جنس الممدوح كالأسد فيقال إنه شبه الممدوح به، وإنما هو صفة كقولك هو الشجاع وهو السيد وهو النّهاض بأعباء السيادة.

وكذا قوله:

يا خير من يركب المطيَّ ولا ... يشرب كأساً بكفّ من بخلا

لا يتصور فيه التشبيه وإنما المعنى أنه ليس ببخيل.

هذا- وإنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يدعى أنه مستعار له، والاسم في قولك لقيت به أسداً ولقيني منه الأسد لا يتصور جريه على المذكور بوجه لأنه ليس بخبر عنه ولا صفة له ولا حال، وإنما هو بنفسه مفعول لقيت وفاعل لقيني ولو جاز أن يجري الاسم ههنا مجرى الاستعارة المتناولة المستعار له لوجب أن يقول في قوله:

حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط

((إنه استعار اسم الذئب للمذق)) وذلك بيّن الفساد. وكذا نحو قوله:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد

لا يكون استعارة وإن كنت تجد من يفهم البيت قد يقول: أراد بالأسد النعمان أو شبهه بالأسد. لأن ذلك بيان للغرض. فأما القضية الصحيحة وما يقع في نفس العارف ويوحيه نقد الصيرف فإن الأسد واقع على حقيقته حتى كأنه قال: ولا قرار على زأر هذا الأسد – وأشار إلى الأسد خارجاً من عرينه، مهدداً موعداً بزئيره. وأيّ وجه للشك في ذلك وهو يؤدي إلى أن يكون الكلام على حد قولك ولا قرار على زأر من هو كالأسد؟ وفيه من العيّ والفجاجة شيء غير قليل.

هذا – ومن حق غالط غلط في نحو ما ذكرت على قلة عذره أن لا يغلط في قول الفرزدق:

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهمُ يرون به هلالاً

ولا يتوهم أن ((هلالا)) استعارة لسعيد لأن الحكم على الاسم بالاستعارة مع وجود التشبيه الصريح محال جار مجرى أن يكون كل اسم دخل عليه كاف التشبيه مستعاراً. وإذا لم يغلط في هذا فالباقي بمنزلته فاعرفه.

****

ثانياً: سرقات الشعراء وما يتبع ذلك

من كتاب الإشارات والتنبيهات لمحمد بن علي الجرجاني ت ٧٢٩هـ

الخاتمة

وتشتمل على مسائل:

الأولى: في سرقات الشعراء، وهي أقسام ثلاثة: الانتحال، والإغارة، والإلمام.

الأول: الانتحال، ويسمى: فسخاً، وهو مذموم جداً، وهو سرقة المعنى بألفاظه من غير تغيير، أو بعض تغيير.

فالأول وُجِد في قصيدتي زهير وأوس هذا البيت[1]:

إذا أنت لم تُعرِض عن الجهل والخنا ... أصبت حليماً، أو أصابك جاهلُ

وأنشد عبد الله بن الزبير عند معاوية بن أبي سفيان[2]:

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقلُ
ويركب حدَّ السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَلُ

فقال معاوية: لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر، ولم ينفض المجلس حتى دخل مَعْنُ بن أوس، وأنشد قصيدته التي أولها:

١- الجهل: السفاهة والطيش، الخنا: الفحش. والبيت من قصيدة زهير التي مطلعها:

لسلمى بشرقيِّ القنان منازل ... ورسم بصحراء اللبين حائل

ومن قصيدة أوس التي مطلعها:

أيا راكباً إمّا عرضت فبلغن ... يزيد بن عبد الله ما أنا قائل

٢ - ومعنى البيت الثاني: إذ ظلمت أخاك فلا بد له من ارتكاب الصعب من الأمور كي يحفظ كرامته ويصون كبريائه.

لعمرُك ما أدري، وإني لأوْجَلُ		على أيِّنا تعدو المنية أوّلُ

وفيها البيتان، فقال معاوية لعَبْدِ الله: ألم تخبرني بأنهما لك؟ فقال: المعنى لي واللفظ له، وبعد فهو أخي من الرضاعة، وأنا لاحقٌ بشعره.

والثاني: كقول الأُبَيْرِد اليربوعي[1]:

فتى يشتري حسنَ الثناء بماله		إذا السنةُ الشهباء أعوزها القَطْرُ

وفي شعر أبي نواس[2]:

فتى يشتري حسنَ الثناء بماله		ويعلمُ أنّ الدائراتِ تدورُ

وكقول بعض القدماء:

أجاد طُويسٌ والسريجيُّ بعده		وما قصباتُ السبْقِ إلا لمَعْبَدِ[3]

---

١ – الأبيرد اليربوعي هو: الأبيرد بن قيس بن المعذر، والبيت من قصيدة يرثي فيها أخاه مطلعها:

تطاول ليلي لم أنمه تقلبا		كأن فراشي حال من دونه الجمر

والشهباء: الشديدة القحط. القطر: المطر.

٢ – في الأصل أن البيت لأوس وليس كذلك، بل هو لأبي نواس من قصيدة له في مدح الخصيب مطلعها:

أجارةَ بيتينا أبوك غيور		وميسورُ ما يرجى لديك عسير

والدائرات: النوائب والأحداث.

٣ – طويس: رجل اشتهر بالغناء في عهد عثمان بن عفان. والسريجي تلميذ طويس في الغناء – معبد: مغنٍّ مشهور كان في صدر الدولة الأموية. وقصبات السبق: كناية عن فوزه وتفوقه عليهم.

وفي شعر أبي تمام:

محاسن أصناف المغنّين جمّةٌ   وما قصباتُ السبْق إلا لمَعْبَدِ[1]

وفي الأغاني:

لهفي على فتية ذل الزمانُ لهمْ   فما يصيبهمُ إلا بما شاؤوا

وفي شعر أبي نواس:

دارتْ على فتية دل الزمانُ لهمْ   فما يصيبهمُ إلا بما شاءوا[2]

واعلم أن ما ذكرناه هو قول نقاد الشعر، ولم أزل لهم مخالفاً.

وفيه نظر، لأن الشاعر الثاني إن كان عالماً بأن غيره قد سبقه إليه، فحملُهُ على التضمين أولى من حمله على السرقة، اللهم إلا أن يعلم قصده، سبحان من يعلم الغيب. وإن لم يكن عالماً به، كان ذلك من قبيل الاتفاقات، كما حكى ابن ميادة، أنشد لنفسه:

مفيدٌ، ومتلافٌ إذا ما أتيته   تهلّل واهتزّ اهتزاز المهنّد

قيل لهُ: هذا للحطيئة، قال: الآن علمت أني شاعر، حيث وافق شعري شعره، والإنصاف يقتضي هذه التسمية، وتحسين العبارة، بأن يقال: سبقه إليه فلان، دون سرقه.

الثاني: الإغارة، ويسمى: مسخاً:

١- البيت لأبي تمام من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي مطلعها:

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد   وعاد قتادا عندها كلّ مرقد

٢- في الديوان: دارت على فتية دار الزمان بهم، والبيتُ من قصيدة في الخمر، مطلعها:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

وهو أخذ المعنى بتغيير نظمه، وهو محمود إن اختص بفضله، كحسن السبك، أو الاختصار، أو الإيضاح، أو زيادة معنى، كقول بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجتهِ وفاز بالطيباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ

وقول سلم الخاسر:

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللذة الجَسورُ

وبيت سلم أجود سبكاً وأخصر.

وكقول الآخر[1]:

خلقنا لهم في كل عَين وحاجب بِسُمْر القنا والبِيض عيناً وحاجبًا

وقول ابن نباتة بعده:

خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم عيوناً لها وَقْع السيوف حواجبُ

وبيت ابن نباتة أجود سبكاً وبه زيادة معنى. وهو الإشارة إلى انهزامهم.

وإن كان أدون في البلاغة، فهو مردود، كقول أبي الطيب[2]:

أعدى الزمانَ سخاؤه، فَسخا به ولقد يكون به الزمانُ بخيلاً

أخذه من أبي تمام:

هيهاتَ، لا يأتي الزمانُ بمثلهِ إنّ الزمانَ بمثلهِ لبخيلُ

وأفسده بلفظتي: (قد، ويكون) فإن (قد) في المضارع للتقليل، فتفيد بالمفهوم على عدم بخل الزمان بمثله، و(يكون) للزمان المستقبل، فتفيد بالمفهوم على عدم بخله به في الماضي.

١- سمر القنا: الرماح، البيض: السيوف، العين، والحاجب، العلامات الغائرة والمسطحية من أثر ضربات السيوف.

٢- من قصيدة مطلعها: في الخد إن عزم الخليط رحيلا مطر يزيد به الخدود محولا

وإن كان الثاني قبل الأول، فخطبه أهون، والفضل للمتقدم، هذا إذا لم يكن بينهما اتفاق في الوزن والقافية معاً، كقول بشار[1]:

يا قومُ أذني لبعض الحيّ عاشقةٌ　　والأذن تعشق قبل العينِ أحيانا

وقول ابن الشّحنة:

وإني امرؤ أحببتكم لمكارمٍ　　سمعتُ بها، والأذن كالعين تعشق

وقول القاضي الأرّجاني[2]:

لم يُبكني إلا حديثُ فراقهم　　لمّا أسرّ به إليّ مودّعي
هو ذلك الدرُّ الذي أودعتُمُ　　في مسمعي، ألقيته من مدمعي

وقول الزمخشري:

وقائلةٍ: ما هذه الدر التي　　تساقطها عيناك سِمطَين سمطينِ
فقلت: هي الدرّ التي قد حشا بها　　أبو مُضرٍ أذني، تساقط من عينِ

وإن كان بينهما اتفاق في الوزن والقافية، فمذموم، كقول أبي تمام:

ولا سافرتُ في الآفاق إلا　　ومن جدواك راحلتي وزادي
مقيمُ الظن عندك والأماني　　وإن قلقتْ ركابي في البلادِ

وقول أبي الطيب[3]:

وإني عنكَ بعد غدٍ لغادٍ　　وقلبي عن فنائكَ غيرُ غادِ
محبّكَ حيث ما اتجهتْ ركابي　　وضيفُك حيث كنتُ من البلاد

---

١ - البيت من مقطوعة قالها في عبدة مطلعها:

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم　　الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

٢ - در المسامع: الألفاظ، ودر المدامع: الدموع.

٣ - البيت من قصيدة مطلعها: أحاد أم سداس في أحادِ　　لُييلتنا المنوطة بالتنادِ

الثالث: الإلمام، ويسمى: سلخاً.

وهو أخذ المعنى من غير التعرض للفظ، كقول البحتري[1]:

تصدُّ حياءً أن تراك بأوجهٍ   أتى الذنبَ عاصيها، فَلِيمَ مطيعُها

وقول أبي الطيب:

وجُرْمٍ جَرَّهُ سفهاءُ قومٍ   وحَلَّ بغير جارمه العذابُ

وهو أجود من الأول بحسن السبك، كأنه اقتبسه من قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقول الخنساء[2]:

وما بلغ المُهْدون للناس مِدحةً   وإن أطنبوا إلا وما فيك أفضلُ

وقول أشجع:

وما ترك المدّاحُ فيك مقالة   ولا قال إلا دون ما فيك قائلُ

وقول الأعرابي:

وما إن كان أكثرهم سَواماً   ولكن كان أرحبهمْ ذراعا

وقول أشجع:

وليس بأوسعهم في الغنى   ولكنّ معروفه أوسعُ

المسألة الثانية: فيما يُشبه السرقة، لخفاء المعنى، وهو أقسام:

١- البيت من قصيدة مطلعها:

منى النفس في أسماء لو تستطيعها   بها وجدها من غادة وولوعها

٢- من قصيدة في رثاء أخيها صخر.

الأول: التشابه وهو: تشابه المعنيين، كقول الطرمّاح الطائي(١):

لقد زادني حُبّاً لنفسي أنني ... بغيضٌ إلى كل امرئٍ غيرِ طائلِ

وقول أبي الطيب(٢):

وإذا أتتك مذمّتي من ناقص ... فهْيَ الشهادة لِي بأنيَ كاملُ

وقول أبي العلاء في مرثية:

وما كُلْفةُ البدر المنير قديمةٌ ... ولكنها في وجهه أثرُ اللّطمِ

وقول القَيسرانيّ:

وأهوى الذي أهوى له البدر ساجداً ... ألستَ ترى في وجهه أثَر التُّرب؟

الثاني: النقل:

وهو أن ينتقل المعنى عنْ محلّه، كقول البحتري:

سُلبوا، وأشرقتْ الدماء عليهمُ ... مُحمّرةً، فكأنهم لم يُسلبوا

وقول أبي الطّيب(٣):

يبسَ النجيعُ عليه وهْو مُجرّدٌ ... عن غِمدهِ، فكأنما هو مُغْمَدُ

فإنه نقل المعنى من الإنسان إلى السيف.

١- غير طائل: غير كامل، خسيس لا قيمة له.

٢- من قصيدة يمدح فيها القاضي الأنطاكي مطلعها:

لك يا منازل في القلوب منازل ... أقفرت أنت وهن منك أواهل

٣- النجيع: الدم القاتم الذي يميل إلى السواد، والغمد: قراب السيف، والبيت من قصيدة يمدح فيها شجاع بن محمد الطائي مطلعها:

اليوم عهدكم فأين الموعد؟ ... هيهات ليس ليوم عهدكم غد

الثالث: المبالغة:

وهو أن المعنى الثاني أبلغ من الأول: كقول جرير[١]:

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ وجدتَ الناسَ كلَّهُمْ غِضابَا

وقول أبي نواس:

ليس على الله بمستنكرٍ أنْ يجمعَ العالم في واحدِ

وهذا أبلغ من بيت جرير.

الرابع: القلب:

وهو قلب المعنى إلى نقيضه، كقول أبي الشّيص:

أجِدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً حُبّاً لذكركِ، فليلُمْني اللُّوَّمُ

فقلب أبو الطيب هذا المعنى إلى نقيضه، وقال[٢]:

أأحبّهُ وأحبُّ فيه ملامةً؟ إنّ الملامةَ فيه من أعدائهِ

الخامس: التحسين:

وهو أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه ما يُحَسِّنُهُ، كقول الأفوه[٣]:

وترى الطيرَ على آثارنا رأيَ عينٍ ثقةً أن ستُمار

---

[١] البيت من قصيدة يهجو فيها الراعي النميري مطلعها:

أقلّي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

٢- من قصيدة مطلعها:

عذل العواذل حول قلب التائه وهوى الأحبة منه في سودائه

٣- ستمار: ستطعم.

وقول أبي تمام[1]:

وقد ظلّلتْ عِقبانُ أعلامه ضُحى بعقبان طَيْرٍ في الدماء نواهلِ
أقامتْ مع الرايات حتّى كأنها من الجيش، إلا أنها لم تُقاتِلِ

أخذ بعض معنى الأفوه وزاد عليه زيادات حسنة لا تخفى.

المسألة الثالثة: في الاقتباس.

وهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، وهو على قسمين:

الأول: ألا ينتقل المعنى إلى غير محله، كقول الحريري: (فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب، حتى أُنشد وأغرب[2]) وقوله: (أنا أُنبّئكُمْ بتأويله، وأميز صحيح القول من عليله[3])، وقول ابن نباتة: (أيها الغفلةُ المُطْرِقُون، أمَا أنتم بهذا الحديث مصدقون؟ مالكم لا تُشفقون؟ ((فوربِّ السماء والأرض، إنه لحقٌ مثلَ ما أنكم تنْطِقون[4]))).

وقول أبي الفضل الهمذاني[5]:

لآل فريغونَ في المكْرُماتِ يدٌ أولاً، واعتذار أخيرا
إذا ما حللْتَ بمغناهمُ ((رأيتَ نعيماً وملْكاً كبيرا))

١- العقبان: جمع عقاب وهو طائر قوي المخالب، نواهل: مرتوية، والبيت لأبي تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم مطلعها:

غدا الملك معمور الحرا والمنازل منور وحف الروض عذب المناهل

٢- مأخوذ من الآية القرآنية سورة النحل آية ٧٧.

٣- مأخوذ من سورة يوسف الآية ٤٥.

٤ - مأخوذ من سورة الذاريات الآية ٢٣.

٥ - أبو الفضل الهمذاني هو بديع الزمان الهمذاني، والشطرة الثانية من البيت الأخير مأخوذة من سورة الإنسان آية ٢٠.

وقول الأَبيوَرْدي[1]:

وقصائد مثل الرياض أضعتُها في باخلٍ ضاعتْ به الأحسابُ
فإذا تناشدها الرواةُ وأبصروا الـ ممدوحَ، قالوا: ((ساحرٌ كذّابُ))

وقول الآخر[2]:

خلّةُ الغانيات خلّة سُوء ((فاتقوا الله يا أولي الألباب))
فإذا ما سألتموهنَّ شيئاً ((فا سألوهنّ من وراء حجابِ))

وقول الحريري: (وكتمان الفقر زهاده، وانتظار الفرج بالصبر عبادة) وهو لفظ الحديث.

والثاني: أن ينتقل إلى غير محلّه، سواء كان بغير تغير اللفظ، كقول ابن الرومي:

لئن أخطأتُ في مدحِيـ ـكَ ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي ((بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ))[3]

أو بتغيير يسير، كقول بعض المغاربة:

قد كان ما خِفتُ أن يكونا "إنا إلى الله راجعونا"[4]

---

١ – الأبيوردي: هو أبو المظفر محمد بن أحمد، والباخل: البخيل، والأحساب: الحسب والشرف وهو مقتبس من سورة غافر آية ٢٤.

٢ – خلة: الصفة والطبيعة، الغانيات: المرأة المستغنية بجمالها عن التزيّن والبيتان لأبي منصور عبد الرحمن بن سعيد، والشطرة الثانية من البيت الأول مقتبسة من سورة المائدة آية ١٠٠، ومن البيت الثاني من سورة الأحزاب آية ٥٣.

٣ – مقتبس من سورة إبراهيم آية ٣٧.

٤ – الشطرة الثانية مقتبسة من سورة البقرة آية ١٥٦.

وقول عمر الخيام[1]:

سبقتُ العالَمين إلى المعالي ... بصائب فكرة وعلوّ هِمّة
ولاح بحكمتي نورُ الهدى في ... ليالٍ للضلالة مُدْلَهِمّة
يريد الجاهلون ليطفئوهُ ... ((ويأبى اللهُ إلا أن يتمّهْ))

وقول القاضي الهروي:

فلو كانت الأخلاقُ تُحوى وِراثةً ... ولو كانت الآراءُ لا تتشعّبُ
لأصبح كلُّ الناسِ قد ضمّهُمْ هوىً ... كما أن كلَّ الناس قد ضمّهُم أبُ
ولكنها الأقدارُ، كلٌّ مُيَسَّرٌ ... لما هو مخلوقٌ له ومُقرَّبُ

اقتبس من الحديث: ((اعملوا كلٌّ مُيسّرٌ لما خُلِقَ له))[2].

المسألة الرابعة: في التضمين:

هو أن يضمّن في شعره شعرَ غيره.

فإن كان المأخوذ بيتاً أو أكثر، سمي: استعانة.

وإن كان مصراعاً فما دونه، سمي: إيداعاً أو رفواً.

ثم قد لا يكون في كلامه دلالة على ذلك، كقول ابن التلميذ الطبيب:

كانت بُلَهنية الشبيبة سكرةً ... فصحوت واستبدلتُ سيرة مُجملِ
((وقعدت أنتظر الفَناء كـراكبٍ ... عرف المحلّ، فبات دون المـنزلِ))

البيت الثاني لمسلم بن وليد الأنصاري.

وكقول الآخر:

---

١ – البيت الأخير مقتبس من قوله تعالى: ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره)) سورة التوبة آية ٣٢.

٢ – ونص الحديث كلٌّ يعمل لما خلق له أو لما ييسر له.

كنا معاً أمسِ في بؤس نكابدهُ والعين والقلب في يأس مع الأذن
والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى، فكن رجلاً في ذلك الحسنِ
((إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن))

البيت الأخير لأبي تمام:

وقد يكون في كلامه دلالة على الأخذ، كقول ابن العميد:

أشكو إليك زماناً ظلّ يعركني عَرْكَ الأديم ومن يَعدو على الزمنِ
وصاحباً كنتُ مغبوطاً بصُحبته دهراً فغادرني فرداً بلا سكنِ
هبّتْ له ريحُ إقبالٍ، فطار بها نحو السرور، وألجاني إلى الحَزَنِ
نأى بجانبه عنّي وصيّرني مع الأسى ودواعي الشوق في قَرَنِ
وباع صَفْوَ ودادٍ كنت أقصُرُهُ عليه مجتهداً في السرّ والعلَنِ
وكان غالى به حيناً فأرخَصَهُ يا من رأى صفو ودٌ بيع بالغَبنِ
كأنه كان مطويّاً على إحَنٍ ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني:
(إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن)

وأما أخذ المصراع مع الدلالة عليه، فكقول الحريري:

على أنّي سأنشدُ عند بيعي ((أضاعوني، وأيّ فتى أضاعوا))

المصراع الأخير لأمية بن أبي الصلت حيث قال:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثَغْرِ

ومع عدم الدلالة، كقول صاحب التحبير:

إذا الوهم أبدى لي لَماها وثغرها تذكرتُ ما بين العُذيب وبارقِ
ويُذكرني مِن قدّها ومدامعي مَجَرَّ عوالينا ومجرى الشقائق

المصراعان الأخيران لأبي الطيب[1]:

وقد يضمن البيت، مع تغيير يسير كقول بعضهم في يهوديّ به داء الثعلب:

أقول لمعشر غلطوا وغضّوا ... عن الشيخ الرشيد وأنكروه

هو ابنُ جلا وطلاّعُ الثنايا ... متى يضع العمامةَ تعرفوه

البيت الثاني: لسحُيم[2]، وقد تصرف فيه يسيراً.

المسألة الخامسة: في العقد والحل والتلميح:

أما العقد:

فهو أن يعقد الشاعر نثر قرآن أو غيره.

أما القرآن، فكقوله:

أَنِلْني بالذي استقرضتَ خطّاً ... وأشْهِدْ معشراً قد شاهدوهُ

فإن الله خلاّقَ البرايا ... عنت لجلال هيبته الوجوهُ

يقول: ((إذا تداينتمْ بدَينٍ ... إلى أجلٍ مُسمًّى فاكتبوه[3]))

وأما غير القرآن فكقول أبي العتاهية[4]:

ما بال مَن أوّلُهُ نطفةٌ ... وجيفةٌ آخره يفخرُ؟

---

١ – يريد قول المتنبي: تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

١ – أنا ابن جلا وطُلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

٣ – مأخوذ من سورة البقرة آية ٢٨٢ والأبيات للحسين بن الحسن الواساني الدمشقي.

٤ – البيت من قصيدة بعنوان المورد الأكبر مطلعها:

يا عجباً للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا

عقد قول عليّ عليه السلام: (وما ابن آدم والفخر، وإنما أوله نطفة وآخره جيفة).

وقول الآخر:

يا صاحب البغي إن البغي مصرعةٌ فاربعْ، فخيرُ فَعال المرء أعدلُهُ

فلو بغى جبلٌ يوماً على جبلٍ لا نْدكَّ منه أعاليه وأسفلُهُ

عقد قول ابن عباس: (لو بغى جبل على جبل، لدُكَّ الباغي).

وقول الآخر:

البس جديدك إني لابس خلَقي ولا جديدَ لمن لا يلبس الخلقا

عقد المثل: (لا جديد لمن لا خلق له).

وأما الحلّ:

فهو أن يعبر عن معنى النظم بالنثر، شرط ألا يقصِّر عنه في البلاغة، كقول صاحب((الوشي المرقوم في حلّ المنظوم)) يصف قلم كاتب: (فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول، وغنيت به عن الخيل والخَول، وقالت: أعلى الممالك ما يبنى على الأقلام لا على الأسل) حلّ قول أبي الطيب[1].

خيرُ الممالك ما يُبنى على الأسلِ.

وأما التلميح:

فهو أن يشير الشاعر في نظمه إلى قصة من غير ذكرها.

كقول ابن المعتز:

أترى الجيرة الذين تداعَوا عند سير الحبيب وقتَ الزوالِ

علموا أنني مقيم، وقلبي راحلٌ فيهمُ أمامَ الجمالِ

---

١ - والبيت بتمامه:

أعلى الممالك ما يبنى على الأسلِ والطعن عند محبّيهنّ كالقبلِ

مثلُ صاع العزيز في أرحل القو م، ولا يعـــــلمون ما في الرحالِ

أشار إلى ما في سورة يوسف من قصّة عزيز مصر مع إخوة يوسف.

وإذا خفي التلميح التحق باللغز، كما رُوِيَ أن تميمياً قال لشريك النميري:

((ما في الجوارح أحبّ إليّ من البازي)) فقال: ((إذا كان يصيد القطا))[1]

أشار التميمي إلى قول جرير:

أنا البازي المُطلُّ على نُميرٍ أُتيح من السماء لها انصبابا[2]

وأشار شريك إلى قول الطرمّاح[3]:

تميم بطرْق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكتْ طرقَ المكارم ضلّتِ

المسألة السادسة: فيما ينبغي للشاعر أن يحتاط ويتأنق فيه، وهو ثلاثة أشياء.

أما الابتداء:

فينبغي أن يجتهد فيه عما يُتطيّر به، كما روى أن ذا الرمّة أنشد لهشام بن عبد الملك قصيدته التي أولها[4]:

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ؟

---

١ – البازي: نوع من الصقور، والقطا: طائر بين العصفور واليمامة.

٢ – والبيت من قصيدة يهجو فيها الراعي النميري مطلعها:

أقلّي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

* البازي: الصقر، انصبابا: هطولاً وانسكاباً.

٣– القطا: طائر أكبر من العصفور، وأصغر من اليمامة، ويضرب المثل في الاهتداء إلى عشه.

٤ – تمام البيت: كأنه من كلى مفرية سرب.

قال هشام: بل عينك.

وروي أن ابن مقاتل الضرير أنشد للداعي العلوي قصيدته التي أولها:

موعدُ أحبابك بالفرقة غدٌ.

فقال له الداعي: بل موعد أحبابك، ولك المثل السوء.

ودخل عليه في يوم مهرجان وأنشده:

لا تقل بشرى، ولكن بشريان   غُرّة الداعي، ويومُ المهرجان(١)

فتطير به وقال: أعمى يبتدئ بهذا يوم المهرجان، وقيل: ضربه خمسين عصا، وقال: إصلاح أدبه أبلغ في ثوابه.

ولما بنى المعتصم قصره بالميدان، وجلس فيه، أنشده اسحاق الموصلي.

يا دارُ غيّرك البِلَى ومحاكِ   يا ليت شعري ما الذي أبلاكِ!

فتطير المعتصم من هذا الابتداء، وأمر بهدم القصر.

أحسن الابتداءات: ما يتفاءل به للخير، أو يكون مناسباً لمضمون القصيدة:

فالأول، كقول القُطَامي:

إنا محيّوك فا سلم أيها الطللُ

وقول أشجع السلمي:

قصرٌ عليه تحية وسلامُ   خلعتْ عليه جمالَها الأيامُ

والثاني: كقول أبي تمام في قصيدته البائية يهنئ المعتصم في أخذ عمّورية:

---

١ – غرة الداعي: بياض وجهه، ويوم المهرجان: عيد من أعياد الفرس يحتفلون به أول فصل الخريف.

السيفُ أصدق أنباءً من الكتُبِ

فإنه مناسب للفتح.

وأما التخلص: فهو الانتقال من التشبيب أو غيره إلى المقصود، فإن السامعين يترصدونه، فإن كان حسناً مناسب الطرفين، حركهم النشاط إلى الإصغاء لكلامه، وإلا أحجمت أسماعهم، ومن التخلصات المختارة قول مسلم بن الوليد:

أجدّكِ هل تدرين أنْ رُبَّ ليلةٍ كأن دُجاها من قرونك يُنشَرُ

لهوتُ بها حتى تجلتْ بغرّةٍ كغرة يحيى حين يُذكر جعفرُ

وقول أبي الطيب يمدح المغيث العجلي:

مرّتْ بنا بين ترِبَيْها، فقلت لها من أين جانس هذا الشادنُ العَربا؟

فاستضحكتْ ثم قالت: كالمغيث يُرى ليثَ الشرى، وهْو من عِجْلٍ إذا انتسبا

وقوله أيضاً:

خليليّ، إني ما أرى غيرَ شاعرٍ فكم منهم الدعوى ومنّي القصائدُ

فلا تعجبا، إن السيــــوف كثيرةٌ ولكن سيف الدولـــة اليومَ واحدُ

وأما الانتهاء: فإنه إن كان حسناً، نسخ ما سبقه من تقصير إن كان، وإلا أنسى المحاسن السابقة، ومن الانتهاءات المحمودة قول أبي نواس:

فبقيتَ للعلم الذي تُهدي به وتقاعست عن يومك الأيامُ

وقوله أيضاً:

وإني جدير إذْ بلَغتك بالمنى وأنت لما أمّلتُ منك جديرُ

فإن تُولني منك الجميلَ فأهلهُ وإلا، فإني عاذر وشكورُ

والآن حيث وفينا بما وعدنا به، فلنحمد الله تعالى على حسن توفيقه وهدايته إلى سواء طريقه.

******

Damascus University

المراجع والمصادر

١- أسرار البلاغة- عبد القاهر الجرجاني- تحقيق: محمد رشيد رضا- دار المعرفة- بيروت- ١٩٨٢.

٢- الإرشاد إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز- عز الدين بن عبد السلام تحقيق: رمزي دمشقية- دار البشائر الإسلامية- ط ١- ١٩٨٧.

٣- إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق: أحمد صقر- دار المعارف- مصر- ط ٤.

٤- الأغاني- لأبي فرج الأصفهاني- مصورة عن دار الكتب المصرية- ط ١- ١٩٢٧.

٥- أنوار الربيع في أنواع البديع - ابن معصوم المدني- تحقيق: شاكر هادي شكر- النجف- ط ١- ١٩٦٨.

٦- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز- د. مختار عطية- دار المعرفة الجامعية- مصر- ١٩٩٧.

٧- الإيضاح للقزويني تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي- مكتبة الحسين التجارية- مصر- ط ١- ١٩٤٩.

٨- البحر المحيط- أبو حيان الأندلسي- ط ٢- ١٩٨٧.

٩- البديع- عبد الله بن المعتز- نشر المستشرق كراتشكوفسكي- بيروت- ١٩٨٢.

١٠- البلاغة للمبرد- مكتبة الثقافة الدينية- ط ٢- ١٩٨٥.

١١- البلاغة العربية تاريخها- مصادرها- مناهجها- د. علي عشري زايد- مكتبة الشباب- مصر- ١٩٨٢.

١٢- البلاغة عند السكاكي- د. أحمد مطلوب- منشورات مكتبة النهضة- بغداد- ط١ - ١٩٦٤.

١٣- البلاغة العربية قراءة جديدة- محمد عبد المطلب- مكتبة لبنان- ١٩٩٧.

١٤- البلاغة فنونها وأفنانها- د. فضل عباس- دار الفرقان- الأردن- ط٤- ١٩٩٧.

١٥- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري- محمد أبو موسى- دار الفكر العربي.

١٦- البيان والتبيين للجاحظ- تحقيق: عبد السلام هارون- دار الفكر- ط ٤.

١٧- تأويل شكل القرآن- ابن قتيبة- تحقيق: سيد صقر- بيروت- ١٩٨١.

١٨- التلخيص للقزويني- شرح عبد الرحمن البرقوقي- المكتبة التجارية الكبرى- مصر - ١٩٠٤.

١٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- ط ٢ - ١٩٥٢.

٢٠- حدائق السحر في دقائق الشعر- الوطواط- القاهرة- ١٩٤٥.

٢١- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني- تحقيق: الداية- دار ابن قتيبة- ط ١- ١٩٨٣، وتحقيق: رشيد رضا- دار المعرفة- بيروت- ١٩٨٢، وتحقيق: محمود شاكر- مكتبة الخانجي- القاهرة.

٢٢- رسائل الجاحظ- تحقيق: عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط ١- ١٩٧٩.

٢٣- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي- دار الكتاب العالمي- بيروت- ط ١- ١٩٨٢.

Damascus University

٢٤- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: السقا والأبياري وشلبي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٥- شرح الألفية لابن الناظم.

٢٦- شرح عقود الجمان للسيوطي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر- ١٩٣٩.

٢٧- شروح التلخيص للسبكي والمغربي والتفتازاني.

٢٨- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس اللغوي، تحقيق: د. عمر الطباع- مكتبة المعارف- بيروت- ط ١- ١٩٩٣.

٢٩- الصناعتين لأبي هلال العسكري- تحقيق: د. مفيد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٨١.

٣٠- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز- يحيي بن حمزة العلوي- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٨٢.

٣١- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون- ط ٢- مكتبة الخانجي- مصر- ١٩٧٧.

٣٢- فن البلاغة- د. عبد القادر حسين- عالم الكتب- بيروت- ط ٢- ١٩٨٤.

٣٣- الكشاف للزمخشري- دار المعرفة - بيروت.

٣٤- اللامات للزجاجي- تحقيق: د. مازن المبارك- دار الفكر- ط ٢- ١٩٨٥.

٣٥- لسان العرب لابن منظور- دار صادر- بيروت.

٣٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- صيدا- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٣٧- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى- تحقيق: محمد فؤاد سركين- مكتبة الخانجي- القاهرة.

٣٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها- السيوطي- دار إحياء الكتب العربية- ط ١.

٣٩- معاني القرآن للفراء- تحقيق: محمد علي النجار وآخرون- الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٤٠- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - د. أحمد مطلوب- ط ٢- ١٩٩٦.

٤١- المصباح في المعاني والبيان والبديع- بدر الدين بن مالك- تحقيق: د. حسني يوسف- مطبعة الجماميز- مصر.

٤٢- معجم الأدباء- ياقوت الحموي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤٣- مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري- تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله- دار الفكر- ط ١.

اللجنة العلمية:

- **الأستاذ الدكتور مزيد نعيم**
- **الأستاذ الدكتور علي أبو زيد**
- **الأستاذ الدكتور محمد موعد**

حقوق الترجمة والطبع والنشر محفوظة لمديرية الكتب والمطبوعات الجامعية

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University